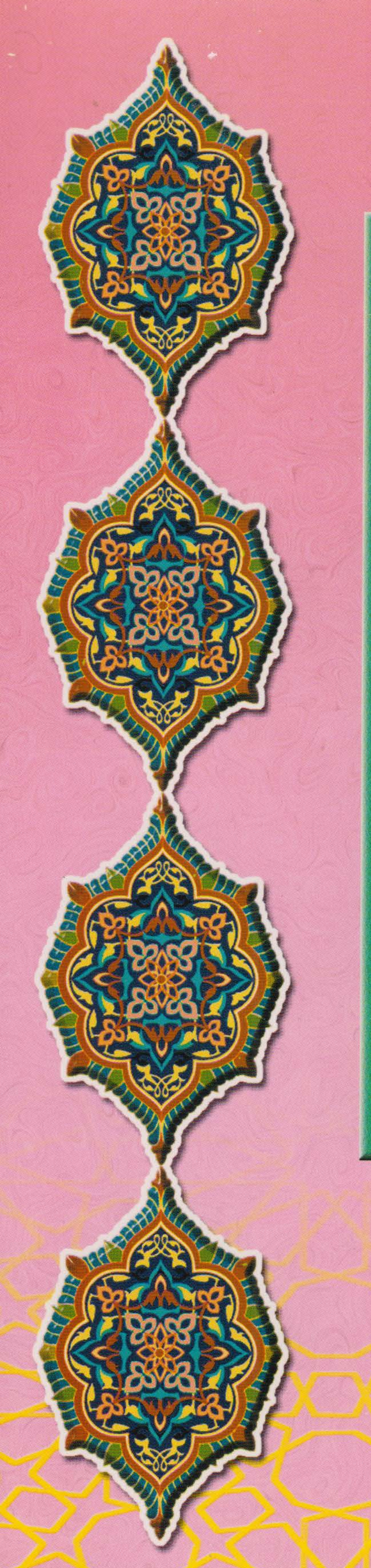


فاطمة والخلافة

دراسة لدور الزهراء (س) في مسيرة
النبوة والإمامة

الشيخ محمد رضا النعماني


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

فاطمة والخلافة

دراسة لدور الزهراء في مسيرة النبوة والامامة

الشيخ محمدرضا النعماني

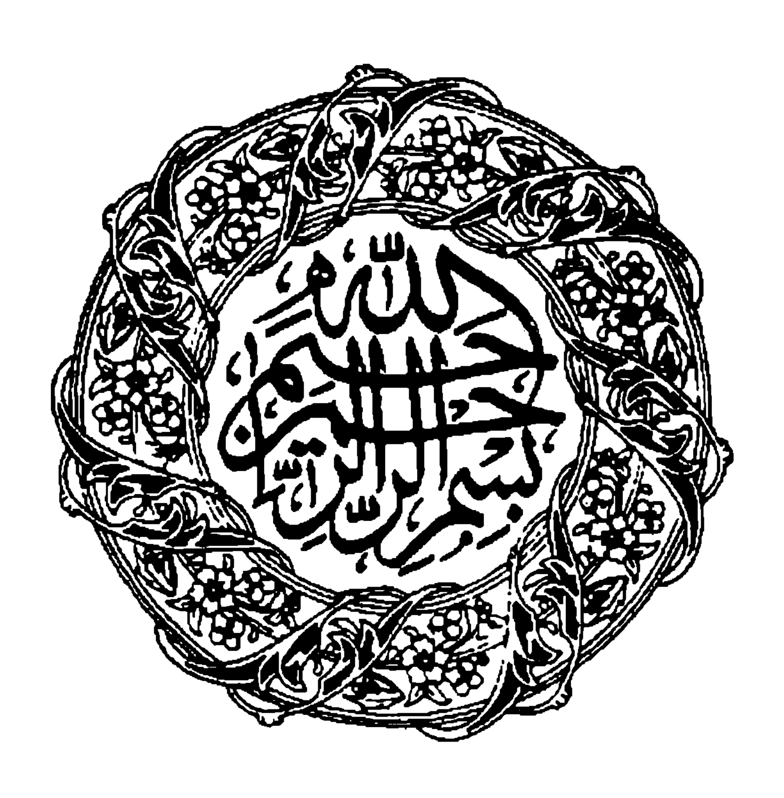
بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ

﴿إنَّآ أعطَيناكَ الكَوثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِكَ وَانحَر * انَ شَانِئكَ هوَ الابتَر﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا فاطمة انّ اللهَ عزّوجلّ يغضَبُ لِغَضَبِكِ وَيَرضىٰ لِرِضاكِ»

[ذخائر العقبىٰ ص ٣٩]


بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: فاطمة والخلافة

عدد النسخ: ١٥٠٠

عدد الصفحات: ١٩٨

الطبعة: الاولى

الناشر: نوروحي

المطبعة: شريعت

مركز التوزيع:

مكتبة الامام الصادق(ع) ايران - قم پاساژ قدس - بلاک ٥١

تلفون ٧٧٤٠٠٥٥ - فاكس: ٧٧٤٤٧٠٦

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام علىٰ محمد وآله الطاهرين.

ما من شك ان التاريخ لم يَفِ للزهراء فاطمة عليها السلام حقها، رغم مكانتها السامية ومقامها الكبير عند الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وما انفردت به من خصائص دون سواها. فاذا تصفحنا التاريخ فسوف نجد حوادث ووقائع غير مترابطة لا تعبّر ـ غالباً ـ عن شخصيتها ودورها في مسيرة الاسلام.

وقد يبررّ البعض ذلك بوهج أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وتاريخه المشرق وسيرته العطرة، التي هي كالشمس يخبو عندها كل نور مهما عظُم وتوهج.

وقد يقول البعض ان عمرها القصير، والفترة المحدودة التي عاشتها بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم لم يتح لها الكثير مما كان يجب ان يسجله التاريخ عنها في صفحاته، باستثناء بعض المواقف التي تتعلق بفدك والخلافة.

ونحن وان كنا لا نقلل من أهمية تلك المبررات ولكننا في الوقت نفسه نقول ان تلك المبررات ـ أو غيرها ـ لا تعفي الباحثين من تتبع سيرة حياتها الكريمة وتسجيلها بكل إجلال وتقديس، وذلك لأنّ الزهراء لم تكن ـ من منظور السماء والنبوة ـ مجرد بنتاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو امرأة جسدت اروع نماذج المرأة المسلمة في مجتمع النبوة المقدس، بل كانت كما تفيد النصوص القطعية المتواترة: مضموناً هائلاً

يمثل معلماً من اهم معالم الاسلام، وركناً من اهمّ اركانه.

ولهذا السبب لو تتبعنا السيرة والتاريخ بعينٍ بصيرة سنجد ان أعباء الاهمال الكبير، والتجاهل المتعمّد لشخصيتها ودورها، تتحمله السياسة والقادة الذين تقلبوا علىٰ عرش الخلافة، فهم بين سابٍ لها ولآعن، الىٰ مستهزءٍ ساخر ولن تجد الّا القليل ـ علىٰ امتداد مسيرة مئات الاعوام من وقف عند الحد الادنىٰ مما تستحقه فاطمة الزهراء عليها السلام.

يروي ابن عبد ربه في العقد الفريد: ان المهدي رأىٰ في منامه شريكاً القاضي مصروفا وجهه عنه فلما انتبه قص رؤياه علىٰ الربيع فقال: ان شريكاً مخالف لك وانه فاطمي محضاً. قال المهدي: عليّ بشريك. فأتى به فلما دخل عليه قال: بلغني انك فاطمي؟ قال: أُعيذك بالله ان تكون غير فاطمي إلّا ان تعني فاطمة بنت كسرىٰ. قال: لا ولكن اعني فاطمة بنت محمد. قال: فتلعنها؟ قال: لا معاذ الله قال: فما تقول في من يلعنها؟ قال: عليه لعنة الله.[1]

وكذلك عن يحيىٰ بن يعمر العامري قال:

(بعث اليّ الحجاج فقال: يا يحيى انت الذي تزعم أن ولد علي من فاطمة ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قلت له: إن أمنتني تكلمت. قال: فانت آمن. قلت له: نعم اقرأ عليك كتاب الله، إن الله يقول: ﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلاً هدينا ـ الىٰ ان قال ـ وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ والياس كل من الصالحين﴾[2] وعيسىٰ كلمة الله وروحه القاها الىٰ العذراء البتول، وقد نسبه الله تعالىٰ الىٰ ابراهيم عليه السلام. قال: ما دعاك الىٰ نشر هذا وذكره؟ قلت: ما استوجب الله عزوجل علىٰ اهل العلم في علمهم ﴿لتبيننّهُ للناسِ ولا تكتمُنَهُ﴾[3] قال: صدقت ولا تعودنّ لذكر هذا ولا نشره)[4]

---

(١) البحار ج ٤٣ ص ٤٣.

(٢) الانعام ٨٥.

(٣) آل عمران ١٨٧.

(٤) بحار الانوار ج ٤٣ / ٢٢٨.

لقد وجد هؤلاء ان مسيرتها وتأريخها يترابط ترابطاً تاماً مع مسيرة زوجها امير المؤمنين علي عليه السلام الذي كانت الزهراء عليها السلام تؤمن بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نص عليه لتولي الخلافة من بعده، كما في حديث المنزلة، وحديث الدار، وفي خطبة الغدير وغيرها من النصوص. فكان من الطبيعي ـ بحسب منطق الاحداث المادية ـ أن يُطمس تاريخها الىٰ درجة غير معقولة. فترىٰ الاضطراب والتشويش والتحريف في تاريخ ولادتها ووفاتها وسيرتها ومواقفها سلام الله عليها، وهي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع اهتمامه ورعايته. وكان المسلمون يعرفون ذلك من فمه وسيرته معها وذلك يكفي للاهتمام بها غاية الاهتمام لا العكس.

وعلىٰ كل حال فان المؤرخين، الذين كتبوا السيرة والتاريخ في ظل الحكومات والخلافات المعادية لاهل البيت، ووظفوه لخدمة السلطان ومصالحه الذاتية، مقابل فتات لا قيمة له من الدراهم والدنانير، قد غابت عنهم حقيقة ربانية، وسنّة الهية من سنن الكون، وهي ﴿ان اللهَ متمٌ نورهِ ولو كَرِهَ الكافرونَ﴾ فما قد يُغيّب من حقائق، استجابة لرغبة السلطان، أو الهوىٰ، أو المصالح الفردية والمذهبية، ستظهر كما هي بعد حين. والشواهد التاريخية على ذلك اكثر من ان تحصى.

يقول عمر بن عبدالعزيز:

كان أبي يخطب فلا يزال مستمراً في خطبته، حتى اذا صار الى ذكر عليّ وسبّه تقطع لسانه، واصفر وجهه وتغيرت حاله. فقلت له في ذلك فقال: أوقد فطنت لذلك؟ إن هؤلاء لو يعلمون مِنْ علي ما يعلمه أبوك ما تبعنا منهم رجل)[١]

وفي هذا الكتاب حاولت أن القي الضوء على دور الزهراء عليها السلام في المسيرة الاسلامية وهل انّ ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشأنها كان ضمن المنهج الرباني في تكريس واقع الامامة في الحياة، بالنحو الذي يكون دورها في مرحلة ما بعد

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٣ / ١٢٢.

الرسول كدور الانبياء في أداء مهمة محددّة، وانها ـ ضمن هذا المخطط ـ هي التي ستتحمل مهام ذلك الدور وتلك المسؤولية، لتكون حجة الله البالغة في تثبيت خط الخلافة الصحيح بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وان ما صدر بحقها يفوق التكريم والتبجيل، ليرقىٰ الىٰ اعلىٰ واسمىٰ الوان القداسة الدينية، اذ لو كان دور الرسول صلى الله عليه وآله وسلم البلاغ، فان دورها كان تطبيقه علىٰ واقع الحياة، وهذا يقتضي جهداً مضاعفاً تحملته الصديقة الكبرىٰ.

وكان بالامكان دراسة حياة الزهراء عليها السلام علىٰ عدة أصعدة وبمستويات مختلفة وزوايا متنوعة، وقد نصل الىٰ نتائج اكثر اهمية عن حياتها ودورها وموقعها في المسيرة الاسلامية، إلّا اني وجدت ان البحث عن اكتشاف حلقات الترابط بين ما صدر بشأنها من نصوص من جانب، وبين مواقفها ودورها في تثبيت خط الامامة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تفرضه اكثر من ضرورة، لاننا في الوقت الذي نؤمن بان حبّ اهل البيت ومودتهم فريضة واجبة وأحد الثوابت الاسلامية القطعية بنص القرآن الكريم، نؤمن كذلك بضرورة فهم ادوارهم ومواقفهم في خدمة الاسلام وتضحياتهم من اجله، فما قام الاسلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا بسيف علي عليه السلام واموال خديجة عليها السلام وما استمرّ بعده صلى الله عليه وآله وسلم الا بتضحيات اهل بيته عليهم السلام وكانت صلوات الله عليها اول المجاهدين والمضحين، فيجب ان نفهم هذا الدور علىٰ اساس الوفاء لهم والاقتداء بهم.

فقررت المضي على هذا المنهج في دراستي لحياة الزهراء عليها السلام وتركت الاجابة الىٰ ما سينتهي اليه هذا البحث المتواضع. ولكن بنفس الوقت أوكد على ان دور الزهراء عليها السلام في المسيرة النبوية وجهادها وتضحيتها ومواقفها، والهدفية في كل تلك المواقف غابت أو غُيبت اما عمداً من قبل المغرضين الحاقدين، أو نُسيت من قبل المحبين، ولم يبقّ منها غير الظلامة وتاريخ القهر والاضطهاد والمصائب التي صُبت عليها. اما لماذا ظُلمت، ولماذا ثارت؟ فامور قد غابت الاجابة عنها في معظم ما

يكتب عن الزهراء عليها السلام رغم اهميتها. وقد بذلت جهدي في ابراز هذا الدور وفاءً لأم الأئمة التي حبها دين، وبغضها كفر، ومن اجدر منها بذلك وهي التي باهل بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله عزوجل نصارىٰ نجران فقال:

﴿فَمَن حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعدِ مَا جَآءَكَ مِنَ العِلمِ فَقُل تَعَالَوا نَدعوا أَبنَاءَنا وأَبنَاءَكُم وَنِسآءَنا وَنِسَائَكُم وأَنفُسَنا وَانفسَكم ثم نَبتَهِل فَنَجعَل لعنَةَ اللهِ عَلىٰ الكَاذِبينَ﴾[1]

وقال عزوجل فيها وفي ذريتها:

﴿قل لا اسئلكم عليه اجراً الّا المودة في القربىٰ﴾

ثم وجدت من الصعب ان اكتب بحثاً تحليلاً متواضعاً عن أهمية دور الزهراء في مسيرة الاسلام وتاريخه من دون ان اتعرض الىٰ حياتها الكريمة التي لازالت بكراً رغم الكثير الذي كتب عنها فالزهراء عليها السلام ليست تاريخاً نقف عنده كنصوص جامدة رويت لنا من مصادر مختلفة، بل الزهراء قضية دين وامة، وسيرة وقدوة، لقد سارت فاطمة علىٰ خطىٰ ابيها فكانت نموذجه الثاني في معظم اقواله واعماله وخصائصه.

وعلينا ونحن في القرن الحادي والعشرين الميلادي وقد توسعت آفاق المعرفة البشرية، وتطورت فيه المدارك العقلية، واصبح الناس اكثر ميلاً الىٰ ثقافة تنسجم ـ في اسلوب عطائها ـ مع اساليب العصر حتى في الدراسات والابحاث التي هي من هذا القبيل، والتي تتصف بالمحدودية، انها بحاجة الى تقديم جديد ينسجم مع ثوابت الاسلام وسيرة اهل البيت عليهم السلام، ومع ثقافة العصر وتطور مسيرة المعرفة الانسانية.

بهذه الروح وعلىٰ هذا الضوء أحببت ان اقف عند شخصية الزهراء عليها السلام، الشخصية الرائدة الشجاعة، المستبسلة في ذات الله عزوجل المصممة على اداء مهمة تثبيت خط الامامة والخلافة راجياً المولىٰ تعالىٰ ان يكتب لي التوفيق في ذلك، اداءً لحق بضعة المصطفىٰ وروحه التي بين جنبيه، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) آل عمران/ ٦٠.

الفصل الاول

موجز السيرة الذاتية للزهراء

* ولادتها ونشأتها
* خصائص الزهراء وسجاياها
* أدبها مع ابيها..
* حبها لابيها..
* أدبها مع زوجها..
* الزهراء في عبادتها..
* صدق لهجتها..
* الصبر والمواساة..
* الزهراء في علمها..

ولادتها ونشأتها وسجاياها

اختلفت الروايات في تاريخ ولادتهاعليها السلام وبما ان منهجنا يقوم على الاختصار، فسوف اقتصر على بعض تلك الروايات.

فمنها: ما ذكره الشيخ المفيد في كتاب حدائق الرياض انه يوم العشرين من جمادى الآخرة كان مولد السيدة الزهراءعليها السلام سنة اثنين من المبعث)[1]

ومنها: ما قاله ابو الفرج الاصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين من ان مولدها كان قبل النبوة وقريش حينئذٍ تبني الكعبة)[2]

ويذكر ابو الفرج انّ علياً تزوجها: في صفر بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة، وبنى بها بعد رجوعه من غزوة بدر، ولها يومئذٍ ثماني عشرة سنة.

ومنها: ما رواه الكليني عن عبدالله بن جعفر وسعد بن عبدالله جميعاً، عن ابراهيم بن مهزيار عن اخيه علي بن مهزيار، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني: قال: سمعت ابا جعفر يقول:

«ولدت فاطمة بنت محمدصلى الله عليه وآله وسلم بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنين،

---

(١) بحار الانوار، ج ٨/٤٣ ط دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

(٢) مقاتل الطالبيين / ص ٥٩ / شرح وتحقيق السيد احمد الصقر.

وتوفيت ولها ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً.»[1]

ومنها: ما في مصباح الكفعمي قال:

«ولدت فاطمة عليها السلام في العشرين من جمادىٰ الآخرة يوم الجمعة سنة اثنين من المبعث وقيل: سنة خمس من المبعث»[2]

ومنها: ما في كتاب دلائل الامامة لمحمد بن جرير الطبري الامامي، عن ابي المفضّل الشيباني، عن محمد بن همام، عن احمد بن محمد البرقي، عن احمد بن محمد بن عيسىٰ، عن عبدالرحمٰن بن ابي نجران، عن ابن سنان، عن ابن مسكان، عن ابي بصير، عن ابي عبدالله عليه السلام:

قال: ولدت فاطمة في جمادىٰ الآخرة اليوم العشرين منها سنة خمس واربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاقامت بمكة ثمان سنين، وبالمدينة عشر سنين، وبعد وفاة ابيها خمساً وسبعين يوماً، وقبضت في جمادىٰ الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة.

هذا وقد ذكر المجلسي روايات اخرىٰ عديدة تذكر انها ولدت بعد النبوة بخمس سنوات من روايات اهل البيت وروايات اهل السنة.

وهناك روايات كثيرة تؤكد علىٰ انّ الزهراء عاشت ثمانية عشر عاماً وبضعة اشهر، وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم توفي عن ثلاث وستين عاماً على الاكثر.

قال ابن الاثير: واختلفوا في عمره يوم مات. فقال ابن عباس، وعائشة، ومعاوية، وابن المسيب: كان عمره ثلاثاً وستين سنة.

وقال ابن عباس أيضاً وذغفل بن حنظلة: كان عمره خمساً وستين سنة، وقال عروة بن الزبير: كان عمره ستين سنة).[3]

---

(١) البحار ج ٤٣/٩.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣/٩.

(٣) الكامل في التاريخ ج ٢/ص ١٩٦.

وان اخذنا بالروايات التي تقول انها ولدت في السنة الثانية من البعثة فيجب ان نلتزم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم توفي عن ستين عاماً وهو خلاف المروي والمعروف عند المسلمين. وإن جاءت فيه اقوال شاذة.

وعلىٰ هذا يمكن ان يكون الاقرب للصحة ان الزهراء عليها السلام ولدت في العشرين من جمادىٰ الآخرة في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

نشأت الزهراء صلوات الله وسلامه عليها في بيت الوحي والنبوة، وتربّت على يد خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم فتعلمت مكارم الاخلاق، وجميل الصفات فكانت كما كناها صلى الله عليه وآله وسلم (ام ابيها).

وقفت عليها السلام مع ابيها المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم في كل مراحل حياته وجهاده من أجل الاسلام تذب عنه، وتدافع عن رسالته، تداوي جروحه في مكة، وفي شعب ابي طالب حيث عاشت معه الحصار والفاقة، ثم هاجرت معه الىٰ المدينة.

تقول ام سلمة: «تزوجني النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدما دخل المدينة وفوض أمر ابنته إليَّ فكنت أودبها وكانت والله آدب مني، وأعرف بالاشياء كلها».(١)

تزوجت بأمر الله تعالىٰ من علي بن ابي طالب عليه السلام فكانت نموذجاً اسمىٰ للزوجة في كل تفاصيل الحياة الزوجية سواءً في ادارة بيتها، أو تربية اولادها، أو علاقتها بزوجها. يقول علي عليه السلام:

(فوالله ما أغضبتها، ولا اكرهتها علىٰ أمر حتىٰ قبضها الله عزوجل، ولا أغضبتني، ولا عصت ليّ أمراً، ولقد كنت انظر اليها فتنكشف عني الهموم والاحزان)

وسوف نتعرض الىٰ جوانب من حياتها وخصائصها وسجاياها فيما يأتي ان شاء الله.

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣ نقلاً عن دلائل الامامة.

خصائص الزهراء وسجاياها

للزهراء الطاهرة سلام الله عليها خصائص كثيرة ضمتها كتب السيرة والتاريخ، ويمكن تقسيمها الىٰ نوعين:

النــــوع الاول: والذي يمكن ان نسميه بالاجتباء والاكرام الرباني لها وذلك بمنحها جملة من الصفات والمقامات الرفيعة السامية التي عبّرت عنها بعض تسمياتها والقابها كفاطمة والبتول والسيدة، والعذراء، والزهراء، والحوراء، والمباركة، والطاهرة والزكية، والمحدّثة، ومريم الكبرىٰ، والصديقة الكبرىٰ وغير ذلك.

ولكل من هذه الاسماء معنىٰ عقائدياً كبيراً وليس مجرّد تسمية يراد بها التكريم والتعظيم فقد ورد مثلاً كما في عيون اخبار الرضا بالاسناد الىٰ دارم قال: «حدثنا علي بن موسىٰ الرضا ومحمد بن علي عليهما السلام قالا: سمعنا المأمون يحدّث عن الرشيد عن المهدي، عن المنصور عن أبيه عن جدّه قال: قال ابن عباس لمعاوية:

أتدري لِمَ سميت فاطمةُ فاطمةَ؟

قال: لا.

قال: لانها فُطمت هي وشيعتها من النار، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوله.»[1]

وروي كذلك عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اني سميت ابنتي فاطمة لأن الله عزوجل فطمها وفطم من أحبها من النار.»[2]

وهذا يشير الىٰ جذور عقائدية عميقة لمعنىٰ الحب الذي يعصم من دخول النار، ويجب ان نبحث بدقة عن تلك المبررات، ونحاول الربط الصحيح بين اطراف

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣/ ص ١٢ و ذخائر العقبى ص ٢٦ ط عام ١٣٥٦ هـ اصدار مكتبة القدسي، كنز العمال ج ٦ ص ٢١٩.

(٢) بحار الانوار ج ١٢/٤٣.

القضية. أي معنىٰ ومفهوم حب الزهراء الذي يفطم من دخول النار، وبين ما وعد الله عزوجل من دخول العاصين النار، وكيف يَحُول حبها من دخول النار للعاصين والمذنبين.

وكذلك القول في اسمها الزهراء، وهو اسم يحمل معنى عقائدياً كبيرا، وقد جاء في تفسيره انها عليها السلام كانت اذا قامت الىٰ الصلاة يزهر نورها لاهل السماء كما تزهر الكواكب لاهل الارض.

روىٰ الطالقاني عن الجلودي عن الجوهري، عن ابن عمارة عن أبيه قال:

سألت ابا عبدالله عليه السلام عن فاطمة لِمَ سُميت زهراء؟.

فقال: لانها كانت إذا قامت في محرابها زَهَرَ نورها لاهل السماء».(١)

فما هو النور الذي يزهر لاهل السماء، هل هو نور انقطاعها الكامل الىٰ الله عزوجل، أو نور اخلاصها العظيم في عبادتها لله ربّ العالمين أو كما يقول الامام الصادق عليه السلام:

سُميت الزهراء؛ لأنّ نورها اشتق من نور عظمة الله سبحانه، ولمّا اشرق نورها غشي ابصار الملائكة فخروا الىٰ الله سجداً وقالوا: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فاوحىٰ اليهم هذا نوري اسكنته في سمائي، وأخرجه من صلب نبي من انبيائي، افضله علىٰ جميع الانبياء، واخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري ويهدون الىٰ حقي، أجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي»(٢)

فهل هو نور النبوة، ونور الامامة اجتمعا فيها دون غيرها من الخلق اجمعين، فهي بنت سيد المرسلين وام الأئمة الطاهرين، وبها امتد النبي صلى الله عليه وآله وسلم نسباً ونبوة.

كل هذه الامور بحاجة الىٰ بحث وتحقيق لانها تتضمن معاني عميقة ودقيقة، وتكشف عن رؤية عقائدية رفيعة، لا ينبغي ان نمرّ عليها مرور الكرام.

---

(١) بحار الانوار ج ١٢/٤٣.

(٢) وفاة الصديقة الزهراء للمقرم نقلاً عن المختصر للحسن بن سليمان ط النجف.

وقد احسست ان من التقصير ـ غير المغفور ـ بحق الصديقة الكبرىٰ أن أهمل تلك المعاني دون أن أودي ولو نزراً يسيراً من حقها فقررت أن اعيش في رحاب تلك السيرة العطرة، وأمرُّعليها لاشم عبقها واريجها، مكتفياً بالاشارة والاختصار، راجياً المولىٰ تعالىٰ ان يوفقني للكتابة عنها بما يجب وتستحق.

النـوع الثـاني: الصفات والخصائص الذاتية المكتسبة، والتي تعبرّ عن حجم ايمانها العميق بالاسلام، عقيدة وشريعة واخلاقاً، والذي وصلت به الىٰ ذروة الكمال لا لأنها المختارة المجتباة من رب العالمين فقط، بل وباعتبارها امرأة من سائر المسلمين اصبحت قدوة ومناراً، وعَلَماً للحق ونوراً يستضاء به بسبب حجم ايمانها بالله وتمسكها بدينها.

واذا كانت مسيرة الانسانية الصالحة بحاجة الىٰ القدوة **﴿فبهداهم اقتده﴾**[1] خطاب للرسول ﷺ و**﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة﴾**[2] خطاب للانسانية المؤمنة، فان المسيرة الايمانية طفحت بزخم هائل من المقتدين الصالحين وسجلت لهم ذاكرة التاريخ أجمل الصور واسماها فملئت صفحاته زهواً وفخراً.

وبرز من بين هؤلاء نماذج اصبحوا ـ بحق ـ قدوة القدوة ونموذجاً رائعاً لا يسع الانسان الّا ان يقف امامه اجلالاً واحتراماً.

وتأتي الزهراء في طليعة هؤلاء، بل سيدتهم جميعاً فكانت المثل الاروع في حبها لربها ولرسوله ﷺ وفي سلوكها الاخلاقي مع زوجها واولادها وخادمتها، وفي عبادتها وتقواها، وزهدها وتعففها، وجهادها في سبيل الله من اجل الامة والاسلام، وفي شجاعتها وتنمرها في ذات الله عزوجل.

ورغم الظلم الفادح الذي نال الزهراء، بتعمد المؤرخين وكتّاب السيرة علىٰ طمس كل تلك المعالم وقد نجحوا ـ للأسف الشديد ـ في اخفاء الكثير تحت ضغط

---

(١) الانعام/ ٩٠.

(٢) الاحزاب/ ٢١.

السياسات المعادية لاهل البيت عليهم السلام إلّا أن النزر اليسير الذي استعصىٰ على اولئك اخفائه يصلح ان يكون مؤشراً علىٰ ما تمتعت به الصديقة الكبرىٰ من كمال جعلها في الذروة ديناً واخلاقاً وورعاً وزهداً. وبكلمة مختصرة: نموذجاً وتجسيداً حياً وصادقاً للاسلام بكل ما فيه من قيم.

ولنقف مع بعض تلك الجوانب، وقفة اقتداء ووفاء واداء لحق بضعة المصطفىٰ وسيدة نساء العالمين، من خلال عرضٍ لبعض جوانب حياتها الشخصية.

أدبها مع أبيها

محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيد الانبياء والمرسلين، وسيد ولد أدم أجمعين فكيف لا يحق للزهراء عليها السلام ان تعتز وتفتخر به فَمَن مثلُ محمد، ومَنْ يَعدِل محمداً، ومن وصل الىٰ ما وصل اليه محمد من كمال وسمو وهو الذي قال عنه رب العالمين:

﴿وانك لعلىٰ خُلق عظيم﴾[1]

ومع ذلك نرىٰ الزهراء عليها السلام تنظر الىٰ ابيها صلى الله عليه وآله وسلم نظرة المؤمن المتعبّد، السامع المطيع.

لم تقع عليها السلام تحت تأثير البُنوة له، فتتصرف معه كما يتصرف الابناء مع الآباء، رغم علمها بحجم حبه ومودته لها، وهي التي كانت تسمعه يقول: فاطمة بضعة مني، فاطمة روحي التي بين جنبي.

نظرت اليه كرسول لرب العالمين، قبل ان تنظر اليه كوالد، وتعاملت معه كما يتعامل المؤمنون مع الرُسل، ولم تسمح لروابط البُنوة بتجاوز آداب النبوة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب ان يرىٰ وحيدته الصديقة تتعامل معه كأب، يسمع منها ما يسمع الآباء من ابنائهم، وتتصرف معه كما يتصرفون، خاصة وهو يعلم انها استكملت الايمان، فلا يمكن ان يصدر منها ما لا يليق وشأن الانبياء.

---

(١) القلم / ٤.

ومع ذلك بقيت محتفظة بقدسية النبوة وآدابها، تنظر الىٰ ابيها كنبي، قبل ان تنظر اليه كأب، فلم تقل له يا ابه وانما يا رسول الله، مما دعاه صلى الله عليه وآله الىٰ ان يقول لها: «قولي: يا أبه فانها احيىٰ للقلب». فقد روىٰ القاضي ابو محمد الكرخي في كتابه عن الصادق عليه السلام قال: قالت فاطمة:

لما نزلت ﴿ولا تجعلوا دعاءَ الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾[1] هبتُ رسول الله صلى الله عليه وآله ان اقول له: يا أبه فكنت اقول: يا رسول الله فأعرض عني مرة أو اثنتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليَّ فقال:

يا فاطمة إنها لم تنزل فيك، ولا في اهلك ولا في نسلك، أنت مني وأنا منك إنما نزلت في اهل الجَفاء والغِلظة من قريش اصحاب البذخ والكبر قولي: يا أبه فانها أحيىٰ للقلب وارضىٰ للرب».[2]

وبهذا تعطي الزهراء عليها السلام درساً بليغاً في مستوىٰ وطبيعة العلاقة بين القائد وابنائه، فهي كما شهدنا لم تغلّب عاطفتها كبنت، على ما لمقام النبوة من جلال واحترام، وقدّمت ايمانها بابيها كرسول لربّ العالمين علىٰ كونها بنتاً له خوفاً من ان يكون ندائها له بياأبتي مشمول بقوله تعالى ﴿ولا تجعلوا دعاءَ الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾، وجاء الرسول صلى الله عليه وآله ليؤكد حقيقة تحمل من المعاني الكثير، وتدلل علىٰ ما للزهراء من مكانة سامية عند الله ورسوله فيقول لها: يا فاطمة انها لم تنزل فيك ولا في اهلك ولا في نسلك، لانك جزء من الشخصية النبوية «أنت مني وأنا منك»، فلا يشملك الخطاب «فقولي يا أبه فانها احيىٰ للقلب وارضىٰ للرب».

لقد علمتنا كيف يجب ان نقف عند الحدود، وكيف نحترم القيم، وكيف نتعامل مع انفسنا ومع الناس، وكيف نجعل الايمان كابحاً للغرور والطيش، فها هي فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله سيد الانبياء والمرسلين والناس اجمعين، لم تتخذ من مكانتها ومقامها

---

(١) النور / ٦٣.

(٢) بحار الانوار ج ٣٢/٤٣.

وسيلة للاستعلاء علىٰ الناس، أو التكبر عليهم، وبقيت كما هي في سيرتها تنظر الىٰ نفسها كواحدة من المسلمين، من دون امتيازات خاصة، أو استثناءات فردية تميزها عن الآخرين، رغم انها صلوات الله وسلامه عليها تستحق اعظم الوان التكريم والتقدير.

حُبها لأبيها

لقد أمر الله عز وجل المؤمنين بحب رسوله ﷺ ومودته واهل بيته عليهم السلام فقد روي عن النبي ﷺ انه قال:

«فوالذي نفسي بيده لا يؤمنُ احدُكم حتى أكونَ أحبَّ اليه من والدِهِ وَوَلَده».[1]

وعن أنس قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والدِهِ وَوَلَدِه والناس اجمعين»[2]

وروىٰ انس أيضاً عن النبي ﷺ انه قال:

ثلاث من كُنَّ فيه وجدَ حلاوة الايمان أن يكون الله ورسولُهُ أحبَّ اليه مما سواهُما»[3]

ومما لا ريب فيه ان رسول الله ﷺ ليس بحاجة الىٰ حب الناس، فهو حبيب رب العالمين ونجيبه وصفيه، الذي كرّمه بما لم يكرّم به احد فقال عز وجل: ﴿ان الله وملائكته يصلون علىٰ النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾[4]

الّا ان الحكمة الربانية اقتضت اضافة الىٰ اعتبار حبه ﷺ عبادة من اعظم العبادات، وطاعة من أوجب الطاعات، ان تكون العلاقة بين الرسول وامته من

---

(١) صحيح البخاري ج ١/ ٧٠.

(٢) صحيح البخاري ج ١ / ٧٠.

(٣) صحيح البخاري ج ١ / ٧٠.

(٤) الاحزاب / ٥٦.

خلال قنوات الحب والمودة الخالصة، وتوظيف هذه العلاقة الىٰ حب للمبادئ والقيم الربانية التي جاء بها من عند الله تعالى. فما اكبر الفرق بين من يُؤمن وهو لا يحب، وبين من يؤمن ويحب:

﴿محمد رسول الله والذين معه اشداء علىٰ الكفار رحماء بينهم﴾.(١)

وأكد القرآن للمؤمنين والمسلمين ان رسول الله ﷺ الذي امرنا الله بحبه يحمل لهم في قلبه، وبين جوانحه من الحب اعظم مما يحمله المسلمون له من حب فقال عزوجل:

﴿ليخرجكم من الظلمات الىٰ النور وكان بالمؤمنين رحيماً﴾.(٢)

وجاء في روايات عديدة انه اذا كان يوم القيامة فان جميع الانبياء والرسل يقولون: ربي نفسي الا نبينا محمد ﷺ فانه ينادي: ربي امتي.

وفي هذا المجال كانت الزهراء نموذجاً من اروع النماذج في حبها لابيها ﷺ فقد امتلأت روحها الطاهرة بحبه ومودته ولم تكن تفارقه في سراء ولا ضراء.

وقد روىٰ المؤرخون والرواة بعضاً من تلك الصور نذكر بعضها:

يقول ابو ثعلبة الخشني كان رسول الله ﷺ اذا قدم من سفره يدخل على فاطمة، فدخل عليها فقامت اليه واعتنقته وقبلت بين عينيه.(٣)

وتروي ام المؤمنين عائشة أن فاطمة كانت إذا دخلت علىٰ رسول الله ﷺ قام لها من مجلسه، وقبّل رأسها وأجلسها مجلسه، واذا جاء اليها لقيته وقبّل كل واحد منهما صاحبه وجلسا معاً.(٤)

وعن أبي علي الصولي قال عبدالله بن الحسن دخل رسول الله ﷺ على

---

(١) الفتح / ٢٩.

(٢) الاحزاب / ٤٣.

(٣) بحار الانوار ج ٤٣/ ٤٠.

(٤) راجع صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣١٩ ط مطبعة بولاق عام ١٢٩٢ هـ ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٥٤ ط دائرة المعارف النظامية بحيدر آبادكن عام ١٣٢٤ هـ

فاطمة فقدّمت له كسرة يابسة من خبز شعير فأفطر عليها ثم قال:

يا بنية هذا أول خبزٍ أكل أبوك منذ ثلاثة ايام. فجعلت فاطمة تبكي ورسول الله يمسح وجهها بيده.[١]

ويروىٰ عن ابي ايوب الانصاري قال:

انَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض مرضةً فأتته فاطمة عليها السلام تعوده وهو ناقه من مرضه ـ أي قد برئ من علته ولكنه ضعيف ـ فلما رأت ما برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الجهد والضعف خنقتها العبرة حتىٰ جرت دمعتها علىٰ خدها.[٢]

وروي عن ابي ثعلبة الخشني يقول:

قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزاة له فدخل المسجد فصلىٰ فيه ركعتين، وكان يعجبه إذا قدم ان يدخل المسجد فيصلي فيه ركعتين، ثم خرج فأتى فاطمة عليها السلام فبدأ بها قبل بيوت ازواجه فاستقبلته فاطمة عليها السلام وجعلت تقبّل وجهه وعينيه وتبكي.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما يبكيك؟

قالت: أراكَ قد شحب لونك.

فقال لها: يا فاطمة إنّ الله عزوجل بعث أباك بأمرٍ لم يبق علىٰ ظهر الارض بيت مَدَرٍ ولا شَعرٍ إلّا أدخله به عزاً أو ذلاً يبلغ حيث بلغ الليل»[٣]

وعن عبدالله بن عباس قال:

لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة بكىٰ حتىٰ بلّت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟

قال: ابكي لذريتي وما تصنع بهم شرار امتي من بعدي، كأني بفاطمة بنتي وقد ظُلمت وهي تنادي يا أبتاه فلا يعينها أحد من أمتي.

---

(١) بحار الانوار ج ٤٠/٤٣.

(٢) بحار الانوار ج ٩٧/٤٣.

(٣) حلية الاولياء لابي نعيم ج ٢ ص ٣٠٠ مطبعة السعادة بمصر.

فسمعت ذلك فاطمة عليها السلام فبكت.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تبكي يا بنية.

فقالت: لست ابكي لما يصنع بي من بعدك ولكن أبكي لفراقك يا رسول الله.

فقال لها: ابشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي فانك أول من يلحق بي من اهل بيتي.[1]

ولم يحدثنا التاريخ عن احدٍ يفرح ويستبشر بالموت لانه سيلتحق بحبيبه غير الزهراء عليها السلام، تقول عائشة:

ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا ابنته فاطمة عليها السلام فاسارّها فبكت، ثم سارّها فضحكت.

فقلت: ما هذا الذي سارّك به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكيت ثم سارك فضحكت؟

فقالت: أخبرني بموته فبكيت ثم سارّني فأخبرني اني اول من يتبعه من أهله فضحكت».[2]

أدبها مع زوجها

سجلّ التاريخ للزهراء صلوات الله وسلامه عليها أجمل الصور التي جسدت أسمىٰ نماذج العلاقة بين المرأة وزوجها في كل تفاصيل الحياة الأسرية، ابتداءً من علاقتها بزوجها الىٰ تربية اولادها وادارة شؤون بيتها، وانتهاءاً بمواقفها التضحوية الباسلة في قضية الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وتعتبر حياة الزهراء، بما طفحت به من صور رائعة، القدوة لحياة المرأة والاسرة المسلمة وما يجب ان يكونا عليه.

تبدأ مسيرة حياتها الزوجية بما استفاض في كتب الفريقين من ان الله عزوجل

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣/ ٤٠، كنز العمال ج ٧ ص ١١١ طبع دائرة المعارف النظامية.

(٢) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٤٢ باب فضائل فاطمة مطبعة بولاق.

هو الذي أمر بتزويج فاطمة من علي عليه السلام.

فعن مسروق وعن ابن مسعود كلاهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

إن الله تعالىٰ أمرني أن ازوج فاطمة من علي.(١)

وفي كتاب ابن مردويه، قال ابن سيرين: قال عبيدة: انّ عمر بن الخطاب ذكر علياً فقال: ذاك صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل جبرئيل علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

إنّ الله يأمرك ان تزوج فاطمة من علي.(٢)

وعن أنس قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فغشيه الوحي فلما أفاق قال لي:

يا أنس أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟

قال قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: أمرني أن ازوج فاطمة من علي...»(٣)

ولم تتميز الزهراء بما تتميز به بنات الملوك والسلاطين في مثل هذه المناسبات. لقد تزوجت من دون امتيازات أو استثناءات مادية. زواج سمته البساطة والتقشف في الوقت الذي كان بامكان ابيها صلى الله عليه وآله وسلم ان يقيم لها حفلاً يناسب شأنها ومكانتها من دون تجاوز حتىٰ لحكم المكروه وذلك بالانفاق عليها من أموال امها الطاهرة خديجة بنت خويلد عليها السلام التي ورثتها الزهراء عليها السلام، وكما هو معروف فان خديجة كانت من اثرياء العرب والمسلمين، ومع ذلك فان واقع النصوص الواردة عكست لنا صورة تتسم بابسط انواع الزهد والتقشف لزواج الزهراء عليها السلام وجهازها.

فعن ابن طريف عن ابن علوان عن جعفر عن ابيه عليهما السلام قال:

كان فراش علي وفاطمة حين دخلت عليه إهاب كبش، إذا ارادا أن يناما عليه قلباه فناما علىٰ صوفه.

---

(١) بحار الانوار ج ١١١/٤٣.

(٢) بحار الانوار ج ١١١/٤٣.

(٣) بحار الانوار ج ١١٩/٤٣.

قال: وكانت وسادتهما أداماً حشوها ليف.

قال: وكان صداقها درعاً من حديد.[1]

ويروي جابر عن ابي جعفر عليه السلام قال:

لمّا تزوج عليٌّ فاطمة بسط البيت كثيباً، وكان فراشهما إهاب كبش، ومرفقهما محشوة ليفاً، ونصبوا عوداً يوضع عليها السقاء فستره بكساء.[2]

وكانت سلام الله عليها وهي بنت النبوة الخاتمة تقوم بكل شؤون بيتها حتى قال علي عليه السلام لرجل من بني سعد: ألا احدثك عني وعن فاطمة إنها كانت عندي وكانت من أحب اهله إليه ـ أي الىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ وانها استقت بالقربة حتى اثّر في صدرها، وطحنت بالرحىٰ حتى مجلت يداها،[3] وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، واوقدت النار تحت القدر حتىٰ دكنت ثيابها فاصابها من ذلك ضرر شديد.[4]

واستمرت وحيدة في ادارة شؤون بيتها، فترة طويلة من الزمن، يرهقها الاستقاء بالقربة، والطحن بالرحىٰ وغير ذلك من شؤون البيت.

وفي يوم من الايام: رأىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وعليها كساء من أجلة الابل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة.

قالت: يا رسول الله الحمد لله علىٰ نعمائه، والشكر علىٰ آلائه.

فانزل الله ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ﴾.[5]

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣/١٠٤.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣/١١٧.

(٣) مجلت يداها: أي ثخن جلدها في العمل بالاشياء الصلبة.

(٤) بحار الانوار ج ٤٣/٨٢، صحيح ابي داوود ج ٣٣ في باب التسبيح عند النوم طبع المطبعة الكسلتية.

(٥) بحار الانوار ج ٤٣/٨٦، وكنز العمال ج ٦ ص ٢٩٥.

وكما يروي ابوهريرة فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك وهبها خادمة سماها فضة بعد نزول قوله تعالىٰ ﴿فقل لهم قولاً ميسورا﴾ بعد ان كان يمتنع عن ذلك كما تشير النصوص.(١)

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد علّم علياً وفاطمة ما علىٰ كل واحد منهما من واجبات تجاه الآخر: فقضىٰ علىٰ فاطمة بخدمة ما دون الباب، وقضىٰ علىٰ علي بما خلفه».(٢)

وعن ابي جعفر عليه السلام قال:

ان فاطمة ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين وقمّ البيت، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب، وان يجيئ بالطعام.

فقال لها يوماً: يا فاطمة هل عندك شيء؟

قالت: والذي عظّم حقّك ما كان عندنا منذ ثلاثة ايام شيء نقريك به.

قال: أفلا أخبرتني؟

قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهاني أن أسألك شيئاً فقال: لا تسألين ابن عمك شيئاً إن جاءك بشيء والاّ فلا تسأليه».(٣)

يمكن مراجعة مصادر ذلك في: صحيح ابن ماجة في ابواب النكاح ص ١٣٩ و ابواب الزهد ص ٣١٦، ومستدرك الصحيحين ج ٢ ص ١٨٥، ومسند احمد ج ١ ص ٨٤، والطبقات الكبرىٰ لابن سعد ج ٨ ص ١٥، وحلية الاولياء ج ٣ ص ٣٢٩.

ويصف لنا علي عليه السلام حياته مع الزهراء الزكية فيقول:

فوالله ما اغضبتها، ولا اكرهتها علىٰ أمر حتىٰ قبضها الله عزوجل، ولا اغضبتني، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت انظر إليها فتنكشف عني الهموم والاحزان».(٤)

---

(١) البحار ج ٨٥/٤٣.

(٢) بحار الانوار ج ٨١/٤٣.

(٣) بحار الانوار ج ٣١/٤٣.

(٤) بحار الانوار ج ١٣٤/٤٣.

ونحن لا نشك في ان العلاقة بين علي والزهراء كانت كذلك، بل واعظم واسمى مما يرويه كتّاب السيرة والتاريخ، وان الكثير من تلك الصور قد ضاعت مع السنين، أو غُيّبت عمداً واستبدلت بصور مشوهة وتافهة أساءت لبضعة المصطفىٰ ووصيه المرتضىٰ في محاولة لتهديم بيت النبوة وتشويه صورته الناصعة.

وقد يذهل المتتبع، لسيرة اهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، من تلك التفاهات، التي تشم منها رائحة العداء الاموي والعباسي للزهراء وعلي، فمن تلك الدسائس تمنّع الزهراء من الزواج بعلي:

اولاً: لسوء خِلقَتِهِ وعدم جماله!! فيروي أُبي عن بعض اصحابه رفعه قال:

كانت فاطمةعليها‌السلام لا يذكرها أحد لرسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلّا أعرض عنه حتىٰ آيس الناس منها، فلما اراد ان يزوجها من علي أسرَّ إليها فقالت:

يا رسول الله أنت أولىٰ بما ترىٰ غير انَّ نساء قريش تحدثني عنه انه رجل دحداح البطن، طويل الذراعين، ضخم الكراديس، أنزع، عظيم العينين والسكنة ضاحك السن لا مال له). (١)

وثانياً: لفقره وقلة ما في يده فعن ابي هريرة قال:

قالت فاطمة: يا رسول الله زوجتني علي بن ابي طالب وهو فقير لا مال له.

فقال: يا فاطمة أما ترضين أن الله اطلّع الىٰ الارض اطلاعة فاختار منها رجلين: احدهما ابوك والآخر بعلك). (٢)

ولا يعدمنا هؤلاء صوراً للخلافات الزوجية المفتعلة في داخل البيت الطاهر، وغضب الزهراء علىٰ اميرالمؤمنين تارة بسبب جارية أدخلها البيت دون إذنها فرأتها الزهراء وراس علي في حجرها كما يروون ذلك عن ابى ذررحمه‌الله فيقولون علىٰ

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣/٩٩.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣/١٣٩.

لسانه انه قال:

كنت انا وجعفر بن ابي طالب مهاجرين الىٰ بلاد الحبشة فأُهديت لجعفر جارية قيمتها أربعة آلاف درهم فلما قدمنا المدينة أهداها لعليعليه السلام تخدمه فجعلها علي في منزل فاطمة.

فدخلت فاطمةعليها السلام يوماً فنظرت الىٰ رأس عليعليه السلام في حجر الجارية فقالت: يا أبا الحسن فعلتها. فقال: لا والله يا بنت محمد ما فعلت شيئاً فما الذي تريدين؟ قالت: تأذن لي في المصير الىٰ منزل أبي رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم. فقال لها: قد أذنت لك...).[1]

وغاب عن هؤلاء ان اباذر لم يكن ممن هاجر الىٰ الحبشة.

وتارة لأن علياًعليه السلام خطب بنت ابي جهل على ما يروي البخاري في باب اصهار النبيصلى الله عليه وآله وسلم باسناده عن المسور قال: ان علياً خطب بنت ابي جهل فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح بنت ابي جهل. فقام رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فسمعته حين تشهد يقول: اما بعد انكحت ابا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني وان فاطمة بضعة مني واني اكره ان يسوئها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد. فترك علي الخطبة.

واخرىٰ لخلافات غير معروفة كما يروي ذلك ابو هريرة فيقول: صلىٰ بنا رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم الفجر ثم قام بوجهه كئيب وقمنا معه حتىٰ صار الىٰ منزل فاطمةعليها السلام فابصر علياً نائماً بين يدي الباب علىٰ الدّفعاء، فجلس النبيصلى الله عليه وآله وسلم فجعل يمسح التراب، ثم أخذ بيده ودخلا منزل فاطمة فمكثنا هنيئة، ثم سمعنا ضحكاً عالياً؟! ثم خرج علينا رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم بوجه مشرق، فقلنا: يا رسول الله دخلت بوجه كئيب

---

(١) بحار الانوار ج ١٤٧/٤٣.

وخرجت بخلافه، فقال: كيف لا افرح وقد أصلحت بين اثنين أحب اهل الارض الىٰ أهل السماء).(١)

والذي يروه الهيثمي في مجمعه غير ذلك اذ يروي عن ابن عباس انه قال: لمّا آخىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين اصحابه من المهاجرين والانصار فلم يواخ بين علي بن ابي طالب عليه السلام وبين احدٍ منهم خرج مغضباً حتىٰ اتىٰ جدولاً فتوسد ذراعيه ـ الىٰ ان قال ـ فقال له: ما صلحت ان تكون الّا ابا تراب، أغضبت عليَّ حين آخيت بين المهاجرين والانصار، ولم اواخ بينك وبين احد منهم؟ اما ترضىٰ ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انه ليس بعدي نبي؟ ألا من احبك حف بالأمن والايمان، ومن ابغضك اماته الله ميتة جاهلية وحوسب بعمله في الاسلام).(٢)

ثم ان هناك ظاهرة غريبة تتسم بها الروايات والنصوص التي تتحدث عن شؤون البيت العلوي وما فيه من خلافات!! وهي ان الراوي المباشر رجل يروي مباشرة عن فاطمة الزهراء، ولم يبين لنا ابو هريرة أو غيره كيف تسنىٰ لهم الحصول علىٰ أدق التفاصيل عن الخلافات بين علي والزهراء.

ومهما يكن من امر فان هذه النصوص يجب ان تخضع في عملية التقييم الىٰ أمرين:

الامر الاول: ان علياً والزهراء معصومان فلا يمكن ان يصدر منهما ما يمس هذا المقام الرفيع المقدس.

والامر الثاني: انهما يجسدان اعلى مستويات القيم والاخلاق الاسلامية، فهما القدوة والحجة في قولهما وفعلهما، ولا يمكن ان يخالفا ما يدعوان الناس اليه.

فكل نص من هذه النصوص خالف روح التقييم المنطقي والصحيح لخط مدرسة اهل البيت الاخلاقية يجب ان نتحفظ تجاهه.

---

(١) بحار الانوار ج ١٤٦/٤٣.

(٢) مجمع الهيثمي ج ١١١/٩، كنز العمال ج ١٥٤/٦.

قال ابن بابويه رحمه الله وهو يتحدث عن هذه النصوص:

هذا غير معتمد لانهما منزهان أن يحتاجا ان يصلح بينهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.[1]

ويقول الامام الصادق عليه السلام منددا بمحاولات التشويه والتضليل:

«ان رضا الناس لا يملك، والسنتهم لا تضبط، وكيف تسلمون مما لم يسلم منه انبياء الله ورسله وحجج الله.

الم ينسبوا يوسف عليه السلام الىٰ انه همَّ بالزنا...

الم ينسبوا سيد الاوصاء الىٰ انه اراد ان يتزوج ابنة ابي جهل علىٰ فاطمة عليها السلام، وان رسول الله شكاه علىٰ المنبر الىٰ المسلمين فقال: انّ علياً يريد ان يتزوج ابنة عدو الله علىٰ ابنة نبي الله، الا ان فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني، ومن سرها فقد سرني، ومن غاضها فقد غاظني»[2]

الزهراء في عبادتها

واكبت الزهراء عليها السلام مسيرة الرسالة، وعاشت أجواء الوحي والنبوة، ورأت النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهو يجسّد أروع صور الانقطاع الىٰ الله عزوجل، لا في محرابه فقط، بل وفي كل شؤون حياته، الصغيرة منها والخطيرة.

وكان حظ الزهراء عليها السلام في مدرسة النبوة الاوفر، كيف لا وهي العارفة بالله تعالىٰ، المحدّثة المختارة التي جعل الله رضاها من رضاه، وسخطها من سخطه.

ومهما قلنا في عبادتها وطاعتها لله واخلاصها له فلن نفي لها ببعض حقها فهي كما وصفها صلى الله عليه وآله وسلم:

«كانت اذا قامت في محرابها زهر نورها لاهل السماء كما يزهر نور الكواكب لاهل الارض».

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣/٤٢.

(٢) آمالي الصدوق، المجلس ٢٢.

وما ذلك إلّا بسبب انقطاعها لله واخلاصها له.

ووصفها لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

«يا سلمان إنّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً الىٰ مشاشها[1] تفرغت لطاعة الله...».

وما أجمل تعبير الحسن البصري حيث يقول:

«ماكان في هذه الامة أعبد من فاطمة عليها السلام كانت تقوم حتىٰ تورم قدماها»[2]

ومع ذلك فان ما يميز تلك العبادة، الطابع الاجتماعي لها بالرغم من كونها فردية وخاصة، فما اعظم الفرق بين عابد يريد بعبادته نفسه فقط، وبين عابد يريد بعبادته نفع الآخرين قبل نفسه، مؤثراً اخوانه المؤمنين علىٰ نفسه في الدعاء والتضرع الىٰ الله عزوجل. وهذه هي سيرة اهل البيت عليهم السلام العطاء العام وايثار الناس علىٰ انفسهم حتىٰ في هذه المجالات.

يروي ابن ابي عمير عن زيد النرسي قال:

كنت مع معاوية بن وهب في الموقف وهو يدعو، فتفقدت دعائه فما رأيته يدعو لنفسه بحرف، ورأيته يدعو لرجل رجل من الآفاق، ويسميهم ويسمي آبائهم حتىٰ فاض الناس.

فقلت له: يا عم لقد رايت منك عجباً.

قال: وما الذي أعجبك مما رأيت؟

قلت: إيثارك اخوانك علىٰ نفسك في مثل هذا الموضع، وتفقدكَ رجلاً رجلاً.

فقال لي: لا تعجب من هذا يا ابن أخي فاني سمعت مولاي ومولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وكان والله سيد من مضىٰ وسيد من بقي بعد آبائه عليهم الصلاة والسلام، والّا صُمتا أُذنا معاوية وعميتا عيناه، ولا نالته شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان لم

---

(١) المشاش هي رؤوس العظام اللينة.

(٢) عن بيت الاحزان، للقمي / ٢٢ و بحار الانوار ج ٨٤/٤٣.

اكن سمعته منه وهو يقول:

من دعا لأخيه في ظهر الغيب ناداه ملك من السماء الدنيا يا عبدالله ولكَ مائة الف ضعف مما دعوت، وناداه ملك من السماء الثانية يا عبدالله ولك مائتا الف ضعف مما دعوت، وناداه ملك من السماء الثالثة يا عبدالله ولك ثلاثمائة ضعف مما دعوت، وناداه ملك من السماء الرابعة يا عبدالله ولك اربعمائة الف ضعف ممادعوت، وناداه ملك من السماء الخامسة يا عبدالله ولك خمسمائة الف ضعف مما دعوت، وناداه ملك من السماء السادسة يا عبدالله ولك ستمائة الف ضعف مما دعوت، وناداه ملك من السماء السابعة يا عبدالله ولك سبعمائة الف ضعف مما سألت، ثم يناديه الله تبارك وتعالىٰ انا الغني الذي لا افتقر يا عبدالله لك الف الف ضعف مما دعوت.

فأي الخطرين اكبر يا ابن اخي ما اخترته انا لنفسي أو ما تأمرني به»[1]

هذه هي الروح الحقيقية التي أراد الله عزوجل ان تتسم بها العبادة النموذجية في اسمىٰ صورها.

وكانت الزهراء وهي ام الأئمة قد جسدت هذا النموذج في اجلى صوره، فكانت تقوم الليل في محرابها، راكعة ساجدة تدعو للمؤمنين والمؤمنات.

فعن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهما السلام قال:

«رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتىٰ اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء.

فقلت لها: ياأماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟

فقالت: يا بُني الجار ثم الدار».[2]

---

(١) عدة الداعي لابن فهد الحلي / ١٧١.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣ / ٨١.

وعن الامام موسىٰ بن جعفر عن ابيه عن آبائه عليهم السلام قال:

كانت فاطمة عليها السلام إذا دعت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها، فقيل لها: يا بنت رسول الله إنك تدعين للناس ولا تدعين لنفسك؟

فقالت: الجار ثم الدار»[1]

وكانت سلام الله عليها، وهي شجنة ممن وصفه ربه بانه كان بالمؤمنين رحيماً، قد جسدت هذه الرحمة ليس للاحياء من المؤمنين فقط، بل ولمن قضوا نحبهم من المؤمنين والمسلمين والشهداء والصالحين، ومن هؤلاء سيد الشهداء وبطل الاسلام حمزة بن عبدالمطلب الذي كانت تذهب لزيارته غداة كل سبت كما جاء عن الامام الصادق عليه السلام انه قال:

«إنّ فاطمة كانت تأتي قبور الشهداء في لكلّ غداة سبت، فتأتي قبر حمزة وتترحم عليه وتستغفر له».[2]

وفي ختام هذا الموضوع اقول ان ما يؤسف له، ان التاريخ حَرَم الأمة، من تسجيل ما كان يجب ان نعرفه عن عبادة الزهراء، فلا يجد الباحث الّا مقاطع قليلة، وهي وان كانت عظيمة ومعبّرة وكاشفة عما كانت عليه البتول، من تبحر في ذات الله وأخلاص له ولكنها لا تعكس الحقيقة بشمولية تامة، فلقد كانت اعظم من كل ما ذكر، كيف لا وهي التي اذا قامت في محرابها زهر نورها لاهل السماء كما تزهر الكواكب لأهل الارض كما يقول المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم.

صدق لهجتها

قالت أم المؤمنين عائشة وقد ذكرت فاطمة:

«ما رأيتُ أصدق منها إلّا أباها».

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣ / ٨٢.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣ / ٩٠.

وكيف لا تكون كذلك وهي بنت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وربيبة النبوة، وحليلة امام الصادقين علي بن ابي طالب عليه السلام.

ومن المؤكد ان الزهراء عليها السلام ليست بحاجة الىٰ شهادةِ أحدٍ عن (صدق لهجتها او عبادتها أو غير ذلك) بعد ان قَرَنَ الله عزوجل رضاه برضاها وسخطه بسخطها، وما كان سبحانه ليفعل ذلك لولا ما وصلت اليه الزهراء من كمال تام في إخلاص العبادة والطاعة لله تعالىٰ.

فقد سأل بُزل الهروي الحسين بن روح رحمه الله فقال:

كم بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقال: اربع.

قال: ايتهنّ أفضل؟

فقال: فاطمة.

قال: ولِمَ صارت أفضل وكانت أصغرهن سناً وأقلّهن صحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال: لخصلتين خصها الله بها، إنها ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها، ولم يخصها بذلك إلّا بفضل إخلاص عرفه من نيتها).[1]

وما يهمنا في هذا المجال هو ما تكشف عنه شهادة عائشة إذ انها تؤكد على مبدأ عظيم جاءت به الاديان السماوية جميعاً، وهو مصداقية الصادقين وتأثيرهم الكبير علىٰ القلوب والعقول في عملية التغيير الفردي والاجتماعي. فبالرغم مما هو معروف تاريخياً من عدم انسجام عائشة ام المؤمنين مع سيدة نساء العالمين من ناحية، وبينها وبين سيد المتقين علي عليه السلام من ناحية اخرىٰ، نجد عائشة سواء في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بعد وفاته ووفاة الزهراء تشهد بما كان لهما من فضل وايمان يفوق المستويات المعروفة للصحابة فعن كتاب ابي اسحاق الثعلبي عن جُميع بن عمير عن

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣ / ٣٧.

عمته قالت:

«سألتُ عائشة من كان أحبَّ الناس الىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقالت: فاطمة.

قلت: انما اسألك عن الرجال؟

قالت: زوجها، وما يمنعه فوالله ان كان ما علمت صواماً قواماً».[١]

وفي جامع الترمذي، وإبانة العكبري، وأخبار فاطمة عن أبي علي الصولي، وتاريخ خراسان عن السلامي مسنداً: ان جُميعاً التيمي قال:

دخلت مع عمتي على عائشة فقالت لها عمتي:

ما حملك علىٰ الخروج علىٰ علي؟

فقالت عائشة: دَعينا، فوالله ماكان أحد من الرجال أحبَّ الىٰ رسول الله من علي، ولا من النساء أحبَّ اليه من فاطمة»[٢]

ولم تمنع حالة عدم الانسجام الروحي من ان تشهد عائشة مراراً وتكراراً انها لم ترَّ اصدق لهجة من الزهراء.

يروي عبدالله بن الزبير عن أبيه عن عاشئة انها كانت اذا ذكرت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت:

ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة منها إلّا ان يكون الذي ولدها)[٣]

وتقول عائشة كما في الحلية لابي نعيم، ومسند ابي يعلي:

(ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة غير ابيها)[٤]

ووقع خلاف بين فاطمة وعائشة فلم تلجأ عائشة الىٰ شهود أو يمين وانما لجأت

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣ / ٥٣.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣ / ٣٨.

(٣) بحار الانوار ج ٤٣ / ٦٨.

(٤) بحار الانوار ج ٤٣ / ٨٤.

الىٰ فاطمة نفسها لاثبات دعواها عند رسول الله ﷺ فقالت له:

(يا رسول الله سلها فانّها لا تكذب)[1]

وقالت عنها كذلك:

(ما رأيت أحداً كان أشبه سمتاً برسول الله ﷺ من فاطمة)[2]

وتقول عائشة كذلك:

(ما رأيت من الناس أحداً اشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة...)[3]

الصبر والمواساة

عاشت الزهراء عليها السلام الحقبة الزمنية القاسية من تاريخ الاسلام، حقبة الفقر والعسر والمعانات والشدة. ولم تكن هذه الحالة خاصة باحد بل عمّت جميع المسلمين فلم يكن من اليسير ان يتوفر لكل بيت أو فرد طعام يوم من زادٍ بسيط يسدّ رمقهم. وسجل التاريخ صوراً لا تكاد تصدق لما كان يعانيه المسلمون من ضنك العيش وقلة ما في اليد.

والذي يظهر من النصوص المختلفة ان معانات البيت النبوي كانت مضاعفة، اولاً: للوضع الاقتصادي العام الذي كان يعيشه المسلمون وهم جزء منه. وثانياً: للموقع القيادي الذي كان يمثله، فالنبي القدوة ﷺ كان يؤثر غيره حتىٰ بلقمة العيش البسيطة ﴿ويوثرون علىٰ انفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[4]

ويشهد لذلكَ ايضاً ما روي عن سبب نزول سورة الدهر، والتي عكست صورة عن الوضع الاقتصادي الصعب، ومعانات اهل بيت النبوة الطاهر الشديدة من ذلك،

(١) بحار الانوار ج ٤٣ / ٨٤.

(٢) صحيح الترمذي ج ٥ ص ٧٠٠ باب فضل فاطمة.

(٣) بحار الانوار ج ٤٣ / ٢٥.

(٤) سورة الحشر / ٩.

وإيثارهم لغيرهم من المسلمين، مما جعلهم بلا طعام يسد رمقهم ثلاثة ايام نذروا صومها لله تعالىٰ في القصة المعروفة التي بسببها نزلت سورة الدهر.

وقد نالت الزهراء قسطاً وافراً من تلك المعانات، يروي جابر بن عبدالله الانصاري قال:

خرج رسول الله ﷺ يريد فاطمة عليها السلام وانا معه، فلما انتهينا الىٰ الباب وضع يده فدفعه ثم قال:

السلام عليكم.

فقالت فاطمة: عليكَ السلام يا رسول الله.

قال: أدخل؟

قالت: ادخل يا رسول الله.

قال: أدخل انا ومن معي؟

فقالت: يا رسول الله ليس عليَّ قناع.

فقال: يا فاطمة خذي فضل ملحفتك فقنّعي به رأسك. ففعلت ثم قال: السلام عليكم.

فقالت: وعليك السلام يا رسول الله.

قال: أدخل؟

قالت: نعم ادخل يا رسول الله.

قال: انا ومن معي؟

قالت: أنت ومن معك.

قال جابر: فدخل رسول الله ﷺ ودخلت انا واذا وجه فاطمة أصفر كأنه بطن جرادة.

فقال رسول الله ﷺ مالي ارىٰ وجهك أصفر؟

قالت: يا رسول الله الجوع)[1]

وكيف لا يكون وجهها كذلك وهي التي تقول: يا بني الجار قبل الدار، موثرة الناس بدعائها وطعامها علىٰ نفسها.

لقد ربىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته الطاهرة علىٰ ابسط الوان العيش، والاقتصار علىٰ الحد الادنىٰ من ضروريات الحياة، والابتعاد عن كل الوان الترف ـ اذا صح التعبير ـ ومواساة الطبقة الفقيرة من المسلمين. يروي ابن شاهين في مناقب فاطمة، واحمد في مسند الانصار باسنادهما عن ابي هريرة وثوبان انهما قالا:

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبدأ في سفره بفاطمة ويختم بها، فجعلت وقتاً ستراً من كساء خيبرية لقدوم أبيها وزوجها فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم تجاوز عنها وقد عُرف الغضب في وجهه حتىٰ جلس عند المنبر، فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها ونزعت الستر فبعثت به الىٰ ابيها وقالت: اجعل هذا في سبيل الله، فلما أتاه قال صلى الله عليه وآله وسلم:

قد فعلت فداها ابوها ـ ثلاث مرات ـ ما لآل محمد وللدنيا فانهم خلقوا للآخرة وخلقت الدنيا لهم)[2]

وعن الامام علي بن الحسين عليه السلام انه قال:

حدثتني أسماء بنت عميس قالت: كنت عند فاطمة عليها السلام إذ دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي عنقها قلادة من ذهب كان اشتراها لها علي بن ابي طالب عليه السلام من فيء فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

يا فاطمة لا يقول ـ الناس ـ إنّ فاطمة بنت محمد تلبس لباس الجبابرة.

فقطعتها وباعتها واشترت بها رقبة فاعتقتها. فسرّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[3]

انّ الزهراء لم تفعل مكروها، فالقلادة اشتراها علي من مالٍ له كان نصيبه من فيء، وله ان يتصرف به كيف شاء. وما أحلَّ الله الذهب إلّا للنساء ولكن

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣ / ٦٢، وقريب منه في حلية الاولياء ج ٢ ص ٤٢.

(٢) بحار الانوار ج ٤٣ / ٨٦.

(٣) بحار الانوار ج ٤٣ / ٨١.

فزينها باجمل زينة علىٰ مدىٰ الزمن حين قال: فداها ابوها صلىٰ الله وسلم عليه وعليها.

الزهراء في علمها

وتميزت شخصية الزهراءعليها السلام بالعلم والمعرفة الشاملة، والاحاطة بكل صنوفها، وتبحرت في علوم الاسلام تبحراً دقيقاً، وشكل لها ذلك شخصية علمية استثنائية.

ويبدو انها تلقت المعرفة عن اكثر من طريق نذكر منها:

الطريق الاول: عُرفت الزهراءعليها السلام بانها (المُحَدَّثَةً) اذ كانت الملائكة تحدثُها، ولم تذكر النصوص حدود ذلك، وانواع العلوم التي تصلها عن هذا الطريق، ولعلّ السبب هو عدم قدرة الناس علىٰ استيعاب وفهم هذا الاسلوب من التلقي المعرفي المستند الىٰ الغيب.

الطريق الثاني: التلقي العام فيما تسمعه من أبيهاصلى الله عليه وآله وسلم أو بعلهاعليه السلام، وهي تشترك في ذلك مع بقية المسلمين، وتختلف عنهم في قدرتها على الاستيعاب الشامل الدقيق لما يقولون ويقصدون.

الطريق الثالث: وهو التلقي الخاص المروي عن أئمة اهل البيتعليهم السلام فعن الامام الصادقعليه السلام كما في كتاب بصائر الدرجات قالعليه السلام: وخلفت فاطمة مصحفاً، ما هو قرآن ولكنه كلام من كلام الله انزله عليها، املاءَ رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، وخط عليعليه السلام.

وعن ابي بصير قال: دخلت على أبي عبداللهعليه السلام فقلت: جعلت فداك اني اريد ان اسألك عن مسألة هاهنا أحد يسمع كلامي، قال: فرفع ابوعبداللهعليه السلام ستر بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه، ثم قال: يا ابا محمد سل عمّا بدا لك قال: قلت جعلت فداك ان شيعتك يتحدثون ان رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم علّم علياًعليه السلام باباً يفتح له الف باب. فقال: يا ابا محمد علّم رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم علياً ألف باب يفتح من كل باب باب.

وعن ابي بصير قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك اني اريد ان اسألك عن مسألة هاهنا أحد يسمع كلامي، قال: فرفع ابو عبدالله عليه السلام ستر بينه وبين بيت آخر فاضطلع فيه، ثم قال: يا ابا محمد سل عمّا بدا لك قال: قلت جعلت فداك ان شيعتك يتحدثون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علّم علياً عليه السلام باباً يفتح له الف باب.

فقال: يا ابا محمد علّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً ألف باب يفتح من كل باب باب.

فقلت: هذا والله العلم. فنكت ساعة في الارض ثم قال: انه لعلم وما هو بذلك.

ثم قال: يا ابا محمد وان عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة!

قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟

قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وملائه من فلق فيه، وخط علي عليه السلام بيمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج اليه الناس حتىٰ الأرش في الخدش، وضرب بيده إليَّ وقال: تأذن لي يا أبا محمد؟ فقلت: جعلت فداك إنما أنا لكَ فاصنع ما شئت. فغمزني بيده وقال: حتى ارش هذا، كأنه مغضب.

قلت: هذا والله العلم.

قال: انه لعلم وليس بذلك.

ثم قال: وان عندنا الجفر، وما يدريهم ما الجفر؟

فقلت: وما الجفر؟

قال: وعاء من آدم، فيه علم النبيين والوصيين، والعلماء الذين مضوا من بني اسرائيل.

فقلت: ان هذا هو العلم.

قال عليه السلام: انه لعلم وليس بذلك. ثم سكت ساعة ثم قال: وان عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟

قال: فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.

فقلت: هذا والله العلم.

قال: انه لعلم وما هو بذلك.

ثم سكت ساعة ثم قال:

ان عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن الىٰ ان تقوم الساعة.

فقلت: جعلت فداك هذا والله هو العلم.

قال: انه لعلم وليس بذاك.

قلت: جعلت فداك فأي شيء هو العلم؟

قال: ما يحدث بالليل والنهار الامر بعد الامر، والشيء بعد الشيء الىٰ يوم القيامة)[١]

وعلىٰ ضوء رؤيتنا العقائدية لمنزلة اهل البيت عليهم السلام، ومكانتهم في الاسلام، التي تتمثل بمهمة القيام بأمور الامامة والخلافة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وترسيخ قواعد الاسلام الىٰ يوم القيامة، كان من الضروري امتلاكهم معرفة شاملة للاسلام بكل ابعاده، واحاطة تامة بكل امور الحياة الحاضرة والمستقبلية. فليس عجيباً ان تكون تفاصيل جميع تلك الامور معروفة لهم، ومسجلة عندهم، فيما يسمىٰ بمصحف فاطمة عليها السلام، أو الجفر، أو الجامعة، خاصة بعد التأكيد علىٰ انها ليست قرآناً، وانما هي كلام لله عزوجل باملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكتابة علي عليه السلام.

وعن هذا الطريق وغيره تلقت الزهراء عليها السلام معارف اسلامية غير محدودة في جميع مجالات المعرفة ومنها الدينية، فكانت العارفة بالله عزوجل، العابدة له حق عبادته، الخاشعة له في كل حالاتها ﴿انما يخشىٰ الله من عباده العلماء﴾.

أما من يخالفنا في بعض رؤيتنا العقائدية من اخواننا اهل السنة فعليهم في هذا المورد علىٰ الاقل ان يوافقونا، بناءً علىٰ ما رواه ابو بكر من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: انا معاشر الانبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا ارضاً ولا عقاراً ولا داراً ولكنا نورث الايمان والحكمة والعلم والسنة) وفي بعض الروايات (والنبوة) إذ لابدّ من ان نفترض

(١) بيت الاحزان للقمي / ١٧.

أن يكون الرسول قد ترك للزهراء علماً وحكمة وايماناً وسنة تختلف عما هو موجود ومعروف لدىٰ المسلمين لترثه منه بدلاً عن الدار والعقار وامثالها ليتحقق معنىٰ الارث ولو بادنىٰ مراتبه من الأب الىٰ ولده، وليكون في الوقت نفسه معنىً معقولاً لرواية انا معاشر الانبياء لا نورث.

ولا معنىٰ للقول بانها ترث ما تركه ﷺ من ايمان وحكمةٍ ومعارف عامة معروفة لها وللمسلمين، اذ لا يكون ذلك عوضاً أو خصوصية لها عن الأرث المادي، وسيكون حال المسلمين أفضل منها، لانهم سيرثون آباءهم زائداً العلم والحكمة التي تركها ﷺ لعامتهم، وهي عليها السلام ترث فقط الامور المعنوية العامة المشتركة معهم، فهل كان ﷺ بصدد معاقبتها، أو توريثها ما هو أعظم واكرم من المال؟.

هذه الماامات سريعة عن خصال وسجايا الصديقة الكبرىٰ وكان الواجب ان نقف عندها بشكل تفصيلي وواسع ـ لولا خوف الاطالة ـ لنتعرف على سيرتها وسجاياها، ونستمد منها الدروس الاخلاقية والروحية فهي القدوة التي يجب ان يُقتدىٰ بها.

الفصل الثاني

مكانة الزهراء في الاسلام

* خطوات في طريق الاعداد..
* الخلافة ونظام الحكم..
* اعداد علي عليه السلام للخلافة
* علي عليه السلام اول واعظم الناس ايماناً..
* علي عليه السلام اعلم الناس..
* علي عليه السلام أقضىٰ الناس..
* من أحب علياً فقد أحب الله
* من سبّ علياً فقد سبّ الله ورسوله
* انت مني بمنزلة هارون من موسىٰ...
* من كنت مولاه فهذا علي مولاه...

استفاضت الروايات التي تتحدث عن موقع الزهراء في الاسلام، ومكانتها ومنزلتها عند الله ورسوله.

وليس من اليسير احصاء كل تلك الروايات والنصوص لكثرتها وتعدّد مصادرها، بل نجد مؤلفات مستقلة وفصول كثيرة من كتب الرواية والمناقب خصصت للزهراء وتحدثت عن مناقبها وفضائلها ومكانتها عند الله تعالىٰ، وعن حب الرسول ﷺ لها، ووصفها بانها سيدة من سادات نساء الجنة، أو انها سيدة نساء الدنيا والآخرة وامثال ذلك.

ولا ينكر احد ما لأهل البيت من مكانة عند الله تعالىٰ بعد ان نصّ القرآن الكريم علىٰ ذلك، فهذه آية المباهلة ﴿فَمَن حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلمِ فَقُل تَعالَوا نَدعُ أَبناءنا وَأَبناءَكُم وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُم وَ أَنفُسَنا وَ أَنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهِل فَنَجعَل لَعنَتَ اللّهِ عَلَىٰ الكاذِبِينَ﴾[1] فقد اجمع المفسرون انها نزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين. فقد اخرج الدار قطني ان علياً يوم الشورىٰ احتج على اهلها فقال:

أنشدكم الله هل فيكم أحد جعله الله نفس النبي، وابناءه ابناءه، ونساءه نساءه غيري؟

قالوا: اللهم لا.

---

(١) آل عمران / ٦١.

وهذه آية التطهير:

﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[1] التي نزلت في اهل الكساء والتي منهم الزهراء.

وهذه آية المودة:

﴿قل لا اسألكم عليه أجراً الا المودة في القربىٰ﴾[2] التي نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين.

الىٰ غير ذلك من الآيات الكريمة التي نزلت بحقهم والتي كانت تتلىٰ في كل بيت ومكان من المدينة.

وكان للزهراء عليها السلام بالذات اهتمام خاص من قِبل ابيها صلى الله عليه وآله وسلم جسدته تعبيرات خاصة، كشفت عن أهميتها عليها السلام ومكانتها الكبرىٰ عند الله ورسوله. وهذه النصوص في الوقت الذي تؤكد فيه علىٰ مكانة الزهراء الكبرىٰ في الدنيا والآخرة، ترسم لنا الخطوط العامة لدورها في مسيرة الاسلام الخالدة.

ولنقف علىٰ نماذج من تلك النصوص، التي رجحنا ان تكون من مصادر ابناء السنة مهما امكن، لأن مدرسة اهل البيت تؤمن بمضمون تلك الروايات إما نصاً في بعض الاحيان، وامّا مضموناً في احيان اخرىٰ. هذا بغض النظر عن اسانيدها وطرق روايتها لانها متواترة معنىً. ويمكن تقسيمها الى طوائف ثلاثة حسب مضمونها وموضوعها.

الطائفة الاولىٰ

وهي مجموعة من الروايات التي تؤكد على ان الزهراء عليها السلام من افاضل نساء الجنة، أو انها خير نساء العالمين، أو انها خير نساء الدنيا والجنة مطلقاً. فمن تلك الروايات:

---

(١) الاحزاب / ٣٣.

(٢) بيت الاحزان للقمي / ١٧.

اولاً – انها عليها السلام من افضل نساء اهل الجنة، يروي احمد فيْ مسنده قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسيا بنت مزاحم إمرأة فرعون، ومريم بنت عمران)[1]

ثانياً – انها خير نساء العالمين علىٰ ما أخرجه ابو داود بالاسناد الىٰ أنس قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

خير نساء العالمين اربع، مريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد).

ثالثاً – قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسيا إمرأة فرعون)[2]

رابعاً – ما أخرجه ابن عبدالبر فيْ ترجمتها من الاستيعاب ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عادها وهي مريضة فقال:

كيف تجدينك يا بنية؟

قالت: إني لوجعة وانه ليزيدني أني ما ليَّ طعام اكله.

قال: يا بنية اما ترضين انك سيدة نساء العالمين؟

قالت: يا أبه فاين مريم بنت عمران؟

قال: تلك سيدة نساء عالمها، وانت سيدة نساء عالمك، اما والله لقد زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة).

خامساً – ما اخرجه الترمذي والنسائي وابن حبّان كما في الفصل الثالث من الباب (١١) من الصواعق المحرقة لابن حجر عن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: اما

---

(١) مسند أحمد ج ١ ص ٢٩٣.

(٢) اخرجه الترمذي كما فيْ الاربعين للنبهاني ص ٢٢٠.

رأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك، هو ملك لم يهبط الى الارض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه عزوجل ان يسلّم عليّ ويبشرني ان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة، وان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة).

لاحظ روايات (ان فاطمة عليها السلام سيدة النساء وافضلهن) في صحيح البخاري في كتاب بدأ الخلق، ومسند احمد ج ٦ ص ٢٨٢، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٤٠، واسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٢، وصحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٠٦، ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٥١. وغير ذلك كثير.

ونلاحظ ان هذه النصوص تؤكد علىٰ مكانة دينية خاصة لسيدتنا فاطمة الزهراء فهي بحسب هذه النصوص - سيدة من سيدات الدنيا، وسيدة من سيدات اهل الجنة، وهنّ اربعة كما جاء في النصوص المتقدمة، خديجة بنت خويلد، ومريم بنت عمران، واسيا بنت مزاحم، وفاطمة بنت رسول الله.

ويذهب اتباع مدرسة اهل البيت الىٰ انها أَفضل نساء العالمين، ونساء اهل الجنة مستندين الىٰ ادلة شرعية قطعية، وقد شاركهم هذا الاعتقاد بعض علماء السنة كالعلّامة النبهاني في كتابه - الشرف المؤبد - حيث قال:

وصرّح بافضليتها علىٰ سائر النساء حتىٰ علىٰ السيدة مريم كثير من العلماء والمحققين منهم التقي السبكي والجلال السيوطي، والبدر الزركشي، والتقي المقريزي. قال: وعبارة السبكي حين سُئل عن ذلك:

الذي نختاره وندين به ان فاطمة بنت محمد افضل.

قال: وسُئل عن مثل ذلك ابن ابي داود فقال:

ان رسول الله قال: فاطمة بضعة مني. ولا أعدل ببضعة رسول الله أحد).

الطائفة الثانية

وهي نماذج من الاحاديث التي تصعّد الاهتمام بالزهراء من مرحلة الاشادة والتبجيل الىٰ اعتبارها معلماً خطيراً من معالم الايمان والاسلام وذلك لأنّ هذه

النصوص ساوت بينها وبين الرسول في بعض الخصائص بحيث يكون ايذائها ايذاء له، واغضابها اغضاب له. فمن تلك الروايات:

اولاً – ما اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن المسور قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول علىٰ المنبر:

فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويريبني ما رابها).

ثانياً – البخاري بسنده الىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها).

ثالثاً – ما اخرجه الامام احمد بن حنبل عن ابي هريرة قال:

نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال:

انا حرب لمن حاربكم وسلمٌ لمن سالمكم).

رابعاً – البخاري عن المسور بن مخزمة إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

فاطمة بضعة مني فمن اغضبها أغضبني).

وبالامكان مراجعة مصادر الروايات التي تضمنت هذا المعنى في صحيح البخاري في كتاب بدأ الخلق، كنز العلماء ج ٦ ص ٢٢٠، فيض القدير ج ٤ ص ٤٢١، صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، وصحيح الترمذي ج ٢ ص ٣١٩، ومستدرك الصحيحين ج ٣ص ١٥٩، ومسند احمد ج ٤ ص ٥، وحلية الاولياء ص ١٤٩، ومسند احمد ج ٤ ص ٥، وحلية الاولياء ج ٢ ص ٤٠، والصواعق المحرقة ص ١٠٧، وغيرها كثير.

فالزهراء – بحسب هذه النصوص – تمثل حالة تخص الرسول نفسه، وقد نصّ القرآن علىٰ حرمة ايذاء الرسول أو اغضابه فقال عزّ من قائل:

﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾(١)

---

(١) التوبة / ٦١.

﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾ [1]

وما ينبغي الالتفات اليه هنا هو تعبير النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الزهراء بانها بضعة منه، وهو أمر معلوم لا يشك فيه احد، ولا يحتاج الىٰ تأكيد، فكل بنت هي بضعة من أبيها من ناحية الخلقة والتكوين ولكن هل كان مراد الرسول من قوله (فاطمة بضعة مني)[2] الجانب التكويني، أو اراد ان يقول انها بضعة من الشخصية النبوية لابيها صلى الله عليه وآله وسلم؟ لا نفهم من ذلك الا الثاني لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان بصدد بيان اهمية الزهراء من ناحية ترتب الاثار، في حالة رضاها وسخطها، وانه ايذاء أو ارضاء للرسول النبي لا الأب فقط، ليدخل ذلك في نطاق قوله تعالى ﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾ وغيرها من الآيات. ولا يوجد نص في الكتاب والسنة يعتبر ايذاء ابناء وبنات الانبياء ايذاء لابائهم بمستوىٰ اكثر من الحكم الشرعي العام الا بخصوص الزهراء وحسنيها فانه يدخل في نطاق الاحكام الخاصة المشدّدة.

الطائفة الثالثة

وهي الطائفة التي تصعّد من قضية الاهتمام بالزهراء الى درجة خطيرة جداً إذ تعتبر ان ايذاء الزهراء أو اغضابها، ايذاء واغضاب لذات الله عزوجل من دون واسطة، فمن تلك الروايات:

اولاً – عن علي عليه السلام قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة:

ان الله يغضب لغضبك ويرضىٰ لرضاك)[3]

ثانياً – عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة سلام الله عليها:

---

(١) الاحزاب / ٧٥.

(٢) البضعة بالفتح القطعة من اللحم، وقد تكسر، أي إنها جزء مني كما ان القطعة من اللحم جزء من اللحم. قاله الجزري.

(٣) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٥٣.

إنّ الربّ يغضب لغضبك ويرضىٰ لرضاك)[1]

ثالثاً: عن علي بن ابي طالب إنّ رسول الله ﷺ قال:

يا فاطمة إن الله عزوجل يغضب لغضبك ويرضىٰ لرضاك)[2]

هذا بعض ما رواه علماء السنة في كتبهم الروائية وصحاحهم المعتبرة بشأن سيدتنا الزهراء.

اما ما رواه علماء الشيعة عن النبي وأئمة اهل البيت عليهم السلام فهو كثير جداً يتطابق -كما قلنا - في احيان كثيرة نصاً أو روحاً مع ما جاء في صحاح اهل السنة، وما اثبتناه منها تقتضيه طبيعة البحث وهو جزء يسير مما جاء بشأن الصديقة الكبرىٰ.

ونحن هنا ليس بصدد البرهنة علىٰ مكانة الزهراء بلسان روائي أو مناقبي، فان ذلك من البديهيات المعروفة لدىٰ جميع المسلمين، وانما بصدد ايجاد تفسير منطقي لتلك الروايات ينسجم مع ما نعرف من هدفية المشرع الحكيم.

التفسيرات المحتملة:

هناك احتمالات ثلاثة تفسر لنا اهتمام النبي ﷺ بابنته الطاهرة فاطمة الزهراء، والاحتمالات هي:

الاحتمال الاول:

ان هذا الاهتمام مجرّد لهو وعبث، وعملية غير هادفة، ولا مقصودة، وانما هو لهو وعبث لمجرد اللهو والعبث.

وهذا الاحتمال لا يستحق البحث، لاننا لو احتملناه فانه سيرد علىٰ كل نص ديني صدر من النبي في امور الاسلام التشريعية والعقائدية الاخرىٰ، باعتباره ﷺ المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن.

---

(١) كنز العمال ج ٦ / ٢١٩.

(٢) ذخائر العقبىٰ ص ٣٩.

وقد اجمع المسلمون علىٰ ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم معصوم من الخطأ والعبث واللهو بنص القرآن قال عزوجل:

﴿وما ينطق عن الهوىٰ ان هو الاّ وحي يوحى﴾[1]

﴿وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[2]

وعلىٰ هذا الاساس يكون من المستحيل ان يصدر ذلك منه صلى الله عليه وآله وسلم بهذا المعنىٰ.

الاحتمال الثاني:

ان يكون ذلك بهدف عاطفي بحت، لمجرد ان فاطمة ابنته وبضعة منه، والمحببّة اليه. أو لما امتازت به من صفات وكمالات روحية استحقت بسببها التكريم والتبجيل. ولم يصدر ما صدر بحقها استناداً الىٰ نفس الأسس والملاكات الشرعية التي يستند إليها المشرع الحكيم في تشريعاته الاخرىٰ.

وهذا التفسير كذلك ليس منطقيا، ولا ينسجم مع طبيعة المشرع الحكيم. فلو اراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يشبع عاطفته كأب تجاه ابنته، أو لما امتازت به من كمالات نفسية، أو خصال اخلاقية عظيمة، فان الاكثر منطقية وفائدة ان يحقق لها ذلك من خلال اعطاءها امتيازات مادية ومعنوية تحقق لها مكاسب شخصية دنيوية، من دون الحاجة الىٰ ربط ذلك بسخط الله ورضاه. فماذا يمكن ان تستفيد الزهراء شخصياً من مثل (ان الله يغضب لغضبها، أو يرضىٰ لرضاها) وامثال ذلك من النصوص، هل كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يرىٰ ان ذلك يحقق لها مكسباً ماديا أو دنيوياً وهو يعلم انها اول اهل بيته لحوقاً به؟

لقد كان بامكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يكرّم ابنته بمركز قيادي كبير، أو مسؤولية دينية تشريعية وامثال ذلك. وهذا ما لم يحدث علىٰ الصعيد العملي، فالزهراء حتى

---

(١) النجم / ٢ – ٦.

(٢) الحشر / ٧.

على ضوء اعتقاد الشيعة لم يمنحها ابوها مركزاً قيادياً.

وبقيت في حياتها زوجة لعلي عليه السلام وربة لبيته، ولم تمارس دوراً قيادياً ولا تشريعياً.

كما كان بامكانه صلى الله عليه وآله وسلم ان يمنحها امتيازات مادية كبيرة كما يفعل الملوك والسلاطين مع ابناءهم استجابة لرغبة عاطفية وغريزية، من دون حاجة الىٰ تلك النصوص التي ليس لها مردودات مادية، ومن دون الحاجة الى ربط ذلك بالسماء.

نعم منح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنته الزهراء فدكاً، ومهما قالوا عن فدك فاننا لم نجد نصاً حتىٰ بادنىٰ مراتب الوثاقة والاعتبار اشار الىٰ انعكاس المردود المادي علىٰ حياة الزهراء من فدك، التي كانت تعتبر من أخصب الاراضي الزراعية ذات المردود المادي الكبير. فالزهراء كانت بزهدها وتقشفها وعزوفها عن الدنيا تمثل حالة واحدة قبل فدك وبعدها.

وهذا يدل ايضاً علىٰ ان منح النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدكاً للزهراء كان ضمن التخطيط النبوي الحكيم، إذ أراد بها ان تكون حلقة في عملية تثبيت خط الامامة التي ستقودها الزهراء بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسلاحاً لأبعاد اشخاص، أو تكتلات سياسية عن الحكم. وظهر ذلك بوضوح بعد اقصاء الامام علي عليه السلام عن الخلافة فقامت الزهراء تحتج بفدك منتهجة اسلوباً خاصاً يُثبت عدم اهتمام (القيادة) بتعاليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتشريعاته، وسيأتي تفصيل ذلك ان شاء الله.

وقد تجلىٰ ذلك بوضوح من تذبذب القادة في أمر فدك بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتارة تؤخذ منها علىٰ أساس ان النبي قال: انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة، وهو ما وقع من ابي بكر، وتارة تعطىٰ لورثتها كما فعل عمر بن الخطاب، ثم تؤخذ في زمن عثمان مرة أخرىٰ وهكذا، وهذا يكشف عن عمق ما تعنيه فدك في تلك المرحلة من الصراع فحاولوا باسلوب - اجتهادي - ابطال ورقة فدك التي كانت الزهراء تقارع بها الخلافة التي رفعت شعار ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث، يقول ابن ابي الحديد:

(سألت علي بن الفارقي مدّرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له:
أكانت فاطمة صادقة؟
قال: نعم.

قلت: فلِمَ لم يدفع اليها ابو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسم، ثم قال كلاماً لطيفاً مُستَحسناً مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته قال: لو اعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت اليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة علىٰ شيء، لانه يكون قد أسجّل على نفسه أنها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة الىٰ بينة ولا شهود. وهذا كلام صحيح وان كان اخرجه مخرج الدعابة والهزل)(١)

وعلىٰ كل حال فقد كان بوسع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كان هدفه عاطفياً ان يهيء لابنته الارضية المناسبة لتوفير حياة مادية هانئة من خلال الوسائل المتعدّدة التي اختصه الله تعالىٰ بها من مختلف مصادر الدولة المادية والاقتصادية.

الاحتمال الثالث:

ان يكون هذا الاهتمام بأمر من الله عزّوجل لحكمة الآهية، ومصلحة دينية، فاختار عزوجل الزهراء لتقوم بخطوة تكمّل بها المسيرة الميدانية للنبوة بعد ابيها صلى الله عليه وآله وسلم وتؤدي مهمة كبيرة لا يستطيع احد غيرها ادائها بما في ذلك النص الشرعي (الكتاب والسنة) فكان التخطيط الرباني ان يجعل مؤشراً مادياً واضح لا يقبل التأويل ولا التشابه يشير الىٰ الجهة الصحيحة التي تستحق وراثة النبي في قيادة الامة ومسيرة الدعوة الاسلامية، وبناء نظام الحكم والسياسة في الاسلام، فكان هذا المؤشر هو الصديقة الكبرىٰ فاطمة الزهراء عليها السلام.

هذا الاحتمال هو الذي ينسجم مع طبيعة الامور والواقع من جانب، ومع النظرة

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٦ / ٨٤.

العقائدية للرسول ﷺ بنص القرآن الكريم.

يقول عزوجل عن رسوله ﷺ:

﴿انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون﴾(١)

ويقول:

﴿انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين﴾(٢)

ويقول كذلك:

﴿وما ينطق عن الهوىٰ ان هو الّا وحي يوحىٰ علمه شديد القوىٰ﴾(٣)

وقال:

﴿لو تقوّل علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احدٍ عنه حاجزين﴾(٤)

وعلىٰ اساس هذا المنطق القرآنىٰ لا يمكن ان نفترض ان النبي ﷺ اهتم بالزهراء ـ عبثاً ـ أو ان دافعه كان عاطفيا لمجرد العاطفة الغريزية البحتة، ليتجاوز وظيفة النبوة، ويتقوّل علىٰ ربه بشأنها، فجعل رضا الله من رضاها وسخطه من سخطها. لا يقول ذلك مسلم أبداً.

واذاً كان لابدّ من هدف اسمىٰ وأعلىٰ وهذا الهدف هو: الاعداد الرباني لدور كبير للزهراء تقوم به في مرحلة ما بعد النبي ﷺ.

---

(١) التكوير آية ١٩ ـ ٢٢.

(٢) سورة الحاقة الآية ٤٠ ـ ٤٣.

(٣) النجم الآية ٢ ـ ٦.

(٤) الحاقة الآية ٤٤ ـ ٤٧.

خطوات في طريق الاعداد

وقد إتخذ النبي ﷺ خطوات عديدة ـ اضافة الىٰ ما تقدم ـ تمهيداً لتكريس دور الزهراء، والاعداد لما كان يجب ان تقوم به بعده، في مرحلة من اخطر مراحل المسيرة الاسلامية. ولعل اهم تلك الخطوات ما يلي:

اولاً: استعمل النبي ﷺ اهم وسائل الاعلام في ذلك العصر، المتمثل بالمنبر، للتأكيد علىٰ أهمية موقع الزهراء، فقد جاءت تعبيرات بعض الرواة في هذا الصدد علىٰ هذاالنحو: سمعت رسول الله يقول علىٰ المنبر.

فمن ذلك ما رواه النسائي عن المسور بن مخرمة قال:

سمعت رسول الله ﷺ يخطب علىٰ منبره هذا وانا يومئذٍ محتلم ـ أي قد بلغ الحلم ـ فقال:

إن فاطمة بضعة مني)[1]

وهذا يعني ان الاعلان كان عاماً لجميع المسلمين، لم يقتصر على محافل نسائية مثلاً، كأن يكون في بيته، أو بين ازواجه، أو بين نساء المهاجرين والانصار.

ونجده ﷺ يأخذ بيد فاطمة عليها السلام أمام الملأ فيشيد ويوصي الامة بها، يروي مجاهد فيقول:

(خرج النبي ﷺ وهو آخذبيد فاطمة عليها السلام فقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي. فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ الله)[2]

ثـــــانياً: جاء في بعض الروايات تعبيرات خاصة تدل على اهمية موقع الزهراء عليها السلام منها مثلاً قوله ﷺ: (فاطمة ام ابيها).

وكلمة الأم في اللغة تعني (الأصل) نظير قوله تعالى عن مكة المعظمة بانها (ام

---

(١) خصائص النسائي، ص ٣٦. طبع مطبعة التقدّم العلمية بمصر.

(٢) بحار الانوار ج ٥٤/٤٣.

القرىٰ) أي اصل القرى. والمعلوم ان الوالد أصل الولد لا العكس، والمؤكد انه ﷺ لم يقصد العكس قطعاً لبداهة الامر ووضوحه، واذاً ما الذي يقصده ﷺ من ذلك؟

هل اراد ان يقول انها مهد النبوة وحضن الامامة فنها وبها يمتد الرسول ﷺ بشخصيته النبوية، فهي عليها السلام اصله في الامتداد لا في الايجاد ويضفي عليها بذلك مسحة من نور النبوة يمكنها من أداء الدور المرتقب لها.

ام انه اراد ﷺ ان ينزّل الزهراء منزلة الام من حيث وجوب طاعتها علىٰ كل المسلمين من باب الاولوية؟

ولماذا نستبعد ذلك والقرآن شاهد علىٰ نظيره بالنسبة لازواج الرسول حيث نزلهن المولىٰ منزلة الامهات في قوله تعالى ﴿النبي اولىٰ بالمؤمنين من انـفسهم وازواجه امهاتهم﴾ (١) ورتب علىٰ ذلك بعض الاثار الشرعية.

ولا معنىٰ للقول بان تفسير (فاطمة ام ابيها) ان الزهراء ملأت فراغاً عاطفياً عانىٰ منه الرسول ايام طفولته بسبب فقده لامه ـ رضوان الله عليها ـ وهو صغير وذلك لأن المولىٰ كفل له كل ما من شأنه بناء شخصيته القيادية فقال عزَّ من قائل ﴿الم يجدك يتيماً فآوىٰ ووجدك ضالاً فهدىٰ ووجدك عائلاً فاغني﴾(٢)

ورغم ان الرسول بشر ﴿قل انما انا بشر مثلكم يوحىٰ اليّ﴾(٣) يحمل كل ما في البشر من فطرة، ولكن بنفس الوقت نعتقد ان الرسول الذي احتضنته السماء منذ نعومة اظفاره اكبر من ان يشعر بهذه الحاجات وقد قارب الخمسين.

ثـــالثاً: وجاء في لسان بعض الروايات تعبير (فداها ابوها) الذي يدل دلالة واضحة علىٰ استعداد الرسول الاكرم للتضحية من اجلها وهو سيد المرسلين

---

(١) الاحزاب / ٦.

(٢) الضحى / ٦ ـ ٨.

(٣) الكهف / ١١٠.

اجمعين.

فهل هي نزعة عاطفية غلبته، وتأثر بموقفها حين نزعت القلادة وتصدقت بها على فقراء المسلمين، أو انها اعتقت رقبة في سبيل الله بثمنها؟ هل يستوجب ذلك ان يفديها ابوها بنفسه؟

ان هذه العبارة وان جاءت في سياق القصة المعرفة عن القلادة، الّا اننا نقطع ان القضية اكبر من ان تكون علتها هذه القضية فقط، ذلك ان حجم العبارة اكبر من ان تحصر بهذا المورد.

لقد اراد الرسول ان يقرر للمسلمين ـ وكان جالساً في المسجد ـ ان الزهراء التي ـ فداها ابوها ـ والذي هو اطهر روح، وازكى نفس، واغلىٰ دم، وهو سيد المرسلين استعد لأن يفديها بروحه، فمن باب الاولىٰ ان تقتدي الامة به في هذه القضية التي نصّ عليها بنفسه امامهم، وفي مكان من اطهر اماكن الارض، في المسجد النبوي الشريف، ويؤكد للامة: ان التي افديها بروحي تستحق منكم ارواحكم، لأنّ هذا هو معنىٰ الاقتداء بي.

رابعاً: نجد في بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يُقَبّلَ يد الزهراء عليها السلام كما رواه ابن شهر آشوب عن الصادقين، والبحار للمجلسي ج ٤٣. وهذا امر غير مألوف ولا متعارف عند العرب وغيرهم، بل المعروف خلافه تماماً. وهذا يجعلنا نتسائل عن السر الذي جعل النبوة الخاتمة بكل ما تحمل من عظمة وجلال تنحني لتقبّل يد الزهراء الطاهرة.

هل هي عاطفة بحتة، ام ظاهرة تحمل هدفاً عظيماً، وسراً مقدساً، قد يكون مستقبل الاسلام مرهوناً به.

هل اراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول لأمته: ان هذه اليد التي أقبلها مقدسة وطاهرة ولا يمكن ان تمتد أو تطلب ما ليس لها بحق في حياتي وبعد حياتي؟

او انه اراد لهذه القُبلات ان تكون شاهد النبوة والسماء علىٰ ان هذه اليد اذا

وضعتها صاحبتها على شيء، كانت القبلات شاهدها على ان هذا الحق لها.

خامساً: ورد في نصوص اخرىٰ ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقوم اجلالاً لها، واحتراماً لمقامها.

ولم نعهد في نص أو رواية ان النبي كان يقوم لأزواجه أو أصحابه.

ان هذه الواقعة تجعلنا نؤمن بانّ التفسير المنطقي لاهتام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالزهراء يبتعد في هدفه الىٰ ما هو اكبر من قضية عاطفية، إذ جرت العادة ان القيام تعبير عن اهتام كبير بتلك الشخصية يتناسب مع عظمة مقامها.

وفي البحار بالاسناد عن عكرمة عن ابن عباس، وعن ابي ثعلبة الخُشني، وعن نافع، عن ابن عمر قالوا:

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا اراد سفراً كان آخر الناس عهداً بفاطمة، واذا قدِم كان أول الناس عهداً بفاطمة. ولو لم يكن لها عند الله تعالىٰ فضل عظيم لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل معها ذلك، إذ كانت ولده وقد أمر الله بتعظيم الولد للوالد، ولا يجوز ان يفعل معها ذلك، وهو بضد ما أمر به امته عن الله تعالىٰ)[1]

فما معنىٰ ان يقوم لابنته غير التأكيد علىٰ ان قيام النبوة العظمىٰ لها انما هو قيام لما تمثله الزهراء من دور في مسيرة النبوة الكبرىٰ بالاضافة الىٰ استحقاقها الذاتي للاحترام والتقديس باعتبارها معلماً من معالم الاسلام صلوات الله عليها.

سادساً: نرىٰ كذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يدخل دار الزهراء الّا مستأذناً ففي رواية عن الامام الصادق عليه السلام قال:

طرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باب فاطمة عليها السلام ذات يوم.

فقالت: مَن الطارق؟

فقال: يا بنيتي رسول الله.

فقالت: أليس البيت بيتك، والبنت بنتك فما المانع من الدخول؟

---

(١) بحار الانوار ج ٤٣/٤٠.

فقال ﷺ: ان الله أمرني ان لا ادخل إلّا باذنك)[1]

وعن عبدالرحمن بن عوف قال:

سألت رسول الله ﷺ ذات يوم: أراك بأبي وأمي تطيل النظر لباب فاطمة؟

فقال ﷺ: اعلم وكن عاقلاً لما اقول: اطيل النظر للباب لما احتوىٰ علىٰ كنوز واسرار ايسرها الاستأذان، واعسرها تطيش له العقول)[2]

ويروىٰ كذلك عن النبي انه قال لعلي عليه السلام:

لولا انك بعلها لامرتك بما أمرني الله ان لا تدخل حجرتها إلّا باذن منها، فانها نورانية السماوات، ملكوتية الارض، متظللة النور)[3]

ولا ندري هل ان النبي ﷺ كان مضطراً للاستئذان ـ من الناحية الشرعية ـ لدخول بيت ابنته لتجنب الوقوع في محذور شرعي، وهل الزهراء اجنبية عنه، ام ان علياً عليه السلام لا يتشرف بهذه المأثرة الكبرىٰ في دخول النبي بيته؟

ومهما حاولنا ان نبحث عن مبرر فقهي لقضية استأذان الرسول ﷺ لدخول بيت فاطمة فلن نصل الىٰ نتيجة وذلك لانه ﴿**اولىٰ بالمؤمنين من انفسهم**﴾[4] اولاً، وانه ابو الزهراء وبيتها بيته وهم أهله من دون ريب، فقد روىٰ الترمذي في صحيحه انه: لما نزلت هذه الآية ﴿**فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله علىٰ الكاذبين**﴾[5] دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال:

(اللهم هؤلاء اهلي)[6]

---

(١) اصل العلل للعمري ج ٣٢٨/٤.

(٢) الادلة الواضحة للترمذي، ص ١٦ الطبعة الحجرية.

(٣) النجم الثاقف للراوندي ص ٩٥ ط مصر.

(٤) الاحزاب/ ٦.

(٥) آل عمران/ ٦١.

(٦) صحيح الترمذي ج ٥ / ٥٩٦. صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧٣.

فهل اراد ﷺ ان يُعلم الامة ان بيت الزهراء عليها السلام هو بيت النبوة الذي عناه الحق بقوله ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاّ ان يؤذن لكم﴾[1] اضافة الىٰ الحكم العام في قوله تعالى ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا علىٰ اهلها﴾[2] أضف الىٰ ذلك أن بيت الزهراء لا ينطبق عليه حكم (غير بيوتكم) بالنسبة الىٰ النبي ﷺ فهو اولى بالمؤمنين من انفسهم، والزهراء بنته وهو اولى بها، فلماذا يستأذن في دخول بيتها؟ اليس هذا يدل على ان هناك حكمة بالغة وراء تصرف النبي ﷺ واستاذانه.

ومن الممكن أيضاً أن نقول في تفسير ذلك: ان النبي ﷺ اراد ان يُعلّم الامة، بما في ذلك مجتمع الصحابة، ان هذا البيت لا يجوز دخوله دون استأذان حتى للانبياء فضلا عن غيرهم.

ومن هذا نستكشف انه ﷺ كان يعلم ان بيتها سوف تهتك حرمته في يومٍ ما، فاراد ﷺ ان يصونه ويحميه فوقف عند بابه يستأذن اهله المرة تلو المرة، ليجعله معلماً من معالم الايمان ولتعرف الامة من يتبع الرسول ممن ينقلب علىٰ عقبيه.

وكان من جملة الامور التي ندم عليها ابوبكر قبل موته كشفه لبيت فاطمة عليها السلام مما يدل علىٰ ارتكاز هذا المفهوم في ذهنه، وسيأتي الحديث عن ذلك فيما بعد.

هذه بعض الخطوات التي خطاها رسول الله ﷺ في طريق الاعداد لدور الزهراء عليها السلام المرتقب في مهمة تثبيت اركان واسس الامامة بصيغتها العملية التنفيذية.

ان هذا الموضوع يستحق بحثاً أعمق وأشمل مما تقدّم لاستكشاف الحكمة النبوية في جميع خطوات اعداد الأرضية لتثبيت خط الامامة من بعد النبي ﷺ والتي قادتها الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، اذ هناك الكثير مما يجب ان يُبحث وهو يستحق قدراً اكبر من الاستقصاء والدقة.

(١) الاحزاب / ٥٣.

(٢) النور / ٢٧.

طبيعة الموضوع وخصوصية الزهراء
«الخلافة ونظام الحكم»

من المؤكد ان أي رسالةاو نظام يعتمد في مسألة استمراره وبقاءه على جملة مقومات اساسية وما من شك ان موضوع (الحاكم وطبيعة نظام الحكم وشكله) من اهم تلك المقومات.

والسؤال هنا:هل حدّد النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظام الحكم وشكله وطبيعته؟

وهل هذا النظام هو نظام الشورىٰ. واذاكان كذلك فما هي اسس هذا النظام؟ وكيف يُطبق ومن المسؤول عن تطبيقه؟ وهل يقصد بالشورىٰ تحكيم رأي الاكثرية علىٰ الاقلية، ام ان الشورىٰ يراد بها مدارسة الامور والقضايا الاساسية ويكون البت فيها لجهة اخرىٰ؟ ام هي شورىٰ اهل العقد لا شورىٰ الامة؟

ام ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اختار نظام الأمامة فنصّب علياً عليه السلام ولياً علىٰ الامة بعده وأوكل اليه تنظيم تفاصيل ذلك، وترسيخ نظام الحكم الذي هو بطبيعته يحتاج الىٰ فترة زمينة طويلة من الممارسة العملية الصحيحة، وتربية الامة علىٰ تفهّم تلك الممارسة واستيعابها، وتحديد اتجاه صحيح لها في مجال ممارستها لها؟

ونحن من البداية نقول وعلىٰ ضوء طبيعة هذا البحث، وقناعتنا العقائدية، ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصّب علياً عليه السلام خليفة بعده، وسخّر لاجل تحقيق هذا الهدف كل

الوسائل الممكنة، سواء كانت علىٰ مستوىٰ النص، أو الممارسة العملية القريبة من الممارسة الفعلية للحكم في زمن النبي وفي حياته.(١)

ولا يعني ذلك اننا نرفض مبدأ الشورىٰ من الاساس وانما الكلام في ان الشورىٰ هل هي نظام الحكم في الاسلام، ام هي مفردة من مفردات النظام، وعلى اساس الفرض الثاني يقوم هذا البحث بعد ان ثبت بالنصوص القطعية انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظرياً ـ علىٰ الاقل ـ نص علىٰ اميرالمؤمنين علي عليه السلام خليفة بعده، وهيء في الوقت نفسه الصديقة الزهراء، لتمارس دوراً خاصاً لا يستطيع غيرها أداءه، بعد ان استنفذ الوسائل الاخرىٰ المألوفة في مجال التشريع، وأهمها النص ـ الكتاب والسنة ـ الذي قد يفرّغ من محتواه من خلال التأويل أو التفسير أو التخصيص بالخبر كما حصل في آية الارث التي خصصت بـ(نحن معاشر الانبياء لا نوّرث)، والتي على اساسها حُرمت الزهراء من ارثها، وامثال ذلك كثير. فأراد صلى الله عليه وآله وسلم ان يجعل مؤشراً مادياً محسوساً لا يخضع لتلك المؤثرات، والمتمثل بابنته فاطمة الزهراء، ليحدد الاتجاه الصحيح لمسيرة الخلافة، وتحديد شخصية الخليفة وتعيينها.

---

(١) في الصواعق المحرقة قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً مع جماعة من اصحابه فجاءه خصمان فقال احدهما يا رسول الله إن لي حماراً وإن لهذا بقرة، وان بقرته قتلت حماري. فبدأ رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان علىٰ البهائم. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إقض بينهما يا علي.

فقال علي عليه السلام لهما: أكانا مرسلين أم مشدودين، أم احدهما مشدوداً والآخر مرسلاً؟

فقالا: كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة وصاحبها معها.

فقال عليه السلام: علىٰ صاحب البقرة ضمان الحمار.

فأقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكمه وأمضىٰ قضاءه)

ويجب ان يُبحث هذا الموضوع ـ واعني ممارسة علي عليه السلام للحكم في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبأمرٍ منه ـ من قبل المختصين، لأن ذلك يكشف عن اوضح مستويات اعداده للخلافة، ان لم نقل هو التنصيب بذاته.

الصواعق المحرقة ص ٧٣ طبع المطبعة الميمنية بمصر، ونور الابصار للشبلنجي ص ٧١.

وهذه المهمة من اصعب المهام علىٰ الاطلاق لسعة الفارق بين النظرية والتطبيق، والبون الشاسع بينهما، وصعوبة تحدي الواقع الاجتماعي المخالف للنظرية، والذي عبّر عنه القرآن الكريم في قول الحق ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[١] فان الرسول ﷺ على صعيد الواقع قد ابلغ الرسالة بكل جوانبها العقائدية والتشريعية، والآية الكريمة نزلت في اواخر حياته ـ في حجة الوداع ـ فما هو الامر الذي لم يبلّغ غير تعيين الخليفة، والذي تمّ الابلاغ به في قضية الغدير المعروفة التي اعقبها نزول قوله تعالى ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾.[٢]

اما علىٰ الصعيد العملي فانّ تطبيق ذلك ـ أي استخلاف النبي لعلي ـ ليس بالامر الهين اليسير، ولا يكفي مجرّد الأبلاغ لالتزام الامة به، ولا يمكن من الناحية العملية ان يترك النبي ﷺ هذا الامر من دون اتخاذ احتياطات عملية في طريق اعداد الارضية المناسبة للخليفة المرتقب.

وقبل ان ندخل في التفاصيل لندع هذه الرؤية جانباً ونبحث بموضوعية وتجرد، وبعيداً عن النصوص الشرعية، وواقع المسيرة الاسلامية بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة وما اكتنف ذلك من احداث، ونتعرّف من خلال رؤية موضوعية ومنطقية علىٰ ما يمكن ان يكون عليه موقف الرسول القائد ﷺ من مستقبل الاسلام من بعده هل تركه لمهب الرياح لتبدد تلك الجهود الجبارة والتضحيات الهائلة التي بذلها هو والثلة الطاهرة من اصحابه في سبيل ارساء صرح الاسلام وتثبيت قواعده، ام انه ﷺ خطط لمستقبل الاسلام وحدّد معالم المسيرة من بعده وبذل كل ما عنده لتكريس الرؤية الربانية لما يجب ان يكون عليه الوضع من بعده، ولم يرحل الّا بعد ان انجز تلك المهمة ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم

---

(١) المائدة/ ٦٧.

(٢) المائدة/ ٣.

الاسـلام ديـنا﴾.[١] منطلقين من ذلك الىٰ التعرّف على دور الزهراء عليها السلام وطبيعة مهمتها.

لقد ناقش هذه القضية الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر رضي الله عنه نقاشاً عقلياً موضوعياً في كتابه القيم (بحث حول الولاية) وحصر الاحتمالات الممكنة لما كان يمكن ان يقوم به الرسول لمعالجة هذه القضية وبحثها علىٰ ضوء العقل والواقع واستخلص من ذلك النتيجة المنطقية التي تنسجم مع عظمة الدين وقائد الاسلام العظيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان أحرص البشر جميعاً علىٰ مستقبل الاسلام والامة الاسلامية.

ان من اهم فقرات هذا الكتاب هو البحث عن موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مستقبل الدعوة الاسلامية بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، هل حدّد طبيعة نظام الحكم وشكله السياسيٰ؟ وهل أوصىٰ لأحدٍ من بعده أم لا؟

ولم أجد اروع مما كتبه الامام الشهيد الصدر رضي الله عنه في كتابه القيم (بحث حول الولاية) فأحببت ان أستفيد من بحثه مؤمناً ان احداً لا يستطيع ان يأتي بمثل ما أتى به، فعليه رضوان الله وجعل روحه مع اجداده الكرام في الجنان.

لخص الامام الشهيد الصدر الطرق التي كان بامكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نهجها بثلاثة:

«الطريق السلبي»

اولهـــا: الطريق السلبي، وذلك بان يقف صلى الله عليه وآله وسلم من مستقبل الدعوة موقفاً سلبياً، ويكتفي بممارسة دوره في قيادة الدعوة وتوجيهها فترة حياته ويترك مستقبلها للظروف والصدف.

ويرىٰ رضي الله عنه ان هذه السلبية لا يمكن افتراضها في النبي صلى الله عليه وآله وسلم لانها انما تنشأ

(١) المائدة/ ٣.

من احد أمرين كلاهما لا ينطبق عليها.

الامر الاول: هو ان نفترض انه ﷺ كان يعتقد ان الاهمال والسلبية لا تؤثر علىٰ مستقبل الدعوة الاسلامية.

والامر الثاني هو ان نفترض انه ﷺ كان ينظر الى الدعوة نظرة مصلحية فلا يهمه الّا ان يحافظ عليها ما دام حياً ليستفيد منها، ويستمتع بمكاسبها، ولا يُعنىٰ بحماية مستقبلها بعد وفاته.

اما الامر الاول فناقشه بانّ هذا الاعتقاد لا مبرّر له من الواقع اطلاقاً، بل ان طبيعة الاشياء كانت تدل علىٰ خلافه، لأن الدعوة ـ بحكم كونها عملاً تغييراً انقلابياً في بدايته، يستهدف بناء امة، واستئصال كل جذور الجاهلية منها ـ تتعرض لاكبر الاخطار اذا خلت الساحة من قائدها دون أي تخطيط فهنالك:

اولاً ـ الاخطار التي تنبع عن طبيعة مواجهة الفراغ دون أي تخطيط مسبق، وعن الضرورة الآنية لاتخاذ موقف مرتجل في ظل الصدمة العظيمة بفقد النبي فان الرسول ﷺ اذا ترك الساحة دون تخطيطٍ لمصير الدعوة فسوف تواجه الامة ولاول مرة مسؤولية التصرف بدون قائدها تجاه اخطر مشاكل الدعوة، وهي لا تمتلك أي مفهوم سابق بهذا الصدد. وسوف يتطلب منها الموقف تصرفاً سريعاً آنياً علىٰ رغم خطورة المشكلة، لأن الفراغ لا يمكن ان يستمر، وسوف يكون هذا التصرف السريع في لحظة الصدمة التي تُمنى بها الامة وهي تشعر بفقدها لقائدها الكبير، هذه الصدمة التي تزعزع بطبيعتها سير التفكير، وتبعث على الاضطراب حتىٰ انها جعلت صحابياً معروفاً يعلن ـ بفعل الصدمة ـ أن النبي لم يمت ولن يموت فقد قال عمر بن الخطاب:

من قال إنّ محمداً مات قتلته بسيفي هذا وانما رُفِعَ الى السماء.(١)

نعم سيكون مثل هذا التصرف محفوفاً بالخطر غير محمود العواقب.

---

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٥.

ثانياً: وهناك الاخطار التي تنجم عن عدم النضج الرسالي بدرجة تضمن للنبي ـ سلفاً ـ موضوعية التصرف الذي سوف يقع، وانسجامه مع الاطار الرسالي للدعوة، وتغلبّه علىٰ التناقضات الكامنة التي كانت لا تزال تعيش في زوايا نفوس المسلمين علىٰ اساس الانقسام الىٰ مهاجرين وانصار، أو قريش وسائر العرب، أو مكة والمدينة.

ثـالثاً: هناك الاخطار التي تنشأ لوجود القطاع المتستر بالاسلام، والذي كان يكيد له في حياة النبي ﷺ باستمرار، وهو القطاع الذي كان يسميه القرآن بالمنافقين. واذا أضفنا اليهم عدداً كبيراً ممن اسلم بعد الفتح استسلاماً للامر الواقع لا انفتاحاً علىٰ الحقيقة، نستطيع حينئذٍ ان نقدّر الخطر الذي يمكن لهذه العناصر ان تولّده، وهي تجد فرصة لنشاط واسع في فراغ كبير مع خلو الساحة من رعاية القائد.

فلم تكن اذاً خطورة الموقف بعد وفاة النبي ﷺ شيئاً يمكن ان يخفى على أي قائد مارس العمل العقائدي فضلاً عن خاتم الانبياء.

واذا كان ابوبكر لم يشأ ان يترك الساحة دون ان يتدخل تدخلاً ايجابياً في ضمان مستقبل الحكم بحجة الاحتياط للامر، واذا كان الناس قد هرعوا الىٰ عمر حين ضُرب قائلين: يا أميرالمؤمنين لو عهدت عهداً. وكل ذلك خوفاً من الفراغ الذي سوف يخلّفه الخليفة بالرغم من التركيز السياسىٰ والاجتماعي الذي كانت الدعوة قد بلغته بعدعقدٍ من وفاة الرسول ﷺ. واذا كان عمر قد أوصىٰ الىٰ ستة تجاوباً مع شعور الآخرين بالخطر. واذا كان عمر يدرك ـ بعمق ـ خطورة الموقف في يوم السقيفة، وما كان بالامكان ان تؤدي اليه خلافة أبي بكر بشكلها المرتجل من مضاعفات اذ يقول: «إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة غير انّ الله وقى شرها».

واذا كان ابو بكر نفسه يعتذر عن تسرعه الىٰ قبول الحكم، وتحملّ المسؤوليات الكبيرة، بانّه شعر بخطورة الموقف وضرورة الاقدام السريع علىٰ حلٍ ما اذ يقول ـ

وقد عُوتب علىٰ قبول السلطة ـ ان رسول الله ﷺ قُبض والناس حديثو عهد بالجاهلية فخشيت ان يفتتنوا وان اصحابي حملونيها».

واذا كان كل ذلك صحيحاً فمن البديهي اذن ان يكون رائد الدعوة ونبيها اكثر شعوراً بخطر السلبية، واكبر ادراكاً واعمق فهماً لطبيعة الموقف ومتطلبات العمل التغييري الذي يمارسه في امةٍ حديثة عهدٍ بالجاهلية على حدّ تعبير ابي بكر».

الامر الثاني:

ان الامر الثاني الذي يمكن ان يفسر سلبية القائد تجاه مستقبل الدعوة ومصيرها بعد وفاته، انه علىٰ رغم شعوره بخطر هذا الموقف لا يحاول تحصين الدعوة ضدّ ذلك الخطر، لانه ينظر الىٰ الدعوة نظرة مصلحية فلا يهمه إلّا ان يحافظ عليها ما دام حياً ليستفيد منها، ويستمتع بمكاسبها، ولا يُعنىٰ بحماية مستقبلها بعد وفاته.

وهذا التفسير لا يمكن ان يصدق علىٰ النبي ﷺ حتى اذا لم نلاحظه بوصفه نبياً ومرتبطاً بالله سبحانه وتعالىٰ في كل ما يرتبط بالرسالة، وافترضناه قائداً رسالياً كقادة الرسالات الاخرىٰ، لأن تاريخ القادة الرساليين لا يملك نظيراً للقائد الرسول محمد ﷺ في اخلاصه لدعوته وتفانيه فيها، وتضحيته من اجلها الى آخر لحظة من حياته. وكل تاريخه يبرهن علىٰ ذلك، فقد كان ﷺ علىٰ فراش الموت وقد ثقل مرضه، وهو يحمل همّ معركة كان قد خطط لها، وجهز جيش اسامة لخوضها، فكان يقول: (جهزوا جيش اسامة، انفذوا جيش اسامة، ارسلوا بعث اسامة) يكرر ذلك ويغمىٰ عليه بين الحين والحين.

فاذا كان اهتمام الرسول ﷺ بقضية من قضايا الدعوة يبلغ الىٰ هذه الدرجة وهو يجود بنفسه علىٰ فراش الموت، ولا يمنعه علمه بانّه سيموت قبل ان يقطف ثمار تلك المعركة عن تبنيه لها، وان تكون همه الشاغل وهو يلفظ انفاسه الاخيرة فكيف يمكن ان نتصور ان النبي لا يعيش هموم مستقبل الدعوة، ولا يخطط لسلامتها بعد وفاته ﷺ من الاخطار المرتقبة؟

واخيراً فان في سلوك الرسول ﷺ في مرضه الاخير رقما واحداً يكفي لنفي الطريق الاول، وللتدليل علىٰ ان القائد الاعظم نبينا محمد ﷺ كان أبعد ما يكون من فرضية الموقف السلبي تجاه مستقبل الدعوة لعدم الشعور بالخطر، أو لعدم الاهتمام بشأنه، وهذا الرقم أجمعت صحاح المسلمين جميعاً ـ سنة وشيعة ـ علىٰ نقله: وهو ان الرسول ﷺ لما حضرته الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال ﷺ: أئتوني بالكتف والدواة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبدا) فان هذه المحاولة من القائد الكريم المتفق علىٰ نقلها وصحتها تدل بكل وضوح علىٰ انه كان يفكر في اخطار المستقبل، ويدرك بعمق ضرورة التخطيط لتحصين الامة من الانحراف، وحماية الدعوة من التميع والانهيار.

فليس اذاً من الممكن افتراض الموقف السلبي من النبي ﷺ بحال من الاحوال».

«الطريق الايجابي»

وناقش الامام الشهيد الصدر ؒ الطريق الثاني الذي اسماه بالطريق الايجابي الممثل بالشورىٰ فقال:

ان الطريق الثاني هو ان يخطط الرسول القائد ﷺ لمستقبل الدعوة بعد وفاته، ويتخذ موقفاً ايجابياً، فيجعل القيمومة علىٰ الدعوة وقيادة التجربة للامة ممثلة ـ علىٰ اساس نظام الشورىٰ ـ في جيلها العقائدي الاول الذي يضم مجموع المهاجرين والانصار. فهذا الجيل للامة هو الذي سيكون قاعدة للحكم، ومحوراً لقيادة الدعوة في خط نموها.

بالنسبة لهذا الافتراض يلاحظ هنا: ان طبيعة الاشياء، والوضع العام الثابت عن الرسول الاكرم والدعوة والدعاة يرفض هذه الفرضية، وينفي ان يكون النبي ﷺ قد انتهج هذا الطريق، واتجه الىٰ ربط قيادة الدعوة بعده مباشرة بالامة ممثلة في جيلها الطليعي من المهاجرين والانصار الى اساس نظام الشورىٰ.

وفيما يلي بعض النقاط التي توضح ذلك:

النــقطة الاولىٰ: لو كان النبي قد اتخذ من مستقبل الدعوة بعده موقفاً ايجابياً يستهدف وضع نظام الشورىٰ موضع التطبيق بعد وفاته مباشرة، واسناد زعامة الدعوة الىٰ القيادة التي تنبثق عن هذا النظام لكان من أبده الاشياء التي يتطلبها هذا الموقف الايجابي ان يقوم الرسول القائد بعملية توعية للامة والدعاة على نظام الشورىٰ وحدوده وتفاصيله، واعطائه طابعاً دينياً مقدساً، واعداد المجتمع الاسلامي إعداداً فكرياً وروحياً لتقبّل هذا النظام، وهو مجتمع نشأ من مجموعة من العشائر لم تكن قد عاشت قبل الاسلام وضعاً سياسياً علىٰ اساس الشورىٰ، وانما كانت تعيش في الغالب وضع زعامات قبلية وعشائرية تتحكم فيها القوة والثروة وعامل الوراثة الىٰ حدٍ كبير.

ونستطيع بسهولة ان ندرك انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يمارس عملية التوعية على نظام الشورىٰ وتفاصيله التشريعية ومفاهيمه الفكرية، لأن هذه العملية لو كانت قد أُنجزت لكان من الطبيعي ان تنعكس وتتجسد في الاحاديث المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي ذهنية الامة، أو على الاقل في ذهنية الجيل الطليعي منها الذي يضم المهاجرين والانصار بوصفه هو المكلف بتطبيق نظام الشورىٰ، مع اننا لا نجد في الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيّ صورة تشريعية محددة لنظام الشورى.

واما ذهنية الامة، أو ذهنية الجيل الطليعي منها فلا نجد فيها أيّ ملامح أو انعكاسات محددة لتوعية من ذلك القبيل. فان هذا الجيل كان يحتوي علىٰ اتجاهين:

أحدهما ـ الاتجاه الذي يتزعمه اهل البيت.

والآخر ـ الاتجاه الذي تمثله السقيفة والخلافة التي قامت فعلاً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فاما الاتجاه الاول: فمن الواضح انه كان يؤمن بالوصاية والامامة، ويؤكد علىٰ القرابة، ولم ينعكس منه الايمان بفكرة الشورىٰ.

واما الاتجاه الثاني: فكل الارقام والشواهد في حياته وتطبيقه العملي تدل بصورة لا تقبل الشك علىٰ أنه لم يكن يؤمن بالشورىٰ، ولم يبنِ ممارسته الفعلية علىٰ اساسها، والشيء نفسه نجده في سائر قطاعات ذلك الجيل الذي عاصر وفاة الرسول الاعظم ﷺ من المسلمين.

ونلاحظ بهذا الصدد للتأكد من ذلك ان ابابكر حينما اشتدت به العلة عهد الىٰ عمر بن الخطاب، فأمر عثمان ان يكتب عهده وكتب:

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به ابو بكر خليفة رسول الله الىٰ المؤمنين والمسلمين.

سلام عليكم، فاني أحمد الله اليكم أما بعد: فاني قد استعملت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا واطيعوا).

ودخل عليه عبدالرحمن فقال:

كيف أصبحت يا خليفة رسول الله؟

فقال: اصبحت موليّاً، وقد زدتموني على ما بي إذ رأيتموني استعملت رجلاً منكم، فكلكم قد اصبح وَرِماً أنفه، وكلٌّ يطلبها لنفسه).

وواضح من هذا الاستخلاف وهذا الاستنكار للمعارضة أن الخليفة لم يكن يفكر بعقلية نظام الشورىٰ، وانه كان يرىٰ من حقه تعيين الخليفة، وان هذا التعيين يفرض علىٰ المسلمين الطاعة، ولهذا أمرهم بالسمع والطاعة. فليس هو مجرد ترشيح أو تنبيه، بل هو إلزام ونصب.

ونلاحظ أيضاً ان عمر رأىٰ هو الآخر ايضاً انّ من حقه فرض الخليفة علىٰ المسلمين، ففرضه في نطاق ستة اشخاص، واوكل أمر التعيين الى الستة انفسهم دون ان يجعل لسائر المسلمين أيّ دور حقيقي في الانتخاب[1] وهذا يعني ان عقلية نظام

---

(١) جاء في تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٨١ ما يلي:

«قال عمر لصهيب: صل بالناس ثلاثة ايام، وادخل علياً وعثمان والزبير وسعداً وعبدالرحمن بن عوف

الشورىٰ لم تتمثل في طريقة الاستخلاف التي انتهجها عمر، كما لم تتمثل من قبل في الطريقة التي سلكها الخليفة الاول.

وقد قال عمر ـ حين طلب منه الناس الاستخلاف (لو أدركني احد رجلين فجعلت هذا الامر اليه لوثقت به، سالم مولىٰ ابي حذيفة، وابي عبيدة بن الجرّاح، ولو كان سالم حياً ما جعلتها شورىٰ).

وقد قال ابو بكر لعبدالرحمن بن عوف وهو يناجيه علىٰ فراش الموت: (وددت ان سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن هذا الامر فلا ينازعه احد).

وحينما تجمّع الانصار في السقيفة لتأمير سعد بن عبادة قال منهم قائل:

إن أبت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون ونحن عشيرته واولياؤه، فقالت طائفة منهم اذن نقول منا أمير ومنكم أمير ولن نرضىٰ بدون هذا منهم أبدا).

وحينما خطب ابو بكر فيهم قال:

(كنا معاشر المسلمين المهاجرين اول الناس إسلاماً، والناس لنا في ذلك تبع، نحن عشيرة رسول الله، واوسط العرب انسابا).

وحينما اقترح الانصار ان تكون الخلافة دورية بين المهاجرين والانصار ردّ أبو بكر قائلاً:

(إن رسول الله لما بعث عظم علىٰ العرب ان يتركوا دين آبائهم فخالفوه وشاقوه، وخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه... هم أول من عبد الله في الارض، وهم اولياؤه وعترته، وأحق الناس بالأمر بعده، لا ينازعهم فيه الّا ظالم).

وطلحة ـ إن قدِم ـ واحضر عبدالله بن عمر ولا شيء له من الامر، وقم على رؤوسهم فان اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبي واحد فاشدخ رأسه، أو اضرب رأسه بالسيف.

وان اتفق اربعة فرضوا رجلاً منهم وأبىٰ اثنان فاضرب رؤوسهما. فان رضي ثلاثة رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً منهم، فحكموا عبدالله بن عمر، فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فان لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس..).

وقال الحباب بن المنذر وهو يشجع الانصار علىٰ التماسك:

(املكوا عليكم أيديكم انما الناس في فيئكم وظلكم فان أبى هؤلاء فمنا أمير ومنهم أمير).

وقد ردّ عليه عمر قائلاً:

(هيهات لا يجتمع سيفان في غمد... من ذا يخاصمنا في سلطان محمد وميراثه ونحن اولياؤه وعشيرته إلاّ مدل بباطل، أو متجانف لأثم، أو متورط في هلكة)[1]

ان الطريقة التي مارسها الخليفة الاول والخليفة الثاني للاستخلاف، وعدم استنكار عامة المسلمين لتلك الطريقة، والروح التي سادت على منطق الجناحين المتنافسين من الجيل الطليعي، المهاجرين والانصار يوم السقيفة، والاتجاه الواضح الذي بدأ لدى المهاجرين نحو تقرير مبدأ انحصار السلطة بهم، وعدم مشاركة الانصار في الحكم، والتأكيد على المبررات الوراثية التي تجعل من عشيرته أولىٰ العرب بميراثه. واستعداد كثير من الانصار لتقبّل فكرة أميرين، احدهما من الانصار والآخر من المهاجرين، واعلان ابي بكر الذي فاز بالخلافة في ذلك اليوم عن أسفه لعدم السؤال من النبي عن صاحب الامر. كل ذلك يوضح بدرجة لا تقبل الشك ان هذا الجيل الطليعي من الامة الاسلامية بما فيه القطاع الذي تسلّم الحكم بعد وفاة النبي لم يكن يفكر بذهنية الشورىٰ، ولم يكن يملك فكرة محددة عن هذا النظام، فكيف يمكن ان نتصور ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد مارس عملية توعية علىٰ نظام الشورىٰ تشريعياً وفكرياً، وأعدّ جيل المهاجرين والانصار لتسلم قيادة الدعوة بعده علىٰ اساس هذا النظام لتسلم قيادة الدعوة بعده علىٰ اساس هذا النظام، ثم لا نجد لدىٰ هذا الجيل تطبيقاً واعياً لهذا النظام أو مفهوماً محدداً عنه؟

كما اننا لايمكن أن نتصور ـ من ناحية اخرىٰ ـ ان الرسول القائد يضع هذا النظام، ويحدده تشريعياً ومفهومياً ثم لا يقوم بتوعية المسلمين عليه و تثقيفهم به.

---

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤٣، وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٦ ص ٩٦.

وهكذا يبرهن ما تقدم علىٰ ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن طرح الشورىٰ كنظام بديل علىٰ الامة، إذ ليس من الممكن عادة ان تطرح بالدرجة التي تتناسب مع اهميتها ثم تختفي اختفاءً كاملاً عن الجميع وعن كل الاتجاهات.

ومما يوضح هذه الحقيقة بدرجة اكبر ان نلاحظ:

اولا: ان نظام الشورىٰ كان نظاماً جديداً بطبيعته علىٰ تلكَ البيئة التي لم تكن قد مارست قبل النبوة أي نظام مكتمل للحكم، فكان لابدّ من توعية مكثفة و مركزة عليه كما اوضحنا ذلك.

ثـــانيا: ان الشورىٰ كفكرة مفهوم غائم لايكفي طرحه هكذا لامكان وضعه موضع التنفيذ ما لم تشرح تفاصيله وموازينه ومقاييس التفضيل عند اختلاف الشورىٰ، وهل تقوم هذه المقاييس علىٰ اساس العدد والكم، أو علىٰ اساس الكيف والخبرة؟ الىٰ غير ذلك مما يحدد للفكرة معالمها ويجعلها صالحة للتطبيق فور وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ثالثاً: ان الشورىٰ تعبر في الحقيقة عن ممارسة للامة ـ بشكل أو آخر ـ للسلطة عن طريق التشاور وتقرير مصير الحكم. فهي مسؤولية تتعلق بعدد كبير من الناس هم كل الذين تشملهم الشورىٰ، وهذا يعني انها لو كانت حكماً شرعياً يجب وضعه موضع التنفيذ عقيب وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكان لابدّ من طرحه على اكبر عدد من اولئك الناس لأن موقفهم من الشورىٰ ايجابي، وكل منهم يتحمل قسطاً من المسؤولية.

وكل هذه النقاط تبرهن علىٰ ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حال تبنيه لنظام الشورىٰ كبديل له بعد وفاته يتحتم عليه ان يطرح فكرة الشورىٰ علىٰ نطاق واسع وبعمق وباعداد نفسي عام، وملء لكل الثغرات، وابراز لكل التفاصيل التي تجعل الفكرة عملية، وطرح للفكرة علىٰ هذا المستوىٰ كماً وكيفاً وعمقاً، لا يمكن ان يمارسه الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ثم تنطمس معالمه لدىٰ جميع المسلمين الذين عاصروه الىٰ حين

وفاته صلوات اللّه عليه.

وقد يفترض ان النبي ﷺ كان قد طرح فكرة الشورىٰ بالصورة اللازمة، وبالحجم الذي يتطلبه الموقف كماً وكيفاً واستوعبها المسلمون، غير ان الدوافع السياسية استيقظت فجأة وحجبت الحقيقة وفرضت علىٰ الناس كتمان ماسمعوه من النبي فيما يتصل بالشورىٰ واحكامها وتفاصيلها.

غير ان هذا الافتراض ليس عملياً، لأن تلك الدوافع مهما قيل عنها فهي لا تشمل المسلمين الاعتياديين من الصحابة الذين لم يساهموا في الاحداث السياسية عقب وفاة النبي ﷺ ولا في بناء هرم السقيفة، وكان موقفهم موقف المترسل، وهؤلاء يمثلون في كل مجتمع جزءاً كبيراً من الناحية العددية مهما طغى الجانب السياسي عليه.

فلو كانت الشورىٰ مطروحة من قبل النبي ﷺ بالحجم المطلوب لما اختص الاستماع الىٰ نصوصها باصحاب تلك الدوافع، بل لسمعها مختلف الناس، ولا نعكست بصورة طبيعية عن طريق الاعتياديين من الصحابة كما انعكست فعلاً النصوص النبوية علىٰ فضل الامام علي عليه السلام ووصايته عن طريق الصحابة أنفسهم، فكيف لم تحل الدوافع السياسية دون ان تصل الينا مئات الاحاديث ـ عن طريق الصحابة ـ عن النبي ﷺ في فضل علي عليه السلام ووصايته ومرجعيته علىٰ الرغم من تعارض ذلك مع الاتجاه السائد وقتئذٍ، ولم يصلنا شيء ملحوظ من ذلك فيما يتصل بفكرة الشورىٰ؟ بل حتىٰ اولئك الذين كانوا يمثلون الاتجاه السائد كانوا في كثير من الاحيان يختلفون في المواقف السياسية وتكون من مصلحة هذا الفريق أو ذاكَ ان يرفع شعار الشورىٰ ضدّ الفريق الآخر. ومع ذلك لم نعهد أنّ فريقاً منهم استعمل هذا الشعار كحكم سمعه من النبي ﷺ فلاحظوا علىٰ سبيل المثال موقف طلحة من تعيين ابي بكر لعمر واستنكاره لذلك واعلانه السخط على هذا التعيين، فانه لم يفكر ـ علىٰ رغم ذلك ـ ان يلعب ضدّ هذا التعيين بورقة الشورىٰ، ويشجب موقف ابىٰ بكر

بانه يخالف ما هو المسموع من النبي ﷺ عن الشورىٰ والانتخاب)

ثم تطرق السيد الشهيد الصدر رضي الله عنه الىٰ قضية اساسية هي قيمومة الصحابة على الدعوة الاسلامية فهل جعل النبي ﷺ القيمومة لهم، وهل عبئهم لتحمل هذه المسؤولية الكبيرة، واذا كان الامر كذلك فهل هناك نصوص تدعم هذا الاتجاه؟ فاجاب رضي الله عنه :

النقطة الثانية:

ان النبي ﷺ لو كان قد قررّ أن يجعل من الجيل الاسلامي الرائد، الذي يضم المهاجرين والانصار من صحابته قيّما علىٰ الدعوة بعده و مسؤولاً عن مواصلة عملية التغيير، فهذا يحتم علىٰ الرسول القائد ﷺ ان يعبيء هذا الجيل تعبئة رسالية وفكرية واسعة، يستطيع ان يمسك بالنظرية بعمق ويمارس التطبيق في ضوئها بوعي، ويضع للمشاكل التي تواجهها الدعوة باستمرار حلولها النابعة من الرسالة خصوصاً اذا لاحظنا ان النبي ﷺ كان ـ وهو الذي بشرّ بسقوط كسرىٰ وقيصر ـ يعلم بانّ الدعوة مقبلة علىٰ فتوح عظيمة، وان الامة الاسلامية سوف تضم اليها في غدٍ قريب شعوبا جديدة ومساحة كبيرة، وتواجه مسؤولية توعية تلك الشعوب علىٰ الاسلام، وتحصين الامة من اخطار هذا الانفتاح، وتطبيق احكام الشريعة علىٰ الارض المفتوحة وعلىٰ اهل الارض، بالرغم من ان الجيل الرائد من المسلمين كان انظف الاجيال التي توارثت الدعوة واكثرها استعداداً للتضحية. وبالرغم من كل ذلك لانجد فيه ملامح ذلكَ الاعداد الخاص للقيمومة علىٰ الدعوة، والتثقيف الواسع العميق علىٰ مفاهيمها، والارقام التي تبرر هذا النفي كثيرة لايمكن استيعابها في هذا المجال.

ويمكننا ان نلاحظ بهذا الصدد ان مجموع مانقله الصحابة من نصوص عن النبي ﷺ في مجال التشريع لايتجاوز بضع مئات من الاحاديث، بينما كان عدد الصحابة يناهز اثني عشر الفاً علىٰ ما احصته كتب التاريخ. وكان النبي ﷺ يعيش مع آلآف من هؤلاء في بلد واحدٍ ومسجد واحد صباحاً ومساءً، فهل يمكن ان نجد

في هذه الارقام ملامح الاعداد الخاص؟

والمعروف عن الصحابة انهم كانوا يتحاشون من ابتداء النبي ﷺ بالسؤال حتىٰ ان احدهم كان ينتظر فرصة مجيء اعرابي من خارج المدينة يسأل ليسمع الجواب، وكانوا يرون ان من الترف الذي يجب الترفع عنه السؤال عن حكم قضايا لم تقع بعد ومن اجل ذلك قال عمر علىٰ المنبر:

(احرج باللّه علىٰ رجل سأل عمّا لم يكن فانّ اللّه قد بيّن ما هو كائن).

وقال:

(لا يحل لاحدٍ ان يسأل عمّا لم يكن إن الله قد قضىٰ فيما هو كائن)[١] وجاء رجل يوماً الىٰ ابن عمر يساله عن شيء فقال له ابن عمر: (لا تسأل عمّا لم يكن فاني سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سأل عمّا لم يكن)[٢] وسأل رجل أُبي بن كعب عن مسالة قال:

يا بُني أكان الذي سألتني؟

قال: لا.

قال: اما لا فأجلني حتىٰ يكون)[٣] وقرأ عمر يوماً القران فانتهىٰ الى قوله تعالىٰ ﴿فانبتنا فيها حباً وعنباً وقضبا وزيتوناً ونخلاً وحدائق غُلبا وفاكهة وأباً﴾[٤] فقال: كل هذا عرفناه فما الأب؟ ثم قال: هذا لعمر اللّه هو التكلف فما عليك ان لا تدري ما الأب، اتبعوا ما بُين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه فكلوه الىٰ ربه).

وهكذا نلاحظ اتجاهاً لدىٰ الصحابة الىٰ العزوف عن السؤال إلاّ في حدود

---

(١) سنن الدارمي ج ١/ ٥٠ طبع مطبعة الاعتدال دمشق.

(٢) سنن الدارمي ج ١/ ٥٠ طبع مطبعة الاعتدال دمشق.

(٣) سنن الدارمي ج ٥٦/١.

(٤) سورة عبس اية ٢٧ـ٣١.

المشاكل المحدودة الواقعة.

وهذا الاتجاه هو الذي أدىٰ الىٰ ضئالة عدد النصوص التشريعة التي نقلوها عن الرسول ﷺ وهو الذي أدىٰ بعد ذلك الىٰ الاحتياج الىٰ مصادر اخرىٰ غير الكتاب و السنة كالاستحسان والقياس وغيرهما من الوان الاجتهاد التي يتمثل فيها العنصر الذاتىٰ للمجتهد، الأمر الذي أدىٰ الىٰ تسرب شخصية الانسان بذوقه وتصوراته الخاصة الىٰ التشريع، وهذا الاتجاه أبعد ما يكون عن عملية الاعداد الرسالي الخاص التي كانت تتطلب تثقيفاً واسعاً لذلك الجيل وتوعية له على حلول الشريعة للمشاكل التي سوف يواجهها عِبَر قيادته.

وكما أَمسك الصحابة عن مبادرة النبي بالسؤال كذلك أمسكوا عن تدوين آثار الرسول الاعظم ﷺ وسنتة علىٰ رغم انها المصدر الثانىٰ من مصادر الاسلام، وان التدوين كان هو الاسلوب الوحيد للحفاظ عليها و صيانتها من الضياع والتحريف، فقد أخرج الهروي في ذم الكلام عن طريق يحيى بن سعد عن عبدالله بن دينار قال:

(لم يكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الاحاديث وانما كانوا يؤدونها لفظاً و ياخذونها حفظاً).

بل ان الخليفة الثاني ـ على ما في طبقات ابن سعد ـ ظل يفكر في الموقف الافضل تجاه سنة الرسول، واستمر به التفكير شهراً ثم اعلن منعه عن تسجيل شيء من ذلك وبقيت سنة الرسول الاعظم التي هى اهم مصدر للاسلام بعد الكتاب الكريم في ذمة القدر يتحكم فيها النسيان تارة، والتحريف اخرىٰ، وموت الحفاظ ثالثة طيلة مائة وخمسين سنة تقريباً.

ويستثنىٰ من ذلك اتجاه اهل البيت فانهم دأبوا علىٰ التسجيل والتدوين منذ العصر الاول، وقد استفاضت رواياتنا عن أئمة اهل البيت بانّ عندهم كتاباً ضخماً مدوناً باملاء رسول الله ﷺ وخط علي بن ابي طالب عليه السلام فيه جميع سنن رسول الله ﷺ.

فهل ترىٰ بربك أن ذلكَ الاتجاه الساذج ـ ان كانت المسالة مسالة سذاجة ـ الذي ينفر من السؤال عن واقعة قبل حدوثها ويرفض تسجيل سنن النبي ﷺ بعد صدورها كفؤاً لزعامة الرسالة الجديدة وقيادتها في أهم وأصعب مراحل مسيرتها الطويلة؟.

او هل ترىٰ بربك ان الرسول الاعظم ﷺ كان يترك سنته مبعثرة بدون ضبط وتسجيل مع انه يأمر بالتمسل بها؟. أو لم يكن من الضروري اذا كان يمهد لفكرة الشورىٰ حقاً ان يحدد للشورىٰ دستورها و يضبط سنته لكىٰ تسير الشورىٰ علىٰ منهاج ثابت محدد لا تتلاعب به الاهواء؟

اليس التفسير الوحيد المعقول لهذا الموقف من النبي أنه كان قد أعدّ الامام علياً للمرجعية وزعامة التجربة بعده، واودعه سنته كاملة، وعلمّه الف باب من العلم.

وقد اثبتت الاحداث بعد وفاة النبي ﷺ ان جيل المهاجرين والانصار لم يكن يملك أىّ تعليمات محددة عن كثير من المشاكل الكبيرة التي كان من المفروض ان تواجهها الدعوة بعد النبي، حتى ان المساحة الهائلة من الارض التي امتدّ اليها الفتح الاسلامي، لم يكن لدىٰ الخليفة والوسط الذي يسنده، أي تصور محددّ عن حكمها الشرعىٰ، وعما اذا كانت تُقسّم بين المقاتلين أو تُجعل وقفاً علىٰ المسلمين عموماً. فهل يمكننا ان نتصور ان النبي يؤكد للمسلمين انهم سوف يفتحون أرض كسرىٰ وقيصر، ويجعل من جيل المهاجرين والانصار القيّم علىٰ الدعوة، والمسؤول عن هذا الفتح ثم لا يخبره بالحكم الشرعىٰ الذي يجب أن يطبقه علىٰ تلك المساحة الهائلة من الدنيا التي سوف يمتد اليها الاسلام؟.

بل اننا نلاحظ اكثر من ذلك: ان الجيل المعاصر للرسول ﷺ لم يكن يملك تصورات واضحة محددة حتىٰ في مجال القضايا الدينية التي كان النبي ﷺ يمارسها مئات المرات وعلىٰ مرأىٰ ومسمع من الصحابة. ونذكر علىٰ سبيل المثال لذلك الصلاة علىٰ الميت فانها عبادة كان النبي ﷺ قد مارسها علانية مئات المرات،

وأداها في مشهد عام من المشيعين و المصلين وبالرغم من ذلك يبدو أن الصحابة كانوا لايجدون ضرورة معرفة هذه العبادة ما دام النبي ﷺ يؤديها، و ما داموا يتابعون فيها النبي فصلاً بعد فصل. ولهذا وقع الاختلاف بينهم بعد وفاة النبي ﷺ في عدد التكبيرات في صلاة الميت فقد اخرج الطحاوي عن ابراهيم قال: قُبض رسول الله والناس مختلفون في التكبير على الجنازة، لا تشاء ان تسمع رجلاً يقول سمعت رسول الله يكبر خمساً، وآخر يقول سمعت رسول الله يكبر أربعاً، فاختلفوا في ذلك حتى قبض ابوبكر، فلما ولي عمر ورأىٰ اختلاف الناس في ذلك شق عليه جداً، فارسل الى رجال من اصحاب رسول الله فقال: إنكم معاشر اصحاب رسول الله متىٰ تختلفون علىٰ الناس يختلفون من بعدكم، ومتىٰ تجتمعون علىٰ أمر يجتمع الناس عليه فانظروا ما تجتمعون عليه، فكانما أيقظهم فقالوا: نِعْمَ ما رأيت يا امير المؤمنين.

وهكذا نجد ان الصحابة كانوا في حياة النبي ﷺ يتكلون غالباً على شخص النبي ﷺ ولا يشعرون بضرورة الاستيعاب المباشر للاحكام والمفاهيم ما داموا في كنف النبي ﷺ .

وقد تقول إنّ هذه الصورة التي عُرضت عن الصحابة وما فيها من ارقام على عدم كفائتهم للقيادة يتعارض مع ما نؤمن به جميعاً من ان التربية النبوية احرزت درجة هائلة من النجاح وحققت جيلاً رسالياً رائعاً.

والجواب: إنا بما قدمناه قد حددنا الصورة الواقعية لذلك الجيل الواسع الذي عاصر وفاة النبي ﷺ دون ان نجد في ذلك ما يتعارض مع التقييم الايجابي بدرجة عاليةٍ للتربية النبوية التي مارسها الرسول ﷺ في حياته الشريفة، لاننا في نفس الوقت الذي نؤمن فيه بأن التربية النبوية كانت مثلاً ربانياً رائعاً وبعثاً رسالياً متميزاً في تاريخ العمل النبوي على مرّ الزمن نجد ان الايمان بذلك والوصول الىٰ تقييم حقيقي لمحصول هذه التربية ونتائجها لايقوم على أساس ملاحظة النتائج بصورة منفصلة عن ظروف التربية وملابساتها، ولا علىٰ أساس، ملاحظة الكم بصورة منفصلة عن الكيف.

في مجال تقييم التربية النبوية يجب ان ناخذ بعين الاعتبار:

اولاً: قصر الفترة الزمنية التي مارس النبي ﷺ فيها تربيته، لانها لاتتجاوز تقريباً عقدين من الزمن بالنسبة الىٰ اقدّم صَحبه، ولا تتجاوز عقداً واحداً من الزمن بالنسبة الىٰ الكثرة الكاثرة من الانصار، ولاتتجاوز ثلاث سنوات أو اربع بالنسبة الىٰ الاعداد الهائلة التي دخلت الاسلام ابتداءً منذ صلح الحديبية، واستمراراً الىٰ حين فتح مكة.

ثانياً: الوضع المسبق الذي كان هؤلاء يعيشونه من الناحية الفكرية والروحية والدينية والسلوكية قبل ان يبدأ النبي ﷺ بممارسة دوره، وما كانوا عليه من سذاجة وفراغ وعفوية في مختلف مجالات حياتهم.

ثـــــــالثاً: ما زخرت به تلكَ الفترة من أحداث وألوان الصراع السياسىٰ والعسكرىٰ علىٰ جبهات متعددة، الامر الذي ميزّ طبيعة العلاقة بين الرسول الاعظم وصحابته من نوع العلاقة بين شخص كالسيد المسيح وتلامذته فلم تكن علاقة مدّرس ومربّ متفرغ لاعداد تلامذته، وانما هىٰ العلاقة التي تتناسب مع موقع الرسول كمربٍ وقائد حرب ورئيس دولة.

رابـعاً: ما واجهته الجماعة المسلمة نتيجة احتكاكها باهل الكتاب، وبثقافات دينية متنوعة من خلال صراعها العقائدي الاجتماعي فقد كان هذا الاحتكاك وما يطرحه علىٰ الساحة خصوم الدعوة الجديدة المثقفين بثقافات دينية سابقة، مصدر قلق وإثارة مستمرة. وكلّنا نعرف أنه شكل بعد ذلك تياراً فكرياً إسرائيلياً تسرب بصورة عفوية، أو بسوء نية الىٰ كثير من مجالات التفكير. ونظرة فاحصة في القرآن الكريم تكفي لاكتشاف حجم المحتوىٰ لفكر الثورة المضادة، ومدىٰ اهتمام الوحي برصدها ومناقشة أفكارها.

خــــــامساً: ان الهدف الذي كان يسعىٰ المربي الاعظم ﷺ لتحقيقه على المستوىٰ العام، وفي تلكَ المرحلة هو ايجاد القاعدة الشعبية الصالحة التي يمكن

لزعامة الرسالة الجديدة ـ في حياته أو بعد وفاته ـ أن تتفاعل معها وتواصل عن طريقها التجربة، ولم يكن الهدف المرحلي وقتئذٍ تصعيد الامة الى مستوىٰ هذه الزعامة نفسها بما تتطلبه من فهم كامل للرسالة، وتفقه شامل علىٰ احكامها، والتحام مطلق مع مفاهيمها وتحديد الهدف في تلكَ المرحلة بالدرجة التي ذكرناها كان امراً منطقياً تفرضه طبيعة العمل التغييري، إذ ليس من المعقول ان يرسم الهدف الاّ وفقاً لممكنات عملية، ولا مكان عملي في حالة كالحالة التي واجهها الاسلام إلاّ ضمن الحدود التي ذكرناها، لأن الفاصل المعنوي والروحي والفكري والاجتماعي بين الرسالة الجديدة وبين الواقع الفاسد القائم وقتئذٍ كان لا يسمح بالارتفاع بالناس الىٰ مستوىٰ زعامة هذه الرسالة مباشرة.

سـادساً: إنّ جزءاً كبيراً من الامة التي تركها النبي ﷺ بوفاته كان يمثل مسلمة الفتح، أي المسلمين الذين دخلوا الاسلام بعد فتح مكة وبعد ان أصبحت الرسالة الجديدة سيدة الموقف في الجزيرة العربية سياسياً وعسكرياً، وهؤلاء لم يتح للرسول الاعظم ﷺ أن يتفاعل معهم في الفترة القصيرة التي أعقبت الفتح الاّ بقدر ضئيل، وكان جلّ تفاعله معهم بوصفه حاكماً بحكم المرحلة التي كانت الدولة الاسلامية تمرُّ بها.

في اطار هذه الامور الستة نجد ان التربية النبوية انتجت إنتاجاً عظيماً، وحققت تحولاً فريداً، وأنشأت جيلاً صالحاً مؤهلاً لما استهدفه النبي من تكوين قاعدة شعبية صالحة للالتفات حول الزعامة القائدة للتجربة الجديدة واسنادها، ولذلكَ نجد ان ذلك الجيل كان يؤدي دوره كقاعدة شعبية صالحة مادامت الزعامة القائدة الرشيدة كانت قائمة في شخص النبي. ولو قدّر لهذه الزعامة ان تأخذ مسارها الربانىٰ لظلت القاعدة تؤدي دورها الصالح، غير ان هذا لا يعني بحال من الاحوال انها مهيأة فعلاً لكىٰ تتسلم هذه الزعامة، وتقود بنفسها التجربة الجديدة، لأن هذه التهيئة تتطلب درجة اكبر من الانصهار الروحي والايماني بالرسالة، واحاطة أوسع كثيراً

باحكامها ومفاهيمها ووجهات نظرها المختلفة عن الحياة، وتطهيراً اشمل لصفوفها من المنافقين والمندسين والمؤلفة قلوبهم الذين كانوا لا يزالون يشكلون جزءاً من ذلك الجيل له أهميته العددية ومواقعه التاريخية، كما ان له آثاره السلبية، بدليل حجم ما تحدث به القران الكريم عن المنافقين و مكائدهم ومواقفهم مع تواجد أفراد في ذلك الجيل قد استطاعت التجربة أن تبنيهم بناءً رسالياً رفيعاً وتصهرهم في بوتقتها كسلمان وأبي ذر وعمار وغيرهم.

اقول: ان تواجد هؤلاء الافراد ضمن ذلك الجيل الواسع لا يبرهن علىٰ ان ذلك الجيل ككل بلغ الىٰ الدرجة التي تبرر اسناد مهام التجربة اليه علىٰ اساس الشورىٰ، وحتىٰ اولئك الافراد الذين مثلوا النمط الرفيع رسالياً من ذلك الجيل لا يوجد في اكثرهم ما يبرر افتراض كفايتهم الرسالية لزعامة التجربة من الناحية الفكرية والثقافية علىٰ رغم شدة إخلاصهم، وعمق ولائهم، لأن الاسلام ليس نظرية بشرية لكىٰ يتحدد فكرياً من خلال الممارسة والتطبيق وتتبلور مفاهيمه عبر التجربة المخلصة، وانما هو رسالة الله التي حددت فيها الاحكام والمفاهيم و زودت ربانياً بكل التشريعات العامة التي تتطلبها التجربة فلابدّ لزعامة هذه التجربة من استيعاب الرسالة بحدودها و تفاصيلها، ومن وعي بكل احكامها ومفاهيمها، وإلاّ اضطرت الىٰ استلهام مسبقاتها الذهنية ومرتكزاتها القبلية، وادىٰ ذلك الىٰ نكسة في مسيرة التجربة، وبخاصة إذا لاحظنا ان الاسلام كان هو الرسالة الخاتمة من رسالات السماء التي يجب ان تمتد مع الزمن، وتتعدىٰ كل الحدود الوقتية والا قليمية والقومية الامر الذي لايسمح بان تمارس زعامته التي تشكل الاساس لكل ذلك الامتداد تجارب الخطأ والصواب التي تتراكم فيها الاخطاء عبر فترة من الزمن حتىٰ تشكل ثغرة تهدد التجربة بالسقوط والانهيار.

وكل ما تقدم يدل علىٰ ان التوعية التي مارسها النبي ﷺ على المستوىٰ العام للمهاجرين والانصار لم تكن بالدرجة التي يتطلبها إعداد القيادة الواعية الفكرية

والسياسية لمستقبل الدعوة وعملية التغيير، وانما كانت توعية بالدرجة التي تبني القاعدة الشعبية الواعية التي تلتف حول قيادة الدعوة في الحاضر والمستقبل.

وأي افتراض يتجه الىٰ القول بانّ النبي ﷺ كان يخطط لاسناد قيادة التجربة والقيمومة علىٰ الدعوة بعده مباشرة الىٰ جيل المهاجرين والانصار، يحتوي ضمناً اتهام أذكىٰ وأبصر قائد رسالي في تاريخ العمليات التغييرية بعدم القدرة على التمييز بين الوعي المطلوب علىٰ مستوىٰ القاعدة الشعبية للدعوة والوعي المطلوب علىٰ مستوىٰ قيادة الدعوة وإمامتها الفكرية والسياسية.

النقطة الثالثة:

ان الدعوة عملية تغيير، ومنهاج حياة جديدة وهي تستهدف بناء امة من جديد واقتلاع كل جذور الجاهلية ورواسبها من وجودها.

والامة الاسلامية ككل لم تكن قد عاشت في ظل عملية التغيير هذه إلاّ عقداً واحداً من الزمن علىٰ اكثر تقدير، وهذا الزمن القصير لايكفي عادة في منطق الرسالات العقائدية والدعوات التغييرية لارتفاع الجيل الذي عاش في كنف الدعوة عشر سنوات فقط الىٰ درجة من الوعي والموضوعية والتحرر من رواسب الماضىٰ، والاستيعاب لمعطيات الدعوة الجديدة تؤهله للقيمومة علىٰ الرسالة وتحمل مسؤوليات الدعوة ومواصلة عملية التغيير بدون قائد، بل ان منطق الرسالات العقائدية يفرض ان تمرّ الامة بوصاية عقائدية فترة اطول من الزمن تهيؤها للارتفاع الىٰ مستوىٰ تلكَ القيمومة.

وليس هذا شيئاً نستنتجه استنتاجاً فحسب وانما يعبر أيضاً عن الحقيقة التي برهنت عليها الاحداث بعد وفاة القائد الرسول ﷺ وتجلت عبر نصف قرن أو اقل من خلال ممارسة جيل المهاجرين والانصار لامامة الدعوة والقيمومة عليها، إذ لم يمض علىٰ هذه القيمومة ربع قرن حتىٰ بدأت الخلافة الراشدة والتجربة الاسلامية التي تولى جيل المهاجرين والانصار قيادتها تنهار تحت وقع الضربات الشديدة

التي وجهها أعداء الاسلام القدامىٰ ولكن من داخل اطار التجربة الاسلامية لا من خارجها، إذ استطاعوا ان يستللوا الىٰ مراكز النفوذ في التجربة بالتدريج، واستغلوا القيادة غير الواعية ثم صاروا بكل وقاحة وعنف تلك القيادة، وأجبروا الامة وجيلها الطليعي الرائد على التنازل عن شخصيته و قيادته، وتحولت الزعامة الى ملك موروث يستهتر بالكرامات ويقتل الابرياء ويُبعثر الاموال ويعطل الحدود ويجمّد الاحكام ويتلاعب بمقدرات الناس، واصبح الفيء والسواد بستاناً لقريش، والخلافة كرة يتلاعب بها صبيان بني أمية.

فواقع التجربة بعد النبي، وما تمخض عنه بعد ربع قرن من نتائج يدعم الاستنتاج المتقدم الذي يؤكد انّ اسناد القيادة والامامة الفكرية والسياسية لجيل المهاجرين والانصار عقيب وفاة النبي ﷺ مباشرة إجراء مبكر وقبل وقته الطبيعي، ولهذا ليس من المعقول ان يكون النبي قد اتخذ اجراءً من هذا القبيل.

طريق التعيين

وتحدث رضوان الله عليه عن الطريق الثالث وهو طريق التعيين والاستخلاف لشخص يمتلك مقومات قيادة التجربة علىٰ خطىٰ الرسول ﷺ ومنهجه فقال:

ان الطريق الثالث المفترض هو الايجابية ممثلة في اعداد ونصب من يقود الامة وهذا هو الطريق الوحيد الذي بقي منسجماً مع طبيعة الاشياء، ومعقولاً في ضوء ظروف الدعوة والدعاة، وسلوك النبي ﷺ وهو ان يقف النبي ﷺ من مستقبل الدعوة بعد وفاته موقفاً إيجابياً، فيختار بأمر الله سبحانه وتعالىٰ شخصاً يرشحه عمق وجوده في كيان الدعوة، فيعده اعداداً رسالياً وقيادياً خاصاً لتتمثل فيه المرجعية الفكرية والزعامة السياسية للتجربة، وليواصل بعده بمساندة القاعدة الشعبية الواعية من المهاجرين والانصار قيادة الامة وبناءها عقائدياً، وتقريبها باستمرار نحو المستوىٰ الذي يؤهلها لتحمل المسؤوليات القيادية.

وهكذا نجد أنّ هذا هو الطريق الوحيد الذي كان بالامكان ان يضمن سلامة

مستقبل الدعوة، وصيانة التجربة في خط نموها وهكذا كان.

وليس ما تواتر عن النبي ﷺ من النصوص التي تدل على انه كان يمارس إعداداً رسالياً وتثقيفاً عقائدياً خاصاً لبعض الدعاة علىٰ مستوىٰ يهيئه للمرجعية الفكرية والسياسية، وانه ﷺ قد عهد اليه بمستقبل الدعوة وزعامة الامة من بعده فكرياً وسياسياً، ليس هذا الاّ تعبيراً عن سلوك القائد الرسول ﷺ للطريق الثالث الذي كانت تفرضه وتدل عليه من قبل ذلك طبيعة الاشياء كما عرفنا.

ولم يكن هذا الشخص الداعية المرشح للاعداد الرسالي القيادي والمنصوب لتسلم مستقبل الدعوة، وتزعمها فكرياً وسياسياً إلاّ علي بن ابي طالب، الذي رشحه لذلك عمق وجوده في كيان الدعوة، وانه المسلم الاول والمجاهد الاول في سبيلها عبر كفاحها المرير ضدّ كل أعدائها، وكذلك عمق وجوده في حياة القائد الرسول ﷺ وانه ربيبه الذي فتح عينيه في حجره ونشأ في كنفه، وتهيأت له من فرص التفاعل معه والاندماج بخطه مالم يتوفر لأي انسان آخر.

والشواهد من حياة النبي والامام علي، على أن النبي ﷺ كان يعد الامام إعداداً رسالياً خاصاً كثيرة جداً، فقد كان النبي يخصه بكثير من مفاهيم الدعوة وحقائقها، ويبدؤه بالعطاء الفكري والتثقيف إذا استنفذ الامام اسئلته، ويختلي به الساعات الطوال في الليل والنهار، يفتح عينيه على مفاهيم الرسالة ومشاكل الطريق، ومناهج العمل الىٰ آخر يوم من حياته الشريفة.

روىٰ الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي اسحاق قال: سألت القاسم بن العباس: كيف ورث عليٌّ رسولَ الله؟ قال: لانه كان أولنا به لحوقاً وأشدنا به لزوقاً.

وفي حلية الاولياء عن ابن عباس أنه يقول: كنا نتحدث ان النبي ﷺ عهد الى عليّ بسبعين عهداً لم يعهد الى غيره.

وروىٰ النسائي في الخصائص عن الامام عليّ أنه يقول: كانت لي منزلة من رسول الله لم تكن لأحد من الخلائق، كنت ادخل علىٰ نبي الله كلّ ليلة، فان كان

يصلي سبّح، وان لم يكن يصلي أذن لى فدخلت.

وروىٰ النسائي عن ام سلمة انها كانت تقول: والذي تحلف به امُ سلمة ان اقرب الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي، قالت: لما كانت غداة قبض رسول الله، فارسل اليه رسول الله، وأظنه كان بعثه في حاجة، فجعل يقول: جاء علي؟ ثلاث مرات، فجاء قبل طلوع الشمس، فلما ان جاء عرفنا انّ له اليه حاجة، فخرجنا من البيت، وكنا عند رسول الله يومئذٍ في بيت عائشة وكنت في آخر من خرج من البيت ثم جلست وراء الباب فكنت أدناهم الىٰ الباب، فأكب عليه عليّ فكان آخر الناس به عهداً فجعل يساره ويناجيه.

وقال امير المؤمنين في خطبته القاصعة الشهيرة وهو يصف ارتباطه الفريد بالرسول القائد، وعناية النبي باعداده وتربيته: وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وانا ولدٌ، يضمني الى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل... ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل لأثر امه، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولايراه غيري، ولم يجتمع بيت واحد يومئذٍ في الاسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرىٰ نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة.

ان هذه الشواهد، وشواهد اخرىٰ كثيرة تقدّم لنا صورة عن ذلك الاعداد الرسالي الخاص الذي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمارسه في سبيل توعية الامام على المستوىٰ القيادي للدعوة.

كما ان في حياة الامام علي عليه السلام بعد وفاة القائد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أرقاماً كثيرة جداً تكشف عن ذلكَ الاعداد العقائدي الخاص للامام علي عليه السلام من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما تعكسه من آثار ذلكَ الاعداد الخاص ونتائجه فقد كان الامام هو المفزع والمرجع لحلّ أي مشكلة يستعصي حلها على القيادة الحاكمة وقتئذ. ولا

نعرف في تاريخ التجربة الاسلامية على عهد الخلفاء واقعة واحدة رجع فيها الامام الى غيره لكي يتعرّف على رأي الاسلام وطريقة علاجه للموقف، بينما نعرف في التاريخ عشرات الوقائع التي أحست القيادة الاسلامية الحاكمة بضرورة الرجوع الىٰ الامام علي رغم تحفظاتها في هذا الموضوع.

واذا كانت الشواهد كثيرة علىٰ ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعدّ الامام إعداداً خاصاً لمواصلة قيادة الدعوة من بعده، فالشواهد علىٰ اعلان الرسول القائد عن تخطيطه هذا، واسناد زعامة الدعوة الفكرية والسياسية رسمياً الىٰ الامام علي عليه السلام لاتقل عنها كثرة، كما نلاحظ ذلك في حديث الدار، وحديث الثقلين وحديث المنزلة، وحديث الغدير وعشرات النصوص النبوية الاخرىٰ.(١)

من خلال هذه الدراسة المعمقة للسيد الشهيد الصدر رضي الله عنه لما يمكن ان يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مرحلة ما بعد وفاته لضمان مستقبل مسيرة الاسلام نصل الى النتيجة المنطقية والطبيعية التي تؤكد انه صلى الله عليه وآله وسلم اعدّ علياً عليه السلام للخلافة، وقيادة مسيرة الاسلام من بعده.

إعداد علي عليه السلام للخلافة

وعلىٰ صعيد الواقع نجد لعلي عليه السلام دون سواه من الصحابة، زخماً هائلاً من الاحاديث النبوية الشريفة التي تشيد وتمجد بشخصيته من جوانبها المختلفة.

يقول أحمد بن حنبل: ما جاء لأحدٍ من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفضائل ما جاء لعلي بن ابي طالب)(٢)

وهي تمثل اشواط مرحلة الاعداد من ناحيتين: الاولى ما يتعلق بالشخصية القيادية لعلي عليه السلام، وثانياً اعداد الامة وتهيئتها روحياً ونفسياً للعمل مع القيادة

---

(١) بحث حول الولاية للامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر / طبع دار التعارف بتصرف يسير.

(٢) مستدرك الصحيحين ج٣/١٠٧].

الجديدة المكملة لمسيرة النبوة.

ومن البداية يجب أن نستبعد افتراض ان يكون سبب ذلك القرابة لرسول الله، المجردة عن أي استحقاق ديني ورباني، وان ما صدر انما صدر بدافع القرابة المطلقة. أو أن ذلك بدافع الهوىٰ أو العبث مثلاً.

ان هذا المنطق لايجوز افتراضه بشأن الرسول الاكرام الذي لا ﴿ينطق عن الهوىٰ ان هو الاوحي يوحى﴾[1] وانه ﴿لو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾[2] فانّ الأمة الاسلامية مجمعة علىٰ الايمان بهذه الرؤية القرانية عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وانه معصوم ولا يبلّغ الاّ عن الله عزوجل فلاحاجة الىٰ نقاش ذلك. وقد تقدّم نظيره حينما بحثنا الاحتمالات المنطقية للروايات التي صدرت بحق الزهراء عليها السلام، ونفس الكلام يأتي هنا.

وعلىٰ هذا الاساس يجب ان نتناول الموضوع من زاويته الطبيعية والمنطقية، ونقيّم الاحاديث التي وردت بحق الامام علي عليه السلام في اطار الحكمة والهدفية السامية، التي اتسم بها الاسلام ونبيه العظيم صلى الله عليه وآله وسلم بعيداً عن المؤثرات العقائدية والشخصية لاتباع المذاهب الاسلامية.

كما يجب ان نؤكد ان هذا اللون من البحث لا يعني التعريض بالصحابة، أو لعدد منهم، أو اهانتهم وذلك لاننا نعتقد ان المجتمع الذي بناه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يمثل القمة في الطهارة والنقاء. واذا صدر من هذا الصحابي أو ذاك شيء لاينسجم مع وصفنا لمجتمع الصحابة بالقداسة، ونستشهد به خلال بحثنا فلا نقصد من ذلكَ التعريض، او توجيه الامانة وانما ننظر للحادثة كواقع تاريخي يساعد على فهم النص واستيعاب محتواه الحقيقي، على ضوء الظروف والمؤثرات زمن الصدور.

كما ان عرضنا لواقع الامام علي عليه السلام ومكانته الكبيرة عند الله تعالى ورسوله لا

---

(١) النجم / ٣ـ٤.

(٢) الحاقة ٤٤ـ٤٦.

يعني التنكر لجميع ايجابيات مجتمع الصحابة التي اضاءت تاريخ الامة الاسلامية، بل نقصد معالجة واقعية ملتزمة لواقع عاشته الامة خلال القرون الماضية، ونحن هنا لا نبحث عن المناقبية بل عن الهدفية، ولا نبحث عن العثرة بل عن العِبرة.

ان الالتزام بهذا المنهج يمكن ان يقربنا من الواقع بابعاده الكاملة، وصورته الحقيقية، وعلىٰ هذا الاساس فحينما نستعرض بعض ابعاد شخصية الامام علي عليه السلام انما نقصد معايشةً لظاهرةٍ اسلامية كبيرة تكتنز في داخلها قضية دينية كبيرة، هيٰ قضية الخلافة والحكم، والطريقة التي سلكها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتركيز خط الحكم والاستخلاف، والصعوبات التي ستواجه الخليفة المرتقب. وما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد أعده من معالجات لجميع العقبات التي تواجه مسيرة الاستخلاف.

ولا نريد ان نفرض رؤية معينة علىٰ القارئ ونقول ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نصّب علياً خليفة من بعده بناءً علىٰ ادلة كثيرة، منها حديث الغدير المتفق علىٰ روايته وتواتره، بل نقول ان دراسة ما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشأن علي عليه السلام يشكل ظاهرة استثنائية تستحق الدراسة، ولا يمكن تفسيرها بـ(المناقبية) البحتة، وعزلها عن الهدفية الواعية التي نعرفها في كل بصمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطواته على امتداد تاريخه المقدس. وسوف نلاحظ بعد قليل (الهدفية) في كل مراحل الاعداد التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي لا تقبل تفسيراً غير التفسير المنطقي الذي ينسجم مع هدفية الدين نفسه. فالرسول ايّ رسول انما هو مبلّغ لرسالات الله، وامين له في ارضه وعباده، وليس مدّاحاً لهذا أو ذاك (انما عليك البلاغ) وحين يصدر من الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم مدحاً لشخص يساويه فيه بنفسه في القيمة والقداسة، ويتجاوز حدود الاشادة الىٰ مراحل حاسمه كقوله صلى الله عليه وآله وسلم انت مني بمنزلة هارون من موسىٰ، فهنا يجب ان نبحث عن الاطار الصحيح الذي ينبغي ان نضعه فيه من الدين. لان المسالة في هذه الحالة خرجت عن كونها اشادة وثناء، الى قضية دينية اساسية، يترتب عليها معظم ما يترتب علىٰ النبوة نفسها. وهذا الذي نعنيه با لهدفية،

وهو ما وقع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشأن علي عليه السلام.

ولا اريد أن أتطرق الىٰ سيرة علي عليه السلام في عبادته وتقواه وجهاده وامثال ذلك، وافترض انها المبرّر القوي ـ وهي بلاشك وحدها تكفي لذلك ـ لاستحاق الخلافة وانما اترك ذلك لمجالة، واتمسك بنوعين من النصوص:

اولاً: النصوص التي تثبت ان علياً عليه السلام يمتلك من الخصائص القيادية والدينية التي تميزه عن غيره ولا يمتلكها سواه، وثانياً: النصوص التي تعتبره نفس النبي ولكن من دون نبوة مع ذكر بعض الخصائص الاخرىٰ التي تؤهله للخلافة دون غيره من الصحابة، وهذه الروايات يمكن تقسيمها الىٰ طوائف.

الطائفة الاولىٰ:

وهىٰ التي تؤكد على امتلاك الامام علي عليه السلام للخصائص التي يجب ان تتوفر في القائد، وتشكل معالم شخصيته القيادية الاسلامية والانسانية. واذاكان ما يجب ان نتحدث عنه كثيراً فاننا هنا سنتطرق الىٰ الاهم منها فقط، وبما يساهم في اعطاء الصورة الكاملة للشخصية القيادية لعلي عليه السلام مع ملاحظة الاختصار مهما أمكن.

١ـ علي أول وأعظم الناس ايماناً

وهي مجموعة من الروايات التي تتحدث عن علي عليه السلام باعتباره اعظم الناس ايماناً، وانّ الله عزّوجل قد امتحن قلبه للأيمان، وانه اول الناس ايماناً وأثبتهم عليه.

١ـعن عمر بن الخطاب قال: أشهد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسمعته وهو يقول: لو ان السماوات السبع وضعت في كفة ووضع ايمان عليّ في كفة لرجح ايمان علي)[١].

٢ـعن ربعي بن حراش، حدثنا علي بن ابي طالب عليه السلام قال:

لما كان يوم الحديبية خرج الينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو،

---

(١) الرياض النظرة ج٢ / ٢٢٦ مطبعة الاتحاد بمصر.

وأناس من رؤساء المشركين فقالوا: يا رسول الله خرج إليك ناس من أبنائنا واخواننا وأرقائنا وليس لهم فقه في الدين وانما خرجوا فراراً من اموالنا وضياعنا فارددهم الينا.

قال: فان لم يكن لهم فقه في الدين سنفقهه. فقال ﷺ: يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف علىٰ الدين، قد امتحن الله قلبه علىٰ الايمان.

قالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال ابو بكر: من هو يا رسول الله؟ وقال عمر: من هو يا رسول الله. قال هو خاصف النعل، وكان اعطىٰ علياً عليه السلام نعله يخصفها...)[١]

٣ـ عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن عبدالله بن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول:

كفوا عن ذكر علي بن ابي طالب فلقد رأيت من رسول الله ﷺ فيه خصالاً لئن تكون لي واحدة منهن في آل الخطاب أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس، كنت أنا وابو بكر وابوعبيدة في نفر من اصحاب رسول الله ﷺ فانتهيت الى باب ام سلمة وعليٌ قائم علىٰ الباب فقلنا: أردنا رسول الله ﷺ فقال: يخرج اليكم، فخرج رسول الله ﷺ فسرنا اليه فاتكأ علىٰ علي بن ابي طالب ثم ضرب بيده علىٰ منكبه ثم قال:

إنك مخاصم تخاصم انت أول المؤمنين إيماناً، واعلمهم بأيام الله، وأوفاهم بعهده، وأقسمهم بالسوية، وأرأفهم بالرعية، واعظمهم رزية، وانت عاضدي وغاسلي ودافني والمتقدم الى كل شديدة وكريهة، ولن ترجع بعدي كافرا، وانت تتقدمني بلواء الحمد وتذود عن حوضي...)[٢]

٤ـ اخرج ابو احمد وابن مندة وغيرهما من طريق اسحاق بن بشر الاسدي عن

---

(١) صحيح الترمذي ج ٢ وكذلك خصائص النسائي ص ١١، تاريخ بغداد ج ١/ ١٣٣.
(٢) كنز العمال ج ٦/ ٣٩٣.

خالد بن الحارث عن عوف عن الحسن عن ابي ليلىٰ الغفاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

سيكون من بعدي فتنة فاذا كان ذلك فالزموا علي بن ابي طالب فانه اول من آمن بي، واول من يصافحني يوم القيامة، وهو الصديق الاكبر وهو فاروق هذه الامة، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين).[1]

٢ـ علي اعلم الناس

كما انه يجب ان يتوفر في القائد الايمان المطلق والعميق بالرسالة، كذلك يجب ان تتوفر فيه المعرفة التفصيلية لكل آفاق الرسالة العقائدية والفكرية والفقهية، ومن دون ذلك لا يمكنه ان يمارس دوره في قيادة رسالة وهو يجهلها.

ونحن لا نبحث عن المعرفة الاجمالية التي يتمتع بها معظم الصحابة(رض) والذين تلقوا قسطاً منها في مدرسة النبوة، فهي مفيدة على الصعيد الشخصي كثقافة عامة، وانما نبحث عن المعرفة الشاملة المستوعبة لكل ابعاد الاسلام، ومختلف جوانب الحياة الانسانية، هذه المعرفة لم تتوفر لأحد كما توفرت لعلي عليه السلام ولنستعرض بعض النصوص التي تشهد لذلك:

١ـ عن علي عليه السلام قال:

علمني رسول الله ﷺ ألف باب، كل باب يفتح الف باب)[2]

٢ـ عن ابي المعتمر مسلم بن أوس وجارية بن قدامة السعدي انهما حضرا علي بن ابي طالب عليه السلام يخطب وهو يقول: سلوني قبل ان تفقدوني فاني لا اسأل عن شيء دون العرش إلّا اخبرت عنه)[3]

٣ـ عن عبدالله بن مسعود قال:

---

(١) الاصابة ج ٧ القسم ١ ص ١٦٧. طبعة مصر مأخوذة عن طبعة كلكتا.

(٢) كنز العمال ج ٦/ ٣٩٢.

(٣) كنز العمال ج ٦/ ٤٠٥.

إن القرآن انزل علىٰ سبعة احرف ما منها حرف إلّا له ظهر وبطن، وان علي بن ابي طالب عنده علم الظاهر والباطن).[1]

وفي حلية الاولياء كذلك عن علي عليه السلام انه قال:

والله ما نزلت آية إلّا وقد علمتُ فيم أنزلت واين أنزلت، ان ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤولاً)[2]

وعن ابن الطفيل عامر بن وائلة قال:

شهدت علي بن ابي طالب عليه السلام يخطب فقال في خطبته:

سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون الى يوم القيامة إلّا حدثتكم، سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلّا أنا اعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل نزلت أم في جبل)[3]

٤ـ عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انا مدينة الحكمة وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب).[4]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: انا دار الحكمة وعلي بابها)[5]

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

انا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب)[6]

٣ـ علي اقضىٰ الناس

لقد شهد كبار الصحابة لعلي عليه السلام انه أقضىٰ الصحابة على الاطلاق، سواءً في

---

(١) حلية الاولياء ج ١ / ٦٥.

(٢) حلية الاولياء، ج ١ /٦٧.

(٣) كنز العمال ج ١ / ٢٢٨.

(٤) تاريخ بغداد ج ١١ / ٢٠٤.

(٥) صحيح الترمذي ج ٢ / ٢٢٩.

(٦) مستدرك الصحيحين ج ٢ / ١٢٦.

زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بعده، وهذه الشهادة تعبير عن المعرفة الشاملة لتفاصيل الشريعة وموضوعات الحياة الفردية والاجتماعية، فقد اثبتت الوقائع التاريخية في مجال الممارسة للقضاء انه عليه السلام كان الىٰ جانب معرفته التفصيلية بالاحكام الشرعية الواقعية يمتلك القدرة الهائلة علىٰ تشخيص القضايا والوقائع المتعلقة بالموضوع حتىٰ عبّر بعض الصحابة عن تلك الحالة بقوله (ما من معظلة الا ولها ابو الحسن) وما ذلك الا بسبب احاطته الشاملة ودقته المتناهية ومعرفته الواسعة للحكم والموضوع لدرجة أبهرت الصحابة، بل الطليعة منهم من الذين واكبوا مسيرة الاسلام منذ السنوات الاولىٰ، وعايشوا معظم تاريخ التشريع في جوانبه المختلفة.

ولنقف مع بعض تلك الاحاديث والشهادات:

١ـ صحيح البخاري في كتاب التفسير في باب قوله تعالى ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ روىٰ بسنده عن ابن عباس حديثاً قال فيه: قال عمر: وأقضانا علي).[١]

٢ـ عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقضاهم علي بن أبي طالب)[٢]

٣ـ عن ابن مسعود قال:

كنا نتحدث ان أقضىٰ اهل المدينة علي بن أبي طالب عليه السلام.[٣]

٤ـ وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: أقضىٰ امتي علي)[٤]

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا له حينما بعثه الى اليمن ان يهدي قلبه، ويثبت لسانه، حيث روىٰ ابن ماجة في صحيحه عن علي عليه السلام قال:

بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى اليمن فقلت: يا رسول الله تبعثني وانا شاب أقضي بينهم ولا ادري بالقضاء؟

---

(١) الاستيعاب ج ٢ / ٤٦١، الرياض النظرة ج ٢ ص ١٩٨.

(٢) صحيح ابن ماجة ص ١٤. طبع مطبعة الفاروقي في دهلي.

(٣) مستدرك الصحيحين ج ٣ / ١٣٥.

(٤) الرياض النظرة ج ٢ / ١٩٨.

قال: فضرب بيده في صدري ثم قال: اللهم أهد قلبه وثبت لسانه.

قال: فما شككت بعد في قضاء بين اثنين)[1]

وسجلت كتب السيرة والتاريخ نماذج من تلك الوقائع القضائية، التي تبرهن على امتلاكه عليه السلام للخبرة والمعرفة الكاملة والنموذجية في مجال القضاء، ومن شاء التفصيل فليراجع: صحيح النسائي ج ٢ / ١٠٨، ومسند احمد بن حنبل ج ١ / ٧٧، والاستيعاب لابن عبدالبر ج ٢ / ٤٦٢، وكنز العمال ج ٣ / ٥٣، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٣ وغيرها.

وهذه المعرفة والخبرة جعلت الصحابة وفي مقدمتهم ابوبكر وعمر يرجعون اليه في معضلات المشاكل القضائية والسياسية إبان فترة حكمهم، ولمعرفة التفاصيل يمكن الرجوع الى الرياض النظرة ج ٢ ص ٢٢٤، ١٩٥ وكنز العمال ج ٣ / ٣٠١ و ص ٩٩، ومسند احمد ج ١ ص ١٤٠ و ١٥٤ وموطأ مالك بن أنس كتاب الاشربة ص ١٨٦ ومستدرك الصحيحين ج ٤ / ٣٧٥ وغيرها من المصادر المعروفة.

والحقيقة ان هذا الجانب، وأعني امتلاك علي عليه السلام للخصائص الدينية والمعرفية والقيادية، يستحق بحثاً شاملاً ودقيقاً وتفصيلياً، لانه يمثل احد المعالم التي انفردت بها شخصية الامام علي عليه السلام عن بقية الصحابة خصوصاً والمسلمين عموماً، وما تقدّم إنّما هو على نحو الاشارة فقط.

الطائفة الثانية

وهي مجموعة الاحاديث والنصوص التي ترسم المعالم الخاصة للشخصية القيادية والمرجعية لعلي عليه السلام، وتحديد موقعه في الكيان العقائدي والتشريعي الاسلامي.

ولو اردنا ان نتحدث عن جميع تفاصيل هذا الموضوع لاستغرق منا مجالاً اوسع

---

(١) صحيح ابن ماجة باب ذكر القضاء، ص ١٦٨.

ولكننا نقتصر علىٰ الحدّ الادنىٰ مما يقتضيه البحث.

١ـ من أحب علياً فقد أحب الله

هناك الكثير من النصوص التي تُقرن بين حب علي عليه السلام وبين حب الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، أو بين بغضه وبغض الله ورسوله فمن تلك النصوص:

١ـ ما عن ابن عباس قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى علي عليه السلام فقال:

يا علي أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة، حبيبك حبيبي، وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدي)[(١)]

٢ـ عن عوف بن ابي عثمان قال: قال رجل لسلمان: ما اشد حبك لعلي عليه السلام.

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من أحب علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد ابغضني)[(٢)]

٣ـ عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

من أحبني فليحب علياً، ومن أبغض علياً فقد ابغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عزوجل ومن أبغض الله أدخله النار)[(٣)]

وللاطلاع علىٰ المزيد من هذه النصوص يمكن الرجوع الىٰ المصادر التالية: أسد الغابة ج ٤ / ٣٨٣، وكنز العمال ج ٦ / ١٥٨، ٣٩١، ١٤٠، والرياض النظرة ج ٢ / ٢١٣، ١٦٦، ٢٠٩، خصائص النسائي وغيرها.

وما يمكن ان نقوله في هذا الموضوع هو: ان الثابت على المستوىٰ الفقهي عدم وجوب حب المؤمن وعدم حرمة بغضه قلبياً. وان كان حب المؤمن وعدم بغضه قلبياً يمثل الصورة النموذجية للايمان، أي هو المستحب الاكيد. والذي يمكن القطع به، هو ان الاسلام حفظ للمؤمن حقوقه علىٰ المؤمنين فلا يجوز ايذائه أو غشه أو

---

(١) مستدرك الصحيحين ج ٣ / ١٢٧.

(٢) مستدرك الصحيحين ج ٣ / ١٣٠.

(٣) تاريخ بغداد ج ١٣ / ٣٢. مطبعة السعادة بمصر.

التعرض لحرمته وعرضه وماله وامثال ذلك. اما هل يجب حبه حباً قلبياً، وهل يحرم بغضه قلبياً.

وبعبارة اخرىٰ نقول لو ان مؤمناً أبغض مؤمناً قلبياً ولم يُظهر ذلكِ علىٰ جوارحه هل يكون آثماً مستحقاً للعقوبة؟

علىٰ ضوء القرآن والسنة وجميع اجتهادات المذاهب الاسلامية لا يوجد ما يثبت حرمة الفرض الاخير. نعم قد يحرمه من الثواب الجزيل ولكنه لا يحقق له العقاب.

ونجد هذه القاعدة تخترم بالنسبة للامام علي عليه السلام فان الاحاديث صريحة بحرمة البغض القلبي فضلاً عن اظهار ذلك، وفضلاً عن ايذائه أيضاً، فنرىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ ما في كنز العمال يقول: اللهم من أَحَبَه من الناس فكن له حبيباً، ومن أبغضه فكن له مبغضاً)[1]

كما ان النصوص في كتب الفريقين متظافرة على وجوب حبه حباً قلبياً خالصاً لانه حب لله عزوجل وحب لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم. وجاء في نصوص كثيرة ان حبه ايمان وبغضه نفاق كما عن ثابت ابن زر عن علي عليه السلام قال:

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الأمي إليّ ان لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الاّ منافق.[2]

ولا يتسع المجال لذكر كل ما جاء بشأن علي عليه السلام من نصوص تتعلق بنفس الموضوع وهي تدور في اطار التأكيد على وجوب محبته وحرمة بغضه.

ومنه نستفيد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل حبّ علي وحرمة بغضه حتىٰ على المستوىٰ القلبي حكماً شرعياً مستقلاً فحكم بحرمة بغضه قلبياً ووجوب حبه كذلك وقس علىٰ ذلك الموارد المشابهة التي لم نبحثها توخياً للاختصار.

---

(١) كنز العمال ج ٦ / ٣٩٩.

(٢) صحيح الترمذي ج ٢ / ٣٠١.

ولا يشك عاقل في ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم انما كان يستهدف ـ الى جانب ما لعلي من مقام ومنزلة ـ ايجاد الارضية الطبيعية والمناسبة لبلورة الشخصية الدينية والقيادية لعلي عليه السلام وانه المصدر الشرعي والكيان القيادي بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن الهدف محدوداً بحب علي عليه السلام لمجرد الحب. ولا معنى لربط ذلك بحب الله عزوجل وبغضه. بالنحو الذي يترتب عليه دخول الجنة أو دخول النار. اليس ذلك يفسر لنا ان هذا الاعداد الرباني لعلي عليه السلام انما يتم في اطار اكمال الدين في مسيرته التشريعية والفكرية، وأنه الأمين علىٰ مستقبل الاسلام والحكومة الاسلامية التي اسسها خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليس لمجرد رغبة شخصية غير هادفة للنبي (حاشاه)؟

ونلاحظ بصورة جلية في لسان بعض النصوص التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الربط الأكيد، بين حب علي وموالاته، وبين التأكيد على انه عليه السلام لا يخرجكم من هدىٰ ولا يدخلكم في ضلال، فقد روىٰ زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال:

من يريد أن يحيىٰ حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتول علي بن ابي طالب فانه لن يخرجكم من هدىٰ ولن يدخلكم في ضلالة)[1]

فماذا يعني قوله صلى الله عليه وآله وسلم انه (لن يخرجكم من هدىٰ ولن يدخلكم في ضلالة) غير التأكيد علىٰ المعنىٰ القيادي والتشريعي لشخصية علي عليه السلام والّا فكيف يمكن ان يتحقق ذلك من دون ان يكون له مركز قيادي ديني وحاكمية فعلية في المجتمع؟

٢ـ من سبّ علياً فقد سبّ الله ورسوله

وجاءت نصوص كثيرة في الربط المباشر بين سبّ علي عليه السلام وبين سب الله ورسوله نذكر بعضها:

---

(١) مستدرك الصحيحين ج ٣ / ١٢٨. وهو صحيح الاسناد ورواه في الحلية ج ٤ / ٣٤٩ وكنز العمال ج ٦ / ١٥٥ وغيرهما كثير.

١ـعن أبي عبدالله الجدلي قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسبّ رسول الله ﷺ فيكم؟

فقلت: معاذ الله، أو سبحان الله، أو كلمة نحوها.

فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

من سبّ علياً فقد سبني)[١]

٢ـوعنه أيضاً قال:

حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة واذا الناس عنق واحد فاتبعتهم فدخلوا علىٰ ام سلمة زوج النبي ﷺ فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي، فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا اماه.

قالت: يسبّ رسول الله ﷺ في ناديكم؟

قال: وأنىٰ ذلك؟

قالت: فعلي ابن ابي طالب؟

قال: انا لنقول اشياء نريد عرض الدنيا.

قالت: فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

من سبّ علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سبّ الله)[٢]

٣ـوعن ابن عباس قال:

اشهد بالله لسمعته من رسول الله ﷺ يقول:

من سبّ علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سبّ الله، ومن سبَّ الله عزوجل أكبه الله علىٰ منخريه)[٣]

---

(١) مستدرك الصحيحين ج ١ / ١٢١.

(٢) مستدرك الصحيحين ج ٣ / ١٢١.

(٣) ذخائر العقبىٰ ص ٦٦.

٤ـ وعن ابن عباس أنه مرَّ ـ بعدما حجب بصره ـ بمجلس من مجالس قريش وهم يسبون علياً عليه السلام.

قال: أيكم الساب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قالوا: سبحان الله من سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد كفر.

قال: فأيكم الساب لعلي عليه السلام؟

قالوا: اما هذا فقد كان.

قال: فأنا أشهد بالله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

من سبّ علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سبّ الله، ومن سبَّ الله عزوجل أكبه الله علىٰ منخريه)[١]

٥ـ عن ابي بكر بن خالد بن عرفطة أنه أتى سعد بن مالك فقال:

بلغني انكم تعرضون على سبّ علي بالكوفة فهل سببته؟

قال: معاذ الله والذي نفس سعد بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في علي عليه السلام شيئاً لو وضع المنشار على مفرقي ما سببته ابداً)[٢]

ان هذه النصوص تؤكد علىٰ حرمة سبّ علي عليه السلام وتعتَبِر سبه سباً لله ورسوله، وعلىٰ هذا الاساس نرىٰ الفرق بين سب الامام علي عليه السلام وبين سب المؤمن الاعتيادي فالاول يعني الكفر الصريح، لانه سب لله عزوجل ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، اما الثاني فبالرغم من كونه ذنباً عظيماً، ولكنه لا يصل الى حد الكفر والخلود في النار.

ومن هذا نعرف ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبتوجيه من السماء حدّد واحداً من أهم الخطوط الحمراء عن شخصية الامام علي عليه السلام إذ لا معنى للمقارنة والربط بين سبّ علي عليه السلام وسب الله ورسوله لو لم تكن هناك حكمة بالغة في مسيرة الاعداد

---

(١) الرياض النضرة ج ٢ / ١٦٦.

(٢) مجمع الهيثمي ج ٩ / ١٢٩. طبع مكتبة القدسي عام ١٣٥٢ هـ

لمستقبل الاسلام بعد وفاة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم. يضاف الىٰ ذلك مجموعة من الروايات والنصوص التي تؤكد على ان ايذاء علي عليه السلام ايذاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تلك النصوص ما روي عن عمرو بن شاس الاسلمي ـ وكان من اصحاب الحديبية ـ قال:

خرجنا مع علي عليه السلام الى اليمن فجفاني في سفره ذلك حتى وجدت في نفسي، فلما قدمت أظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فدخلت المسجد ذات غداة ورسول الله في ناس من اصحابه فلما رآني أبدني عينيه ـ أي حددّ إليّ النظر ـ حتى اذا جلست قال: يا عمرو أما والله لقد آذيتني. فقلت: أعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله. قال: بلىٰ من آذىٰ علياً فقد آذاني)[1]

وكذلك روايات: ان من فارق علياً عليه السلام فقد فارق الله عزوجل، من تلك الروايات ما عن ابي ذر الغفاري قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

يا علي من فارقني فقد فارق الله، ومن فارقك يا علي فقد فارقني)[2]

والمفارقة تعني بُعداً عميقاً للشخصية العقائدية والقيادية لعلي عليه السلام تستحق بحثاً معمقاً وشاملاً، اذ ان هذا اللون من النصوص يشير الى كون شخصية علي عليه السلام أحد أسس الاسلام وقواعده.

ونظير هذه النصوص كثير، وهي كلها تؤكد على الشخصية المرجعية والقيادية لعلي عليه السلام في خطوة طبيعية لمرحلة الاستخلاف، وقيادة المسيرة تشريعياً وسياسياً بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٣ـ أنتَ مني بمنزلة هارون من موسىٰ

وهنا مجموعة من النصوص تؤكد علىٰ ان منزلة علي عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) مستدرك الصحيحين ج ٣ / ١٢٢.

(٢) مستدرك الصحيحين ج ٣ / ١٢٣.

كمنزلة هارون من موسىٰ عليهما السلام نذكر منها النماذج التالية:

١ـعن ابراهيم بن سعد عن ابيه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام:
اما ترضىٰ ان تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ)[١]

٢ـ عن عامر بن سعد بن ابي وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: انت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا انه لا نبي بعدي.

قال: سعيد: فاحببت ان أشافه بها سعداً فلقيت سعداً فحدثته بما حدثني عامر فقال: أنا سمعته. فقلت: أنت سمعته!؟ فوضع إصبعيه علىٰ أذنيه فقال: نعم و إلاّ فاستكتا).[٢] أي صُمتا.

٣ـعن سعد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام:
انت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ أنه لا نبي بعدي)[٣].

٤ـعن جابر بن عبدالله ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام:
انت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ انه لا نبي بعدي ولو كانت لكنته)[٤]

٥ـعن ابن اسحاق في حديث غزوة تبوك قال فيه: فلما سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تخلف عنه عبد الله بن أُبي فيمن تخلف من المنافقين واهل الريب وكان عبدالله بن أُبي اخا بني عوف بن الخزرج، وعبد الله بن نبيل اخا بني عمر وبن عوف ورفاعة بن يزيد بن التابوت اخا بني قينقاع، وكانوا من عظماء المنافقين، وكانوا ممن يكيد الاسلام واهله ـالى ان قال ـانزل الله عزوجل ﴿لقد ابتغوا الفتنة وقلبّوا لك الامور.. ﴾الاية قال: وقال ابن اسحاق:

وخلّف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن ابي طالب عليه السلام وأمره بالاقامة فيهم...

---

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق.

(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح الترمذي ج٢ / ٣٠١.

(٤) تاريخ بغداد ج٣/٢٨٨، صحيح الترمذي ج٢ ص ٣٠١، ومسند احمد ج٣/ ٣٣٨.

فارجف المنافقون بعلي بن ابي طالب عليه السلام وقالوا: ما خلّفه الاّ استثقالاً له وتخفيفاً منه. فلمّا قال ذلكَ المنافقون اخذ علي عليه السلام سلاحه ثم خرج حتىٰ اتىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالجرف فقال:

يا نبي الله زعم المنافقون انك انما خلفتني انك استثقلتني وتخففت مني.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: كذبوا ولكني انما خلفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في اهلي واهلك، افلا ترضىٰ يا علي ان تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ الا انه لا نبي بعدي.

فرجع علي عليه السلام الىٰ المدينة ومضىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ سفره)[1].

ولابدّ ان نفهم منزلة هارون من موسىٰ كمقدمة لفهم النص النبوي الشريف. ان القرآن الكريم حدّد بوضوح مستوىٰ العلاقة بين موسىٰ وهارون فقال عزّوجل:

﴿واجعَل لّي وَزِيراً مّن أَهلي هارونَ أخي اشدُد بِهِ أزري وأشرِكهُ في أمرِي﴾.[2]

وحينما ينص الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ أن علياً عليه السلام بمنزلة هارون من موسىٰ لا نفهم منه غير مانص عليه القرآن الكريم بشأن هارون من كونه الوزير والشريك لموسى عليه السلام الاّ ما استثناه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (الاّ انه لا نبي بعدي) لانه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين والمرسلين ورسالته خاتمه الرسالات. فعلىٰ اساس ذلك يكون مراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان علياً وزيره وشريكه وخليفته في وظائف النبوة كالتبليغ والحكم والتشريع المستند الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذي يناسب المهمة.

اما القول بغير ذلك فلا يعني الاّ تفريغ النص ـ القرآني والنبوي ـ من محتواه

---

(١) تاريخ ابن جرير الطبري ج ٢ / ٣٦٨.

(٢) طه / ٢٩ـ٣٢.

وتحويله الىٰ ما لم يقصد، وذلكَ لأن الرسول ﷺ إنما اختار التشبيه بموسىٰ وهارون، لا لمستوىٰ علاقة الاخوة أو المحبة التي تربطهما، حيث لم يبين القرآن ذلك، وانما الذي بينه مستوىٰ الشراكة بينهما في كل ما يتعلق بأمور الدين، باستثناء النبوة حيث لا نبوة بعد الرسول ﷺ. وما يؤيد هذه الرؤية قوله ﷺ: «الاّ انه لا نبي بعدي» فانها يدل علىٰ استمرار دور النبوة ـ لا النبوة ـ بعلي بعد الرسول ﷺ، فهو المسؤول عن كل ما يتعلق بأمور الاسلام بعد الرسول ﷺ والاّ فلا معنىٰ لكلمة (بعدي) لو لم يكن يشير الى استمرار دور النبوة بعلي عليه السلام ولا يتحقق ذلكَ الا عن طريق الاستخلاف المباشر له من بعده ﷺ كما حصل لهارون بعد موسىٰ عليهما السلام، حيث كان شريكه في حياته وخليفته بعد موته، ومن هذا المنطق جاء التشبيه بهارون عليه السلام.

٤ـ من كنت مولاه فهذا علي مولاه

وهنا مجموعة من النصوص، تحكي حادثة غدير خم، حينما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع، فأمر بجمع المسلمين، ثم خطب فيهم، وقال من كنت مولاه فعلي مولاه واليك نماذج منها:

١ـ عن البراء بن عازب قال: اقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حج فنزل في بعض الطريق فأمر الصلاة جامعة فأخذ بيد علي عليه السلام فقال:

ألست أولىٰ بالمؤمنين من انفسهم؟

قالوا: بلىٰ.

قال: ألست أولىٰ بكل مؤمن من نفسه؟

قالوا: بلىٰ.

قال: فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه اللهم عاد من عاداه)[١]

---

(١) صحيح ابن ماجه في باب فضائل اصحاب رسول الله ص ١٢.

٢ـ وعن البراء قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرتين فصلىٰ الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام فقال:

ألستم تعلمون أني أولىٰ بالمؤمنين من انفسهم؟

قالوا: بلىٰ.

قال: ألستم تعلمون أني أولىٰ بكل مؤمن ومؤمنة من نفسه؟

قالوا: بلىٰ.

قال: فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه؟

قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئاً لكَ يا ابن ابي طالب أصبحت وأمسيت مولىٰ كل مؤمن ومؤمنة)[1].

٣ـ عن زيد بن أرقم قال: لماّ رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن فقال:

كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين احدهما اكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض ـ ثم قال ـ إن اللهِ عزّوجل مولاي وأنا مولىٰ كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي فقال:

من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)[2]

٤ـ وعن كنز العمال ما هذا نصه: يا ايها الناس إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لن يعمّر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله وإني قد يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وانكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟

---

(١) مسند احمد ج ٤ / ٢٨١. المطبعة الميمنية بمصر.

(٢) مستدرك الصحيحين ج ٣ / ١٠٩.

قالوا: نشهد أنك قد بلّغت وجاهدت ونصحت.

قال: أليس تشهدون ان لا اله الاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله وان جنته حق وناره حق، وان الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت، وان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟

يا ايها الناس إن الله مولاي وأنا مولىٰ المؤمنين اولىٰ بهم من انفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه، وعادِ من عاداه.

يا ايها الناس إني فرطكم وانكم واردون عليَّ الحوض أعرض مما بين بُصرىٰ الى صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضة، واني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيها، الثقل الاكبر كتاب اللّه عزوجل سبب طرفه بيد اللّه وطرفه بايديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فانه قد نبأني اللطيف الخبير انهما لن ينقضيا حتىٰ يردا عليّ الحوض)[1]

٥ـ عن زيد بن يثيع وغيره قالوا: سمعنا علياً عليه السلام يقول:

نشدت الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير ما قال لما قام، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ألست اولىٰ بالمؤمنين من انفسهم، قالوا: بلىٰ يا رسول الله فاخذ بيد علي عليه السلام وقال:

من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله)[2]

ولسنا بحاجة للحديث عن خبر الغدير، بعد ان بحثه فطاحل العلماء، كالعلامة الحجة الشيخ الأميني رحمه الله، والامام الكبير السيد عبدالحسين شرف الدين قدس سره، وغيرهما من الاعلام، وبينوا وجه الدلالة فيه علىٰ تنصيب علي عليه السلام، خليفة علىٰ المسلمين، من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمن شاء فليراجع تلك المصادر القيمة التي منها، كتاب الغدير، وكتاب المراجعات.

---

(١) كنز العمال ج ١ / ٤٨.

(٢) كنز العمال ج ٦ / ٤٠٣.

وما يجب ان نلاحظه في هذا المجال ان ماورد بشأن علي عليه السلام لم يرد نظيره بشأن أي من الصحابة والمقربين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا نريد بهذا مصادرة ما ورد في الصحاح كصحيح البخاري ومسلم وغيرهما، من كلمات اجلال وتقدير واشاده بعدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم، فنحن مع الرسول في كل قول وموقف، فان اشاد أشدنا، وان سكت سكتنا، ولكن ما نريد التأكيد عليه من خلال فهمنا للنصوص ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان بصدد اعداد علي عليه السلام للخلافة من بعده دون باقي الصحابة، ويشهد لذلك جميع النصوص التي سلف ذكرها، والنصوص الاخرىٰ التي لم نذكرها، والتي تكرس فكرة الاستخلاف من خلال الاحاطة بجميع مقاييس الاستحقاق والأولوية، فان كان القدم في الاسلام والايمان، فان علياً هو اقدم الصحابة اسلاماً وايماناً، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد اشار اليه:

«ان هذا اول من آمن بي، واول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الاكبر، وهذا فاروق هذه الامة»[1]

واذا كان المقياس القرابة والصلة فهو ابن عم الرسول وزوج البتول وابو السبطين.

وهو عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم والنبي منه، بل هو نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن ﴿**فقل تعالواْ ندعُ أبنآءَنا وأبنائَكم ونسآءنا ونسآءكم وأنفُسَنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله علىٰ الكاذبين**﴾[2] وأيضاً كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (هو عندي كنفسي)، وهذا التعبير هو اصرح التعابير عن توحدّ الشخصيتين، من ناحية المضمون والمحتوىٰ الديني والمعنوي. ومعناه ان الامة اذا ارادت لحياة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم ان تمتد بعد موته، فعليها ان تختار علياً عليه السلام من بعده، لانه نفسه ومن طينته ويحمل في اعماقه ذات الخصائص النبوية والسمات المحمدية. وهذا مالا ينطبق علىٰ أي من الصحابة مع ما هم من مكانة كبيرة.

---

(١) الاصابة ج ٤ / ١٧١

(٢) ال عمران / ٦١.

وهكذا القول بالنسبة لكل الخصائص الاخرىٰ التي أشار اليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في احاديثه عن علي عليه السلام، ولم نذكرها هنا، فهي تؤكد وتكرس فكرة الأعداد لاستخلاف علي عليه السلام بأمر من الله عزوجل دون باقي الصحابة.

والحقيقة اَن فكرة (الأعداد) لاستخلاف علي عليه السلام تستحق مدىً اوسع من البحث والتحقيق لأستكشاف خطوات الرسول في هذا المجال ودراستها واحدة واحدة وبيان الحكمة والهدفية فيها، والفرق بين ما صدر من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بشان علي عليه السلام وما صدر بشأن الصحابة. فوجدت ان ذلكَ سيستوعب موضوع البحث وهو يستحق بذاته بحثاً مستقلاً. لاحظ مثلاً حديث الغدير الذي تضمن من المعاني الهادفة التي لايمكن ان نمرّ عليها مروراً عابراً كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (اني تركت فيكم الثقلين احدهما اكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض) وامثالها.

فمن الواضح انها تؤكد علىٰ مرجعية اهل البيت عليهم السلام علىٰ التسلسل الذي يبدأ بامير المؤمنين علي عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين، حتىٰ تنتهي بالامام الحجة عجل الله تعالى فرجه اذ ماذا تعني كلمة (عترتى) أو (عترتى اهل بيتي) غير علي وآله المعصومين الذين قرنهم الله عزوجل بكتابه الخالد. وهذا القَرن بالنحو الذي عبّر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بانهما (لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض) يعبّر عن طريقة خاصة علىٰ الاستدلال علىٰ مرجعية اهل البيت، وذلكَ لأن قَرنَهم بالقرآن يعني الاتباع والانصياع والتمسك بهم، تبعاً للأمر باتباع القرآن والعمل بما فيه كما هو مفاد الكثير من الايات الكريمة، كما انّ تعبيره صلى الله عليه وآله وسلم بانهما لن يفترقا، (ولن) تفيد التابيد، يعني ان القول بمرجعية القرآن دون مرجعية اهل البيت عليهم السلام لا يحقق الغرض من الشريعة، فلابدّ من القرن بينهما كمصدر واحد لا يقبل التفريق. وان أي عملية تفريق بينهما تستوجب عقوبات مشددة في يوم الجزاء. وعلىٰ هذا الضوء فان حديث الغدير في الوقت الذي نص علىٰ خلافة علي عليه السلام، نص كذلك علىٰ ولاية اهل البيت،

ومرجعيتهم التشريعية والفكرية والسياسية، اذ لا معنىٰ لقرنهم بالقران من دون ذلك.

وعلىٰ صعيد الواقع نجد ان الصحابة بعد وفاة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم اختاروا ابابكر خليفة علىٰ المسلمين، واهملوا علياً عليه السلام اهمالاً تاماً. وهنا نسأل: هل يُعقل ان تتجاهل الامة ما صدر من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بشأن علي عليه السلام بمجرد لحوقه بالرفيق الاعلىٰ؟

واين ذهب عشرات الآلاف من الحجيج الذين رافقوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع وسمعوا منه نص التنصيب (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)؟

واين اهل المدينة الذين كان صوت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يملأ اسماعهم بالوان من الاشادة بعلي ومكانته عند الله عزوجل وعند رسوله واهتمامه الخاص به دون غيره؟

ولماذا تجاهل المجتمع تاريخ علي عليه السلام وسابقته في الاسلام ومواقفه الجهادية، وهي وحدها تكفي ـ حتىٰ لو لم يكن هناك نص ـ لتؤهله للخلافة، وتولي الامر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.؟

وهل سجلّ اهل المدينة ومجتمع الصحابة علىٰ علي عليه السلام موقفاً سلبياً تجاه الاسلام أو الرسول استحق به هذا الحجم من التنكر والتجاهل والاهمال؟

مما لا ريب فيه ان هذه القضية في اطار معالجتها، واستكشاف الاسباب الحقيقية التي كانت وراءها قد نالت قدراً وافراً من الاهتمام والبحث والتحقيق. ونحن هنا لانريد ان نعالج القضية بنفس المنطق، ونكرر ما قاله الأجلاء من العلماء والباحثين، من البحث في مداليل الالفاظ ومحتوىٰ النص، وهل الولي هو المحبوب أو الحاكم مثلاً. أو نبحث الظروف التاريخية والاجتماعية لأبعاد علي واستخلاف ابي بكر، والاجواء السياسية التي رافقت ذلك الحدث كالسقيفة وامثال ذلك. لقد وقع ما وقع وليس امامنا اليوم الاّ الحدث بعد وقوعه، وما يهمنا الآن هو دور الزهراء وموقعها في اطار هذا الحدث ودورها في احقاق الحق واعادته الى اهله ضمن التخطيط النبوي

لاكمال مسيرة النبوة والاسلام، ولماذا أصرَّ ﷺ علىٰ اشراك الزهراء في عملية سياسية معقدة؟

وهل كانت الخيار الوحيد الممكن لتنفيذ أخطر مهمة نبوية بعد وفاته ﷺ ؟

وللاجابة علىٰ ذلك يجب ان نشير الى حقيقتين:

الاولىٰ تتعلق بالنص الشرعي هل يحقق ـ دائماً ـ الغرض والمصالح الدينية المقصودة منه، ام قد يُفرّغ من محتواه، أو يُهمل ويترك حسب الظروف السياسية أو المصالح الشخصية أو غيرهما؟

والثانية تتعلق بشخصية الامام علي عليه السلام وفهمه للاسلام وتربيته الرفيعة في مدرسة النبوة، التي جعلته علىٰ طول الخط، حازماً في الحق، شديداً في الله تعالىٰ، لا يعرف المجاملة والمداهنة في دينه. ونظرة المجتمع وموقفه منه هل كان سلبياً أم ايجابيا؟

فمن خلال بحث الحقيقتين السالفتين يمكن ان نفهم بدقة جوانب مهمة من تخطيط الرسول ﷺ لمرحلة ما بعد وفاته، وهذا ما سنبحثه في الفصل التالي.

الفصل الثالث

عقبات في طريق الاستخلاف

* النص قد لا يحقق الغرض..
* شخصية الامام علي..
* الخصائص الذاتية..
* العدل الاجتماعي والمالي..
* نظرة العداء والحقد..

الحقيقة الأولىٰ: النص قد لا يحقق الغرض

وهنا يجب ان نلاحظ من خلال الواقع التاريخي لرسالات السماء عموماً، وتاريخ الرسالة الاسلامية خصوصاً مقدار تأثير النص من جانب، والتحديات التي يواجهها من جانب آخر، ولا نستغرب النتائج التي ينتهي اليها البحث وذلك لأنّ مهمة الانبياء كانت في ابرز صورها هو الجهاد لتثبيت النص في واقع الحياة الانسانية، ومن أجله قاتلوا وقتلوا وعذبوا ونالهم من العذاب بما لا يحتاج الىٰ بيان.

وينبغي ان نبحث الموضوع من خلال الحقائق التالية:

الحقيقة الاولىٰ: وهى هل ان النص يحقق الغرض المراد منه دائماً، أو لا؟

إن الأداة الاولىٰ للتبليغ والتشريع هو النص ـ الكتاب والسنة، فهو الوسيلة الاولىٰ في كل الشرايع السماوية والارضية، ولكننا على صعيد الواقع نجد النص في بعض الاحيان، وفي ظل ظروف خاصة، يفقد تأثيره بعد عمليات تحوير وتاويل تقع عليه فتفرغه من محتواه مع الاحتفاظ بشكله اللفظي، وصورته الظاهرية.

وما من شك فان (للنص) تاريخه الخاص من ناحية التاثير، ويمكن ان نفرق بين مرحلة اول النبوة، حيث حالة الشك والعناد والكبرياء، وبين مرحلة استقرار الاسلام في المدينة التي اتسمت بالاذعان والانقياد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بعد أن أصبح الاسلام هو السلطة الوحيدة الحاكمة في الجزيرة العربية، فهو القاعدة وغيره

الاستثناء. وصار كلام الله عزوجل يتلا في كل مكان، واحكامه تطبق في أرجاء الجزيرة، واصبح الرسول ﷺ مطاعاً في كل بقاعها.

وتميز النص القرآني ـ الذي هو أقدس النصوص ـ بالأعجاز من ناحية المحتوىٰ والتركيب اللغوي والبلاغي مما أضفىٰ عليه قداسة كبيرة وتأثيراً بالغاً. فكانت الامة المسلمة تتجاوب معه من اعماقها، وتتأثر به غاية التأثر، لانها تدرك بعقلها ووجدانها انه كلام ربّ العالمين، ولا يمكن لبشر ان ياتي بمثله مهما كانت قدرته اللغوية والبيانية عالية.

ومن الملاحظ ان الانسان، علىٰ امتداد التاريخ، يبدأ صراعه مع النص حينما يقع التعارض أو التزاحم مع مصالحه أو عقائده، فيحاول ان يكيّفه بما يخدم تلك المصالح، من خلال التأويل أو التفسير، الذي يفرغّه من محتواه الحقيقي ويحوله الى اتجاه آخر.

لا بل تجد في احيان كثيرة ومن خلال تاريخ و مسيرة الانبياء مع اممهم، ان المعجزة التي هي اهم وسائل الاقناع، لا تحقق الأثر المطلوب في الامة المؤمنة فضلاً عن الكافرة.

ولنحاول عرض بعض المواقف التي تؤكد ذلك وتثبت ان النص وحده قد لا يحقق الغرض.

فمن تاريخ الانبياء نجد صراعاً حامياً بينهم وبين المؤمنين بهم، لا بل مع المقربين منهم في تحدي النص الشرعي، وفي بعض الاحيان تحدي المعجزة القائمة، فيحصل الحجاج والنقاش في ذلك، وقد يقع عدم النقياد والاذعان لهما، وعلىٰ سبيل المثال ما وقع لموسىٰ عليه السلام مع قومه المؤمنين به وبرسالته حين غاب عنهم لميقات ربه، فقال عزوجل حاكياً عن انحرافهم وتركهم عبادته وطاعته وشكر نعمته:

﴿واذ واعدنا موسىٰ اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون. ثم عفونا عنكم من بعد ذلكَ لعلكم تشكرون. وإذ ءاتينا موسىٰ الكتاب والفرقان

لعلكم تهتدون. واذ قال موسىٰ لقومه يا قوم إنكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم﴾[١]

وحادثة اخرىٰ تجسد حالة من العناد والعصيان لاوامر الله ورسوله في قصة ذبح البقرة فقال تعالى:

﴿واذ قال موسىٰ لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هَي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون.

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال إنه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون.

قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلّمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون. وإذ قلتم نفساً فادارءتم فيها والله مخرج ماكنتم تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتىٰ ويريكم ءاياته لعلكم تعقلون. ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وانّ من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وانّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء وانّ منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون﴾[٢]

ان هاتين الحادثتين، كانتا من الناحية الزمنية، بعد معجزة عبورهم البحر، ونجاتهم من فرعون وجنوده، وهلاك عدوهم بالغرق في مشهد منهم، وهم ينظرون الى قدرة الله ورحمته، ومع ذلك فقد تحدوا النص والمعجزة في وقت واحد، واظهروا تكبراً وتحدياً، ولا أقل من خطابهم لموسىٰ عليه السلام بقولهم ﴿ادع لنا ربك﴾ ولم يقولوا (ربنا).

---

(١) سورة البقرة الاية ٥١ ـ ٥٤.

(٢) سورة البقرة الاية ٦٧ ـ ٧٤.

ومن تلكَ الوقائع، ما حدث لعيسىٰ عليه السلام مع قومه، ومنهم الحواريون، الذين هم صفوة القوم، والمقربين منه فقد قال الله عزوجل عنهم:

﴿واذ اوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون. إذ قال الحواريون يا عيسىٰ ابن مريم هل يستطيعُ ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين. قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين. قال عيسىٰ ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وأخرنا واية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين.

قال الله اني منزّلها عليكم فمن يكفر بعدُ منكم فاني أُعذبه عذاباً لا اعذبه احداً من العالمين﴾[1]

يحدث هذا الامر الغريب من الحواريين، وهم الذين شاهدوا آيات الله تعالىٰ تقع على يد عيسىٰ عليه السلام، وتشهد له بالنبوة، كاحياء الموتىٰ، وابراء الاكمه والابرص، والاخبار عن المغيبات، فما الذي جعلهم يطلبوا من عيسىٰ انزال مائدة من السماء لـ﴿تطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا﴾ الم يكتفوا باحياء الموتىٰ وإبراء الاكمه والابرص؟ اليس هذا يشهد ان مسالة الايمان الحقيق الصادق قد لا يتحقق حتىٰ بالمعجزة فضلاً عن النص! وان كل ما نراه ملاكاً تاماً لوجوب الاذعان والتسليم كالمعجزة مثلاً قد لا يحقق الغرض.

وفي القرآن الكريم العديد من النماذج التي تؤكد هذا المعنىٰ كقصة الناقة، وقصة سفينة نوح عليه السلام وامثالها، وهي كلها تشير الى مواقف تحدي النص او المعجزة، اما من قِبل أُممٍ او افراد ذا شأن منهم.

وفي تاريخ النبوة الخاتمة نجد العشرات من الامثلة التي تتحدث عن نفس الموضوع، وعن روح التعنت، ومخالفة الاوامر وتحديها، ونجد ان روح التحدي

---

(١) سورة المائدة الاية ١١١ـ ١١٥.

والعناد لاتقف عند مخالفة أمرٍ من اوامر الرسول ﷺ يكتنفه شيء من الغموض يقتضي قدراً من الجهد في فهمه، مما قد يؤدي الى نوع من المخالفة لامره ﷺ، بل ان روح التحدي تتجاوز النص، لتصل الى الرسول نفسه، فتتمثل تارة بموقف علىٰ شكل اضراب عام، واتفاق علىٰ عدم الاستجابة له، رغم اصراره ﷺ على تنفيذ هذا الامر. وتارة يقوم اليه احد الصحابة فيعتعته من ثيابه، ليمنعه بالقوة من القيام بعمل من الاعمال. وتارة يُعترض عليه بروح المحاجة في خلفه للوعد، كما يزعم هذا الصحابي أو ذاك. ولنقف مع بعض تلك المواقف مؤكدين مرة اخرىٰ ان الهدف ليس التعريض بأحد من صحابة الرسول ﷺ وانما لأن ما سنذكره حقائق تاريخية مروية في كتب الصحاح والسيرة والتاريخ وتشهد علىٰ مانقول.

الموقف الاول:

ما وقع لرسول الله ﷺ في صلح الحديبية بعد ان صدته قريش عن حج بيت الله الحرام في السنة السادسة من الهجرة، بعد بيعة الرضوان، التي احدثت هزةً عنيفة في نفوس القرشيين، ودوياً هائلاً، ورعبا كبيراً في قلوبهم، لانهم علموا ان النبي ﷺ، مصمم على نشر الدعوة، واعلاء كلمة الحق، وان كلفه ذلك التضحية بحياته. فقد بلغ قريش انه ﷺ قال:

(يا ويح قريش نهكتهم الحرب فماذا عليهم لوخلوا بيني وبين العرب فان هم اصابوني كان الذي أرادوه، وان أظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين، وان أبوا قاتلوني وبهم قوة. فما تظن قريش فوالله الذي لا اله الا هو لا ازال اجاهد علىٰ الذي بعثني به ربي حتىٰ يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة[1])[2].

فلما علمت قريش بذلك استقر رأيها على الصلح والموادعة فارسلوا اليه عدة

(١) السالفة صفحة العنق كنىٰ بذلك عن القتل.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ / ٦٩٢.

من كبارهم كان على راسهم سهيل بن عمرو بن عبد ود العامري، فتصالح مع رسول الله ﷺ، علىٰ ان يرجع النبي ﷺ باصحابه من الحديبية، فاذا كان العام المقبل، تخرج قريش من مكة، فيدخلها الرسول ﷺ، مع المسلمين فيقيم بها ثلاثاً، وليس معه من السلاح سوىٰ السيوف في القرب، وان توضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، وانه من أحب من العرب ان يدخل في عقد محمد ﷺ، وعهده دخل فيه، ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وانه من أتىٰ محمداً من قريش ممن هو علىٰ دين محمد بغير إذن وليه ردّ اليه، ومن أتىٰ قريشاً ممن كان مع محمد فارتد عن الاسلام لاترده قريش اليه. وذكروا شروطاً اخرىٰ تتعلق بالموادعة.

ولا اظن ان مسلماً يشك في ان رسول الله ﷺ كان يعمل وفق وحي السماء، وما ينزل به جبريل من عند ربّ العالمين في هذا المورد بالذات. وحتىٰ لو فرضنا ان النبي ﷺ قبل بهذه الشروط ابتداءً من دون وحي، فان ذلك يكفي للاذعان بما ارتضاه لانه المصدر الثاني للتشريع، **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضىٰ الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم﴾**(١)

ولا معنىٰ ـ على ضوء المنطق الايماني ـ للنقاش والاحتجاج بعد قبوله للصلح وفق الشروط المذكورة. وما يقتضيه الايمان والتسليم من الصحابة جميعاً، ان يقولوا رضينا بما رضى به رسول الله ﷺ، ولكن لنرىٰ ماذا كان موقف الصحابة، والمبّرزين منهم بالذات، فهل اذعنوا لرسولهم وسمعوا واطاعوا؟

يقول المؤرخون واصحاب الحديث، انه بعد ان كتب الامام علي عليه السلام كتاب الصلح قال ﷺ لاصحابه:

قوموا فانحروا ثم أحلقوا.

قال: فوالله ما قام منهم رجل. حتىٰ قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد

---

(١) الاحزاب / ٣٦.

دخل صلى الله عليه وآله وسلم خباءه ثم خرج فلم يكلم أحداً منهم بشيء حتىٰ نحر بُدنة بيده، ودعا حالقه فحلق رأسه)[1]

هذا هو موقف الصحابة في لحظة حرجة من تاريخ الدعوة الاسلامية تمثل باضراب عام عن طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

اما خواص الصحابة المحيطين بالرسول ليلاً ونهاراً، العارفين به وبحكمته وحرصه علىٰ الاسلام فلناخذ موقف النموذج الكبير، المتمثل بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فقد روىٰ البخاري في صحيحه الواقعة التالية:

قال عمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألست نبي الله حقاً؟

قال: بلىٰ.

قلت: ألسنا علىٰ الحق وعدونا علىٰ الباطل؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: بلىٰ.

قلت: فِلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: إني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري.

قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت نطوف به ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: بلىٰ، أفأخبرتك أنا نأتيه العام؟

قلت: لا.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: فانك آتيه ومطوف به.

قال عمر: فأتيت أبابكر فقلت:

يا ابا بكر أليس هذا نبي الله حقا؟

قال: بلىٰ.

قلت: السنا علىٰ الحق وعدونا علىٰ الباطل؟

---

(١) صحيح البخاري ج٢ / ١٢٢ ط دار الكتب العربية.

قال: بلىٰ.

قلت: فلماذا نعطي الدنية في ديننا إذاً؟

قال: ايها الرجل انه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله انه لعلىٰ الحق.

فقلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟

قال: بلىٰ، أفأخبرك انكَ تأتيه العام؟

قلت: لا.

قال: فانك آتيه ومطوف به.

قال عمر فعملت لذلك اعمالاً)[١]

وقد اشار الامام علي عليه السلام الى هذه الحادثة وغيرها من محاولات الاعتراض علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: وقد علِم المستحفظون من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أني لم أردّ على الله ولا علىٰ رسوله ساعة قط..)

وعلق ابن ابي الحديد علىٰ ذلك بقوله (واعلم ان هذا الخبر صحيح لاريب فيه، والناس كلهم رَووه، وليس عندي بقبيح ولا مستهجن ان يكون سؤال هذا الشخص لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمّا ساله عنه علىٰ سبيل الاسترشاد، والتماساً لطمأنينة النفس فقد قال الله لخليله ابراهيم ﴿او لم تؤمن قال بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي﴾ وقد كانت الصحابة تراجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الامور، وتسأله عمّا يُستبهم عليها وتقول له: أَهذا منك ام من الله؟ وقال له السعدان ـ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ـ رحمهما الله يوم الخندق، وقد عزم علىٰ مصالحة الاحزاب ببعض تمر المدينة: أهذا من الله أم رأي رأيته من نفسك؟ قال: بل من نفسي. قالا: لا والله لا نعطيهم منها تمرة واحدة وأيدينا في مقابض سيوفنا.

وقالت الانصار له يوم بدر، وقد نزل بمنزل لم يستصلحوه: أنزلت هذا المنزل

---

(١) صحيح البخاري ج٢/ح ١٢٢ ط دار الكتب العربية

عن رأي رأيتَ ام بوحي أُوحي اليكَ؟ قال: بل عن رأي رأيته. قالوا: انه ليس لنا بمنزل ارحل عنه فانزل بموضع كذا)[1]

ونحن لا نشك ان الصحابة كانوا حريصين علىٰ الدعوة الاسلامية، وعلىٰ اعلاء كلمة الله، ومحاربة الكفر والطاغوت، وارغام قريش ـ في ذلك الوقت ـ علىٰ الخضوع والاستسلام. ولكن ذلكَ لايعني انهم احرص علىٰ الاسلام من رسوله ﷺ اولاً، كما انه لايبرر لهم اتخاذ موقف موحد، أو اضراب عام، احتجاجاً على موقفه ﷺ ثانيا.

ان ما وقع ليس (نصاً) يحتمل التأويل وانما هي ممارسة حية لرسول الله ﷺ، وهو يرسم منعطفاً من اهم منعطفات الاسلام فكيف اعترض الخليفة الثاني ومعه الصحابة علىٰ رسول الله ﷺ فامتنعوا عن الذبح والحلق وهو حي بينهم؟ واذا كانت شهامة بعض الصحابة، وحرصهم علىٰ الاسلام، دفعهم الى اتخاذ هذا الموقف، فماذا لا نتوقع ان يحدث نفس الشيء لنصوص اكثر اهمية من صلح الحديبية فتُغير، أو تُهمل، أو تُخالَف بدافع الغيرة والحرص والشهامة علىٰ الاسلام، في فترة ما بعد الرسول؟

ويشهد علىٰ وقوع المخالفة ندم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فيما بعد ـ أي في فترة خلافته ـ حيث قال: مازلت أصوم وأتصدق وأصلي واعتق مخافة كلامي الذي تكلمت به)[2] أي في قصة صلح الحديبية.

الموقف الثاني:

ونرىٰ هنا مشهداً ونموذجاً من عدم التسليم والاذعان لرسول الله ﷺ والذي يُفترض بالصحابة انهم اكثر تفاعلاً واستجابة للرسول ﷺ ولكن

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٠ / ١٨٠.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ / ٧٠٦.

سنلاحظ التباين بين النظرية والتطبيق في مجال الممارسة العملية وذلكَ حينما يشير النبي ﷺ الىٰ ظاهرة ايمانية مزيفة وهي التي عبّر عنها القرآن الكريم بـ (النفاق) ويطلب من الصحابة اجتثاث احد رموزها الخبيثة والقضاء عليه. فهل استجاب الصحابة لأمر واضح صدر من الرسول ﷺ بقتل منافق متستر بالدين والشعائر الاسلامية؟

والقصة كما يلي:

يروي أنس فيقول:

كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبّده واجتهاده، وقد ذكرناه لرسول الله ﷺ بأسمه فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا فقلنا: هو هذا.

قال ﷺ: انكم لتخبروني عن رجلٍ إنْ في وجهه لسفعة من الشيطان.

فأقبل حتىٰ وقف عليهم ولم يُسلّم.

فقال له رسول الله ﷺ: أنشدك الله هل قلت حين وقفت علىٰ المجلس: ما في القوم أحد افضل مني أو خير مني؟

قال: اللهم نعم.

ثم دخل يصلي فقال رسول الله ﷺ: من يقتل الرجل؟

قال ابوبكر: أنا، فدخل عليه فوجده يصلي فقال سبحان الله أقتل رجلاً يصلي وقد نهىٰ رسول الله عن قتل المصلين!

فخرج فقال رسول الله ﷺ: ما فعلت؟

قال: كرهت ان اقتله وهو يصلي وقد نهيتَ عن قتل المصلين.

قال رسول الله ﷺ: من يقتل الرجل؟

قال عمر: أنا. فدخل فوجده واضعاً جبهته. قال عمر: ابوبكر افضل مني. فخرج فقال النبي ﷺ مهيم؟

قال: وجدته واضعاً جبهته لله فكرهت ان اقتله. فقال ﷺ من يقتل الرجل؟
فقال علي: أنا.
فقال ﷺ: أنت ان ادركته. فدخل عليه فوجده قد خرج.
قال ﷺ: لو قتل ما اختلف من أمتي رجلان)(١)

هذا الرجل الذي أمر رسول الله ﷺ بقتله هو ذو الثدية ويسمىٰ بذي الخويصرة التميمي حرقوص بن زهير، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ ـ كما اخرجه مسلم في صحيحه ـ حينما كان يقسّم المال: يا رسول الله اعدل! فقال له: ويلك من يعدل إذا لم أعدل.

وهو رأس الخوارج وقد ذكره رسول الله ﷺ في اخبار المغيبات فقال: آيتهم رجل اسود احدىٰ عضديه مثل ثدي المراة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون علىٰ حين فرقة من الناس.

قال ابو سعيد: فأشهد اني سمعت هذا الحديث من رسول الله، واشهد ان علي بن ابي طالب قاتلهم وانا معه، فأمر بذلك الرجل فالتُمس فأُتي به حتىٰ نظرت اليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته)(٢)

فهل فعل النص شيئاً تجاه الظاهرة المزيفة المتلبسة بالدين، والرسول فيهم يامرهم بقتل رأسها والقضاء عليه؟ ان تحليلاً بسيطاً لما جرىٰ سيؤكد ان تأثر الصحابة ببعض اساليب المنافقين وتسترهم بلباس التقوىٰ والورع واداء بعض الشعائر كان أقوى في تأثيره من الرسول ﷺ نفسه، رغم علمهم انه ﷺ المقياس الحقيقي للالتزام الحقيقي بالأسلام.

---

(١) الاصابة لابن حجر ج ١ / ٤٨٤ ط السعادة، وحلية الاولياء ج ٢ / ٣١٧.
(٢) صحيح البخاري ج ٤ / ٢٤٣ ط مطابع الشعب، وصحيح مسلم ج ٢ / ٧٤٤.

الموقف الثالث:

ما وقع من خالد بن الوليد الصحابي المعروف بمواقفه الكثيرة، نجد هذا الصحابي في موقف له يتجاهل النص ويتجاوزه بصراحة وجرأة علىٰ ما يروي صاحب الاستيعاب في قصة بطشه ببني جذيمة وخلاصة القصة:

ان النبي ﷺ بعث خالداً في ثلاثمائة من المهاجرين والانصار بعد فتح الحديبية الىٰ بني جُذيمة داعياً الىٰ الاسلام، ولم يبعثه مقاتلاً ـ وكان بنو جذيمة قتلوا في الجاهلية عمه الفاكه بن المغيرة ـ فلما جاءهم بمن معه قال لهم: ضعوا اسلحتكم فانّ الناس قد اسلموا. فوضعوا اسلحتهم، وأمر بهم فكتفوا، ثم عرضهم علىٰ السيف فقتل منهم مقتلة عظيمة فلما انتهىٰ الخبر الىٰ النبي ﷺ رفع يديه الىٰ السماء فقال: اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد، اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد[1]

ثم ارسل ﷺ علياً عليه السلام ومعه مال وأمره أن ينظر في أمرهم، فودىٰ لهم الدماء والاموال حتىٰ انه ليدي ميلغة الكلب[2].

فنرىٰ هنا خالد بن الوليد ـ وهو من طليعة الصحابة ـ لايتحدد بالنص ولا يلتزم به بل ويعمل بخلافه تماماً إذ ان الرسول ﷺ لم يبعثه مقاتلاً وانما بعثه داعياً الى الاسلام، ومع ذلك فانه بدأهم بالقتل، وهم آمنون بدعوته لهم بالقاء السلاح.

الموقف الرابع:

وفي هذا الموقف نعيش مع لحظة غضب للخليفة الثاني عمر بن الخطاب دعته الىٰ جذب الرسول من ثوبه مستنكراً عليه عملاً قام به لمصلحة الاسلام والمسلمين، ثم هو بعد سنوات يندم على ذلك كما سنرىٰ وخلاصة القصة كما جاءت في صحيح

---

(١) الاستيعاب بهامش الاصابة ج١ / ١٥٣.

(٢) المصدر السابق، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ / ٥٣.

البخاري وكنز العمال كما يلي:

قال عبدالله بن عمر: لماّ توفي عبد الله بنُ أُبي جاء ابنه فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه، وصلّ عليه واستغفر له.

فاعطاه قميصه ـ وقد قيل له لِمَ اعطيته قميصك؟! فقال ﷺ ان قميصي لم تغن عنه من الله شيئاً، واني ارجو ان يدخل به في الاسلام خلق كثير ـ وقال له:

اذا فرغت منه فآذنا به، فجاء ﷺ ليصلي عليه فجذبه عمر فقال له: أليس قد نهاك الله ان تصلي علىٰ المنافقين فقال لك (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)؟.

فقال ﷺ: أخر عني يا عمر إني خُيرّت، قيل لي ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ فلو اعلم اني زدت علىٰ السبعين غفر الله له لزدت. ثم صلىٰ عليه ومشىٰ خلفه)[١]

وقد أسلم بعد ذلك من قوم عبد الله بن أُبي ألف رجل تأثراً بموقف الرسول. وكان ﷺ قد صلىٰ علىٰ عبدالله بن أُبي قبل نزول قوله تعالى ﴿ولا تصل علىٰ أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم علىٰ قبره﴾.

وبعد سنوات من ذلك وبعد وفاة الرسول ﷺ ندم عمر بن الخطاب علىٰ موقفه فقال:

أصبت في الاسلام هفوة ما أصبت مثلها قط، اراد رسول الله ﷺ ان يصلي علىٰ عبدالله بن أبي فأخذت ثوبه فقلت: والله ما أمرك الله بهذا لقد قال الله لك ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ فقال رسول الله: خيرني ربي فقال: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ فاخترت)[٢]

من الصعب ان نبررّ موقف الخليفة الثاني في هذه الواقعة بغير تحدي النص، إذ

---

(١) كنز العمال ج ١ / ٢٤٧، الكامل في التاريخ ج ٢ / ٦٦١ ط دار الكتب العلمية.

(٢) كنز العمال الحديث رقم ٤٤٠٤.

ليس من المعقول ان يكون عمراً أو الناس اجمعين احرص من الرسول ﷺ، على كيان الاسلام أو حفظ مصالحه، فما هو السبب الذي جعل عمر يجذب الرسول ﷺ من ثوبه، هل كان لحكمة لا يعرفها الرسول، ام هو خطأ وقع فيه ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوىٰ؟.

ان مقتضىٰ القاعدة ان يتجاوب عمر والمسلمون مع الرسول ﷺ في موقفه اذعاناً لقوله تعالى **﴿وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم﴾** ويدع عمر اجتهاده وحرصه جانباً ويتمسك بروح العبودية والطاعة، وكذلك يجب ان يفعل كل مسلم آمن بالله تعالى ورسوله ﷺ. فهل يمكن بعد هذا ان نفترض ان النص يمكن ان يؤدي الغرض، ويحقق النتيجة دائماً، ونحن نرىٰ خير الخلق يُجذب من ثوبه ـ اعتراضاً عليه ـ لمنعه من القيام بعمل ما؟.

الموقف الخامس:

وهو المعروف برزية يوم الخميس، حيث كان رسول الله ﷺ علىٰ فراش الموت، فاراد ان يحسم أمر الخلافة والحكم من بعده، فطلب دواة وصحيفة ليكتب للامة كتاباً لن تضل بعده أبدا، وخلاصة ما جرىٰ كالتالي:

اخرج البخاري في صحيحه بسنده الىٰ عبيد الله بن عبدالله بن مسعود عن ابن عباس قال: لماّ حُضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ: هلمّ اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده.

فقال عمر: ان النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله.

فاختلف اهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول الله ﷺ:

قوموا عني.

فكان ابن عباس يقول: ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين ان

يكتب ذلكَ الكتاب من اختلافهم ولغطهم)[1] وفي روايات اخرىٰ جاءت العبارة بصيغة:

(هجر رسول الله).

او (ان النبي يهجر).

ومهما يكن الامر، وهل قال عمر ان النبي غلبه الوجع، أو ان النبي يهجر، فاننا نعتقد ان رسول الله ﷺ في صحته أو مرضه على حدٍ سواء، فهو رسول ربّ العالمين في الصحة والمرض، وان ما يصدر منه من قول أو عمل في مرضه، يمتلك نفس الحجية فيما لو كان قد صدر منه في صحته، لا فرق عندنا في ذلك، وهو اجماع الامة الاسلامية بكل مذاهبها وفرقها الاّ من شذ منهم، وما يهمنا الآن هو فهم الاسباب والظروف التي تحجم النص الشرعي، وتُحرِفه عن إتجاهه وتجعله في بعض الاحيان عديم الجدوىٰ.

والذي يظهر من نصوص واقعة (آتوني اكتب لكم كتاباً) وهي كثيرة ان النبي ﷺ فاجأ الجميع بقوله (آتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتاباً) بارادة مباشرة الكتابة بخط يمينه، وليس املاءً، كما كان يفعل في الامور الاخرىٰ، بما في ذلك القران الكريم نفسه.

وهذه هى المرة الوحيدة في جميع كتبه ومراسلاته، وفي جميع مراحل حياته بعد النبوة يطلب فيها الكتابة بهذا النحو يشهد لذلك قوله ﷺ (آتوني.. اكتب لكم كتاباً) أو (اتوني بكتاب اكتبه لكم) فانه يدل على انه ﷺ اراد مباشرة الكتابة بيده الكريمة وإلاّ فانّ بامكانه ان يقول ما كان يريد كتابته امام الحاضرين، أو أن يأمر من كان يقرأ ويكتب من الحاضرين بكتابة ما يريد من دون حاجة الى ان يقول (آتوني...).

---

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ / ١٨٥ ط دار الكتب العلمية، صحيح البخاري ج ٧ / ٩ ط دار الفكر، مسند احمد ج ٤ / ٣٥٦ دار المعارف بمصر.

ويشهد لذلك ايضاً قول الموافقين للكتابة كما في صحيح البخاري حيث جاءت العبارة هكذا (قربوا يكتب لكم) فلمن يقربون الدواة والصحيفة اذا لم يكن هو الذي اراد مباشرة الكتابة؟

وهذا الامر هو الذي جعل عمر بن الخطاب يتفاجىء من قول الرسول ﷺ فقال كلمته المشهورة انه يهجر، أو غلبه الوجع لان الطلب كان غريباً، فهو يعتقد كما هو حال باقي المسلمين ان الرسول لايقرأ ولا يكتب، فكيف يقول آتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتاباً. ويشهد لصحة هذه الرؤية من ان الرسول ﷺ اراد مباشرة الكتابة بنفسه ما جاء في الصحيحين أيضاً خرجاه معاً عن ابن عباس انه كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكىٰ حتىٰ بلَّ دمعه الحصا فقلنا: يا ابن عباس و ما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فقال: آتوني بكتاب اكتبه لكم ـ ولفظ مسلم: ائتوني اكتب لكم كتابا لا تظلوا بعدي أبدا. فتنازعوا. فقال قائل: ما شانه؟ أهجر؟ استفهموه. فذهبوا يعيدون عليه: فقال: دعوني والذي أنا فيه خير من الذي انتم فيه..)[1]

فما معنىٰ (استفهموه! فذهبوا يعيدون عليه) أو (آتوني بكتاب اكتبه لكم) غير الذي ذكرناه.

ولو افترضنا صورة عكسية لما وقع وقلنا مثلاً ان الرسول ﷺ كان يقرأ ويكتب، والناس تعرف ذلك ثم طلب ﷺ وهو علىٰ فراش الموت دواة وصحيفة ليكتب كتاباً فهل سيكون طلباً غريباً يستوجب ان يقول احد (انه يهجر) أو (استفهموه)؟ ولم نجد أي اعتراض علىٰ طلبات النبي ﷺ الاخرىٰ التي رافقت طلب كتابة الكتاب كقوله ﷺ: قوموا عني، فقاموا أو اكرام الوفود أو اخراج المشركين من الجزيرة أو تجهيز جيش اسامة وغير ذلك، ولم يقل احد انه هجر، فلماذا في هذا المورد بالذات أُتهِمَ النبي بانه هجر؟

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ / ٥٤

من هنا استطاع عمر ان يوجد في داخل الجماعة المتواجدة في البيت النبوي، تياراً يؤيد رؤيته، فقالوا معه حسبانا كتاب الله، مستفيداً من غرابة طلب الرسول ﷺ بالكتابة، اذ ليس من المعقول ان يتمكن عمر من استحصال تأييد كبير، أو قل اتجاه واسع في صفوف الحاضرين من دون وجود محفز ظاهري مثير، فعمر لم يكن يملك تأثيراً على المسلمين ولم يذكر المؤرخون انه كان يتمتع بقوة مادية، ولا رصيد اجتماعي، للتأثير علىٰ الحاضرين للحد الذي يستطيع ان يَحَولَ بين النبي ﷺ وكتابة الكتاب. خاصة وان الرسول ﷺ في هذه الفترة من حياته كان يتمتع باحترام جميع المسلمين علىٰ اختلاف دوافعهم للاحترام، بينما لا يملك عمر ذلك.

اما الدافع الحقيقي الذي دفع عمر للتصريح بكلمته هذه، فهو ما بينه بنفسه فيما بعد، إذ يروي ابن ابي الحديد عن عمر فيقول: «ان رسول الله ﷺ اراد ان يذكره ـ لعلي ـ للأمر في مرضه، فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار امر الاسلام»[١]

وروي ايضاً عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

دخلت علىٰ عمر في اول خلافته، وقد أُلقي له صاع من تمر علىٰ خَصَفَة، فدعاني الىٰ الاكل، فأكلت تمرة واحدة، وأقبل يأكل حتىٰ أتىٰ عليه، واستلقىٰ علىٰ مرفقة له، وطفق يحمد الله، يكرر ذلك، ثم قال: من اين جئت يا عبدالله؟

قلت: من المسجد.

قال: كيف خلفت ابن عمك؟

ـ فظننته يعني عبدالله بن جعفر ـ

قلت: خلفته يلعب مع اترابه.

قال: لم أعنِ ذلك، وانما عنيت عظيمكم اهل البيت.

قلت: خلفته يمتح بالغَرب ـ أي بالدلو ـ علىٰ نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٢ / ٧٩.

قال: يا عبدالله عليك دماء البُدن إن كتمتنيها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟

قلت: نعم.

قال: أيزعم انّ رسول الله ﷺ نصّ عليه؟

قلت: نعم، وازيدك سألت ابي عمّا يدّعيه فقال: صَدَقَ.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله ﷺ في أمره ذَروُ، ـ أي طرف ـ من قول لا يثبت حُجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربَع في أمره وقتاً ما، ولقد اراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الاسلام، لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من اقطارها، فعلِمَ رسول الله ﷺ أني علمت ما في نفسه فأمسك، وأبىٰ الله الا امضاء ما حتمّ[١].

اما الذين قالوا: قربوا يكتب لكم كتاباً، فهم يرون ان الذي بعثه مؤيداً بالايات والبينات والمعجزات، قادر علىٰ الهامة القراءة والكتابة في لحظة واحدة فيكتب ما يريد كتابته ولو علىٰ نحو الاعجاز.

ومن هنا سيكون هذا الكتاب ـ اضافة الى محتواه الكبير في تحديد مستقبل الخلافة ونظام لحكم ـ مقروناً بآخر واجمل معجزة ـ باستثناء القران ـ لرسول الله ﷺ وستاخذ طريقها الى قلوب المسلمين والمؤمنين الى قيام يوم الدين، وسوف لن تضل الامة بعده ابداً، لانه سيحدّد خط الامامة والخلافة من بعده فلا يقع اختلاف ولا ضلال.

وعلىٰ كل حال فانّ عمر بن الخطاب حرص علىٰ منع رسول الله ﷺ من كتابة الكتاب، ووافقه علىٰ ذلك عدد كبير من الصحابة.

هذا كله والرسول ﷺ حي يرزق وهو بكامل خصائصه الانسانية والدينية مما أثار غضبه ﷺ فخاطب الحاضرين بكلمته المشهورة (قوموا عني). ولم نعهد

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٢ / ٢٠.

من صاحب الخُلق العظيم حدّة أو ألماً دعاه الى ردة فعل اكثر من السكوت، أو في اشد الحالات ظهور علامات عدم الارتياح علىٰ وجهه، اما ان يغضب فيقول قوموا عني فهي المرة الاولىٰ والاخيرة في حياته صلى الله عليه وآله وسلم.

ومما يجب ان نشير اليه في النهاية هو اننا من خلال استقراء امثال الوقائع التي ذكرناها نلاحظ ان النص الشرعي ينال التقديس والاحترام اذاكان يتعلق بالامور العبادية ذات الطابع الشخصي كالصلاة والصيام وأمثالها فلا نجد في امثال هذه المواضيع ايّ شكل من اشكال الاعتراض أو النقاش أو التحدي.

واما النص الذي يتعلق بالامور الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية فانه كثيراً ما يواجه مصاعب في مجال الاذعان أو التطبيق، ومعه تبدأ محاولات التغيير، كالحرص على عدم تفرق الامة، أو خوف الفتنة، أو الحيطة علىٰ الاسلام، وامثال ذلكَ من المبررات الحق، التي لا يراد بها الحق، لاننا لا يمكن ان نفترض احداً في الدنيا احرص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ الاسلام ووحدة الامة الاسلامية.

الحقيقة الثانية: شخصية الامام علي عليه السلام

والحديث في هذا الموضوع يتم من خلال محاور ثلاثة:

١ـ الخصائص الذاتية لشخصية الامام علي عليه السلام.

٢ـ العدل المطلق في حياة علي عليه السلام.

٣ـ تركيبة مجتمع الصحابة وموقع علي عليه السلام فيها.

المحور الاول: الخصائص الذاتية.

الخصائص الذاتية لعلي عليه السلام بقدر ما تحمل من عظمة سببت له مشاكل و مصاعب بنفس المستوي رافقته في جميع مراحل حياته، وافرزت له قطاعات واسعة من الاعداء، حركهم الحسد والغيرة والمصالح الذاتية للانتقام منه بمختلف الوسائل.

ان الامام علي عليه السلام ربيب النبوة، والتلميذ الاول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلقىٰ علىٰ

يديه الكريمتين، جميع مكارم الاخلاق والعلم والمعرفة، يقول صلوات الله وسلامه عليه:

(وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولدٌ يضمني الى صدره، ويكنفني في فراشه ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمينه، وما وجد لى كذبة في قول، ولا خطلة في فعل. ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل لأثر امه، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به..)[1]

ويقول عليه السلام ايضاً:

ما نزلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية إلاّ أقرأنيها وأملاها عليَّ فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها و تفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله ان يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله تعالى وعلماً أملاه عليَّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك رسول الله علماً علمّه الله من حلال أو حرام، ولا أمر ولا نهي كان أو يكون إلاّ علمنيه وحفظته، ولم أنسَ حرفاً واحداً منه..)[2].

هذه الميزات الفريدة في تربية النبي صلى الله عليه وآله وسلم له وتعليمه، وإيثاره له من دون باقي الصحابة، وأئتمانه علىٰ سره وأمره، وتزويجه ابنته الصديقة فاطمة، واهتمامه البالغ به، وغير ذلك مما يشاكل هذه الامور استوجب حسدهم له، وغيضهم منه. ولم يبقّ ذلك حبيس نفوسهم وساكن سرهم بل طفحت من بعضهم نيران الحسد، وظهر منهم الحقد والغضب، فاتهموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بانه يحابي علياً عليه السلام بدافع القرابة والمصاهرة، حتىٰ بدت الكراهة في وجوه الصحابة لذلك، فعن جابر قال ناجىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم علي بن ابي طالب يوم الطائف فأطال مناجاته، فرأىٰ الكراهة في

---

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ١٩٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٢١٠.

وجوه رجال، فقالوا قد أطال مناجاته منذ اليوم. فقال: ما انا انتجيته ولكن الله عزوجل انتجاه[1].

فاكن من الصعب علىٰ بعضهم ان يجدوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نظيراً له في خُلُقه وعدله وتنمره في ذات الله تعالىٰ، وحرصه على الاسلام، وبطشه بعروش الكفر وعادات الجاهلية.

وكان الجميع يعلم ان علياً عليه السلام لو وليَّ الخلافة ما كان ليعدل عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيد أنملة، ولعمل بما كان يعمل به صلى الله عليه وآله وسلم ولسار علىٰ هديه وشريعته. وهذا ما لم يكن يرق لعدد كبير من المستسلمين، من ذوي الجاه والسلطان والحكم والرياسة، من الذين لم تكن صدورهم تتسع لشخص آخر كمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعدله وحزمة في تطبيق الحق والعدل.

ان الامام علي عليه السلام يمثل الامتداد الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لانه عديل نفسه بنص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، إذ يروي ابن ابي الحديد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما هددّ بني وَليعة قال لهم:

لتنتهن يا بني وليعة أو لا بعثن عليكم رجلاً عديل نفسي يقتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم. قال عمر بن الخطاب: فما تمنيت الامارة إلاّ يومئذٍ وجعلت انصب له صدري رجاء ان يقول: هو هذا، فاخذ بيد علي وقال: هو هذا)[2]

هذا التمثيل الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وانه عديل نفسه سبَّبَ لعلي عليه السلام مشكلة حقيقية امتدت معه امتداد العمر، وعانىٰ من تبعاتها في حياته وبعد موته، بل وامتدت الى آله وذريته، فكان الحاقدون الموتورون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرون في الانتقام من علي عليه السلام انتقاماً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول عليه السلام:

كل حقدٍ حقدته قريش علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله أظهرته فيَّ،

---

(١) النوادر في جمع الاحاديث للمولىٰ محسن الكاشاني/ ١٠٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١ / ٢٩٤.

وستُظهرهُ في وليدي من بعدي، ماليَ ولقريش! انما وترتهُمُ بأمر الله رسوله، أفهذا جزاءُ من اطاع الله ورسولَهُ إن كانوا مسلمين)[١]

ويقول أيضاً:

«اللهم اني استعديك علىٰ قريش، فانهم أضمروا لرسولك ﷺ ضروباً من الشر والغدر، فجزوا عنها، وحُلت بينهم وبيننا، فكانت الوجبة بي، والدائرة عليَّ»[٢]

ولا نستغرب ذلك لأن واقع الحال بعد وفاة النبي ﷺ كشف عن حقيقة مرة، وهي ان شطراً من (المسلمين) كان اعتناقهم للاسلام استسلاماً للواقع، بحكم ان التيار العام كان لصالح الاسلام، وان التظاهر بغير ذلك يهدد مصالحهم الشخصية، وهم في حقيقتهم لازالوا يحملون في اعماقهم افكار الجاهلة وعاداتها وتقاليدها وكانت نظرتهم الىٰ الاسلام ورسوله القائد ﷺ نظرة مادية بحته، وان ما حققه ليس الاّ مجداً شخصياً استطاع بذكائه ان يقيمه علىٰ انقاض المجتمع العربي المتفكك، لا علاقة له بوحي ولا نبوه يقول ابو سفيان لعثمان بن عفان بعد ان ولي الخلافة: بابي انت أنفق ولا تكن كأبي حجر، وتداولوها يا بني أُمية تداول الولدان الكُرة، فو الله ما من جنة ولا نار..)[٣] وايضاً يشهد لذلك حركة الارتداد الواسعة التي وقعت بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة يقول ابن الاثير في الكامل:

فتوفي النبي ﷺ ولم يَسِر الجيش وارتدت العرب اما عامة أو خاصة من كل قبيلة، وظهر النفاق واشرأبت يهود والنصرانية)[٤]

وقد افرد في الكامل فصلاً مستقلاً لاخبار الردة ورغم تحفظنا علىٰ بعضه لان

---

(١) شرح النهج لا بن ابي الحديد ج ٢٠ / ٣٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢٠ / ٢٩٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ / ٤٥.

(٤) الكامل لابن الاثير ج ٢ / ١٩٩.

شعار الردة استُعمل في بعض الاحيان كشعار سياسي لتصفية المعارضة، أو لتحقيق اغراض شخصية، الاّ انه علىٰ كل حال يكشف عن ان شطراً كبيراً من المجتمع كان مستسلماً فقط[1].

ومن الطبيعي في ظل وضع من هذا القبيل ان تتقلص الفرص، ان لم نقل تنعدم لوصول علي عليه السلام الى الحكم، إذ كيف يقبل المرتدون حاكماً هو كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي ثقلت نفوسهم به، فهو يُمثل لهم (مأساة) حقيقية ضاقت بها صدورهم.

ويصف لنا علي عليه السلام الحالة المؤسفة للوضع الذي كان عليه المجتمع في ذلك الوقت وقد قال له قائل: يا امير المؤمنين، أرأيت لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ترك ذكراً قد بلغ الحلم، وآنس منه الرشدَ، أكانت العرب تسلَّم إليه أمرها؟

فقال عليه السلام: لا، بل كانت سقتُلُه إن لم يفعل ما فعلتُ، ان العرب كرهت أمر محمد صلى الله عليه واله وحسدتُه علىٰ ما آتاه اللهُ من فضله، واستطالت أيامه حتىٰ قذفت زوجته، ونفرَّت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها، وجسيم مِنَنِهِ عندها.

واجمعت مُذ كان حياً علىٰ صرفِ الأمر عن أهل بيته بعد موته. ولولا ان قريشاً جعلت اسمه ذريعةً الىٰ الرياسة، وسُلماً الىٰ العز والأمرة، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحدا، ولارتدّت في حافرتها، وعاد قارحها جَذَعاً، وبازلُها بَكراً، ثم فتح اللهُ عليها الفتوح، فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة، فحَسُن في عيونها من الاسلام ماكان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ماكان مضطرباً وقالت: لولا انه حق لما كان كذا، ثم نسبت تلكَ الفتوح الى آراء ولاتها وحسن تدبيرِ الامراء والقائمين بها...

---

(١) بالنسبة لأخبار الردة يمكن بحثها علىٰ عدة اصعدة وعلىٰ مستويات مختلفة. فقد تُفسر علىٰ انها ارتداد عن الاسلام ورجوع الى الكفر. وقد حصل هذا ووقع في بعض مراحل الاحداث. وقد تُفسَر علىٰ انها ارتداد، بمعنىٰ عدم قبول الكثير من العرب لخلافة ابي بكر. ومثال ذلكَ ما هو معروف عن مالك بن نويرة الذي اعتُبر مرتداً لانه امتنع عن دفع الزكاة للخليفة.
وعلىٰ ضوء ذلكَ تترتب نتائج متباينة لسنا بصدد مناقشتها.

وما عسىٰ ان يكون الولدُ لو كان! إنّ رسول الله صلّ الله عليه وآله لم يقربني ما تعلمونُه من القُرب للنسب واللُحمة، بل للجهاد والنصيحة، أفتراه لو كان له ولدٌ هل كان يفعل ما فعلتُ! وكذاك لم يقرّب ما قربت، ثم لم يكن عند قريش والعرب سبباً للحظوة والمنزلة، بل للحرمان والجفوة.

اللهم انكَ تعلمُ اني لم أرد الأمرة، ولا علوَّ الملك والرياسة، وانما اردت القيام بحدودك، والأداء لشرعك، ووضع الامور في مواضعها، وتوفير الحقوق علىٰ أهلها، والمضي علىٰ منهاج نبيك، وارشاد الضال الى أنوار هدايتك)[1]

المحور الثاني: العدل المطلق في حياة علي عليه السلام.

لقد تربىٰ الامام علي عليه السلام علىٰ يد المعلم الأكبر للانسانية صلى الله عليه وآله وسلم فتشربت روحه بتعاليم الاسلام واحكامه واخلاقه، وعززّ تلك التربية انه عليه السلام عاش تجربة الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعايش العدالة المطلقة حينما كان صلى الله عليه وآله وسلم يمارسها في كل مرافق الحياة الاجتماعية والسياسية، فذاق حلاوة ذلك وعشق تلك التجربة وجسدها في كل مناحي حياته، فاصبح كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حرصه ودأبة وأمانته علىٰ تلك المبادئ. وتجلىٰ للجميع ان شخصاً بهذه المواصفات والسمات إن خَلَفَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حكم الامة وادارة شؤونها كافة فسيسير على نفس السيرة وينهج ذات النهج فلا يفضّل شريفاً علىٰ مشروف، ولا عربي علىٰ أعجمي، ولن يبذل بيت مال المسلمين علىٰ هذا وذاك ليصانعهم ويذللهم لسلطانه، وانما سيسير بهم بما سار عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولم يكن اشراف القوم واعيانهم ليرغبوا بالعدل المطلق الذي عايشوه في حياتهم العملية زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانت النفوس تتوق الىٰ ساعة من الرخاء والاسترخاء بعيداً عن مرارة الحق وغصة العدل.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج٢٠ / ٢٩٨.

واذا كانت هذه الرؤية واضحة لعدد من الصحابة دون معظم الناس في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقد تجلت للجميع بعد ذلك في فترة خلافته، حيث تفرق الناس عنه مما اضطر مالك الاشتر وحرصاً منه علىٰ الخلافة ان يقول له:

«وانت تاخُذُهم بالعدل وتعمل فيهم بالحق، وتنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندكَ فضلُ منزلة علىٰ الوضيع، فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ عُمُّوا به، واغموا من العدل إذ صاروا فيه، ورأوا صنائع معاوية عند اهل الغَناء والشرف، فتاقت انفس الناس الى الدنيا، وقلّ مَن ليس للدنيا بصاحب، واكثرهم يجتوي الحق ويشتري الباطل ويؤثر الدنيا، فان تبذل المال يا امير المؤمنين تَمِلْ اليك اعناق الرجال، وتَصفَ نصيحهتم لك»

فاجابه عليه السلام:

اما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا فانّ الله عزوجل يقول ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ وأنا من أن أكون مُقصراً فيما ذكرت أخوف.

واما ما ذكرت من ان الحق ثَقُل عليهم ففارقونا فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، ولا لجأوا إلىٰ عدل، ولم يلتمسوا الا دنيا زائلة عنهم كان قد فارقوها، وليسألن يوم القيامة أللدنيا أرادوا أم لله عملوا؟

واما ما ذكرت من بذل الاموال واصطناع الرجال فانه لا يسعنا أن نؤتى امرءاً من الفيء اكثر من حقه وقد قال الله سبحانه وتعالىٰ وقوله الحق ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين﴾ وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وحده، فكثره بعد القلة، وأعزّ فئته بعد الذلة، وان يرد الله ان يولنا هذا الامر يذلل لنا صعبه، ويسهل لنا حزنه..)[1]

وهذا هو علي عليه السلام يقول لعبد الله بن جعفر ابن ابي طالب حينما طلب منه معونة

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ / ١٩٧.

أو نفقة يقول له: لا والله ما أجدُ لك شيئاً إلاّ ان تأمر عمك أن يسرق فيعطيك)[١]

وهو الذي يقول لاهل الكوفة:

يأهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي ورحلي وغلامي فلان فانا خائن»[٢]

ويقول عليه السلام لأمرأة مسلمة عربية طلبت منه مالاً ـ وكان قد اعطىٰ لأمرأة أعجمية نفس العطاء ـ قالت له: إني امرأة من العرب وهذه من العجم؟! محتجة علىٰ تساويهما في العطاء.

فقال: إني والله لا أجد لبني اسماعيل في هذا الفيء فضلاً علىٰ بني اسحاق)[٣]

ويقول عليه السلام لعلقة بن علقمة وكان رآه يأكل كسر خبز يابس مع لبن حامض فقال له: يا امير المؤمنين أتأكل مثل هذا؟ فقال عليه السلام:

يا أبا الجنُوب كان رسول الله يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا ـ واشار الىٰ ثيابه ـ فان لم آخذ بما اخذ به خفت ألاّ ألحق به)[٤]

ويروي علي بن ابي سيف المدائني أن طائفة من اصحاب علي عليه السلام مشوا اليه فقالوا: يا امير المؤمنين أعط هذه الاموال وفضّل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش علىٰ الموالي والعجم، واستمل من تخاف خلافه من الناس وفراره. ـ وانما قالوا له ذلك لما كان معاوية يصنع في المال ـ

فقال لهم: أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور، لا والله لا أفعل ما طلعت شمس وما لاح في السماء نجم، والله لو كان المال لي لواسيتُ بينهم، فكيف وانما هي أموالهم..)[٥]

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق

(٥) المصدر السابق ص ٢٠٣.

ان من الطبيعي لمن ينهج هذا النهج في تطبيق العدالة الاجتماعية المطلقة بحيث لا يرىٰ لابناء اسماعيل علىٰ ابناء يعقوب ميزة، ولا يرىٰ لعربي علىٰ اعجمي فضلاً، ولا للاشراف ميزة علىٰ غيرهم في العطاء ولا في غيره، ولا يرىٰ كذلك للسابقين في الجهاد فضلاً علىٰ غيرهم من المسلمين يستوجب تمييزهم عن غيرهم في أمر العطاء، ان شخصاً يتمسك بهذه المبادئ بشكل مطلق من دون هوادة في مجتمع يتمسك بنفس القوة بالقيم الاجتماعية القائمة علىٰ اساس الطبقية والفوارق الاجتماعية والقومية والقبلية والتي عاشها فترة زمنية تفوق الفترة التي عاشها في ظل الاسلام والتي دعت بعض الصحابة الى اضافة شرط جديد لتولي علي عليه السلام للخلافة وهو ان يسير بسيرة الشيخين. ولا يعني هذا الشرط الا ان يقرَّ بالفوارق الطبقية والتمييز المالي والاجتماعي بين المسلمين، مما دعاه الى رفض الاستخلاف بعد مقتل عمر بن الخطاب، وأصرَّ علىٰ العمل بكتاب الله عزوجل وسنة وسيرة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقط باعتبارهما مصدر التشريع الاسلامي وهي بطبيعتها ترفض كل ألوان التمييز.

وهو الذي يقول:

«واني لعالم بما يصلحكم، ويُقيم أوَدَكم ولكني لا ارىٰ اصلاحكم بافساد ديني».

ان شخصاً بهذا المستوىٰ من الحرص علىٰ تطبيق الاحكام الأولية للاسلام لن يلقّ ترحيباً في مجتمع أحب الانفلات من حياة العدل المطلق الى حياة الامتيازات الطبقية والقومية والقبلية التي اعتادها قبل الاسلام، وسوف يجد في طريقه مئات العقبات والصعاب وما لا يحصىٰ من المشاكل.

وهذا هو الذي حدث لعلي عليه السلام علىٰ امتداد مسيرته الطويلة مع الدعوة الاسلامية سواءً في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو فيما بعد ذلك.

ولم يكن ـ بحسب النصوص السابقة ـ خافياً علىٰ علي عليه السلام هذا الأمر، فكان من اهم اهدافه بعد ان تولىٰ الخلافة اصلاح هذا الواقع واعادته الى ما كان عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الأمر الذي حرمه من تحقيق إنجازات كبيرة وحيوية

للاسلام علىٰ المستوىٰ الجغرافي وهو ما يعبر عنه بالفتوحات الاسلامية، ودخل في صراعات عسكرية وسياسية لتغيير المجتمع وبناءه علىٰ اساس الاسلام وقيمه السامية.

المحور الثالث: نظرة العداء والحقد

كما نلاحظ ان قطاعات كبيرة من المجتمع، كانت تنظر الى علي عليه السلام نظرة حقد وعداء، وتحمل له ضغائن في قلوبها، لانه علىٰ حد تعبيرهم (قاتل الاحبة) رغم ان السيف الذي قطع تلك الرؤوس، لم يكن يحمل لهم حقداً شخصياً، وانما كان اداءً لواجب الجهاد في سبيل الله، ودفاعاً عن الاسلام، وتشييداً لاركانه، واعلاءً لكلمة الله تعالى، وان الذين قتلهم كانوا كفاراً عتاتاً، طالما وقفوا بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحاربوه وآذوه، وحاربوا دعوته ورسالته.

وقد سجل التاريخ نماذج كثيرة للحالة الحاقدة أو المتوترة علىٰ علي عليه السلام، تعكس مدىٰ ما كان القوم يحملون له في قلوبهم من بغض وكراهية، فمن ذلك ما رواه ابن ابي الحديد قال:

ان عثمان بن عفان وسعيد بن العاص حضرا عند عمر في ايام خلافته، فجلس سعيد بن العاص حَجْرة ـ اى ناحية ـ فنظر اليه عمر فقال:

ما لى اراك مُعرضاً كأني قتلت أباك! إني لم اقتله ولكنه قتله ابو حسن.

وكان علي عليه السلام حاضراً فقال:

اللهم غفراً ذهب الشرك بما فيه، ومحا الاسلام ما قبله، فلماذا تهاج القلوب!؟

فسكت عمر[1]

ومن خلال نظرة سريعة الى هذه الصفحة من تاريخه عليه السلام وتاريخ معارضيه، نجد ان الثلة المتضررة ثلة مهمة لها موقعها ووقعها في المجتمع. كما انها تمتلك خبرة

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٤ / ١٤٤.

الممارسة السياسية وكيفية استعمال المفردات السياسية وتسخيرها بالنحو الذي يغيّر من المعادلات والموازين الشرعية، ولعل من اهم مصاديق هذا التيار معاوية بن ابي سفيان ـ داهية العرب ـ القادر علىٰ استعمال أي ورقة سياسية ـ بغض النظر عن مشروعيتها ـ فقد قتل الامام علي عليه السلام حنظلة أخاه، والوليد بن عتبة وهو خاله و غيرهما من بني امية و عبد شمس.

يقول عنه ابن ابي الحديد:

وكان معاوية علىٰ أُس الدهر ـ أي قدم الدهر ـ مبغضاً لعلي عليه السلام، شديد الانحراف عنه، وكيف لا يبغضه وقد قتل اخاه حنظلة يوم بدر و خاله الوليد بن عتبة، وشرِك عَمهُ في جده وهو عتبة، أو في عمه وهو شيبة علىٰ اختلاف الرواية، وقتل من بني عبد شمس نفراً كثيراً من اعيانهم وأماثلهم)[1]

ويرویٰ كذلك انه:

اجتمع عند معاوية في بعض ليالي صفين عمرو بن العاص، وعتبة بن ابي سفيان، والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبدالله ابن عامر، وابن طلحة الطلحات الخزاعي فقال عتبة: ان امرنا وأمر علي بن ابي طالب لعجيب ما فينا الاّ موتور مُجتاح، اما انا فقتل جدي عتبة بن ربيعة واخي حنظلة وشرك في دم عمي شيبة يوم بدر. واما انت يا وليد فقتل اباك صبراً. واما انت يا ابن عامر فصرع اباك يوم الجمل وايتم اخوتك..)[2]

ويقول ابن ابي الحديد ايضاً:

«وقد عرفت ان اعظم غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشدها نكاية في المشركين بدر الكبرىٰ، قُتل فيها سبعون من المشركين، قتل علي نصفهم وقتل المسلمون والملائكة النصف الاخر. واذا رجعت الىٰ مغازي محمد بن عمر الواقدي

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١ / ٣٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٦ / ٣١٤.

وتاريخ الاشراف ليحيىٰ بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك، دع من قتله في غيرها كأحدٍ والخندق وغيرهما، وهذا الفصل لا معنىٰ للاطناب فيه لانه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما»(١)

ولا يعدم علي عليه السلام من يعاديه حتىٰ في داخل البيت النبوي الشريف فقد مثلت ام المؤمنين عائشة نموذجاً آخر للخلاف معه، وما وقع بينهما اشهر من ان يذكر، لقد قتل علي عليه السلام ابناء عمها في بدر، ولم يمنعها من عدائه ما كانت تسمعه أو تراه من اهتمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم به، وحبه له، واستئناسه به، ومع ذلك لم تتمكن من تحجيم دوافعها النفسية، وبقيت ضدّه بالرغم من انها لم تجد منه موقفا سلبياً تجاهها لا في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا بعد وفاته.

وقد استغلت المعارضة ما في قلب عائشة ضدّه من عداء، وما لعائشة من مكانة وهالة قدسية باعتبارها زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجروها الى معارضة علنية انتهت الى مشاركتها في معركة الجمل، ومع ذلك لم تجد منه عليه السلام الاّ جميلاً بعد هزيمة الجيش الذي كانت تقود.

وخذ كذلك سعد بن ابي وقاص الذي يقول عنه ابن ابي الحديد:

«فاما الرواية التي جاءت بان طلحة لم يكن حاضراً يوم الشورىٰ، فان صحت فذو الضِّغن هو سعد بن ابي وقاص، لان أمه حَمية بنت سفيان بن امية بن عبد شمس، والضغينة التي عنده علىٰ علي عليه السلام مِن قِبل اخواله الذين قتل صناديدهم وتقلد دماءهم»(٢)

ويتواصل الحقد ويتوارث ليصل الىٰ ولده عمر بن سعد الذي قتل الحسين عليه السلام في واقعة الطف عام ٦١ هـ

والحقيقة ان المجتمع آنذاك كان يضم عناصر نافذة ومتمرسة في السياسة شكلّت

---

(١) شرح نهج البلاغة لا بن ابي الحديد ج ١/ ٢٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١/ ١٩٠.

معارضة قوية للامام علي عليه السلام لم يكن من السهل تجاوزها بالاساليب الطبيعية المشروعة، فلم يكن امامه عليه السلام إلاّ أحد خيارين اما التمسك بالمبادىء والثبات عليها، واما ان ينهج ما يفعله السياسيون المنحرفون من المداهنة والخداع والكذب. وهذا ما كانت تأباه روح علي عليه السلام كما سنرىٰ بعد قليل.

المحور الرابع: التمسك بالمبادئ.

اثبت تاريخ علي عليه السلام بما لايدع مجالاً للشك انه رجل المبادئ، المضحي من اجلها، المتمسك بها وان الاسلام هدفه الاكبر وغايته المقدسة، وان كل موقف يحقق له مكاسب قيادية أو مادية ويتعارض ولو جزءياً مع مبادىء الاسلام، والقيم التي تعلمها من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مرفوض مهما كانت مبرراته. ولم يسجل التاريخ انه داهن أو خادع أو استعمل الاساليب التي اعتادها السياسيون في تحقيق اهدافهم.

وهذه الحسنة التي لعلي عليه السلام كانت تُرعب كل الذين ارادوا تحويل الحكم الاسلامي الى سلطان شخصي أو مكسب مادي لانهم في ظل هذه الأجواء سوف لن يحصلوا علىٰ مواقع في الحياة السياسية الاسلامية تحقق لهم مكاسب شخصية فمثلاً حينما جاء ابوسفيان لعلي وقد كان عليه السلام بأمس الحاجة الى النصير قال له بعد بيعة ابي بكر:

وَلَيتم علىٰ هذا الأمر أذل بيت في قريش، اما والله لأن شئت لأملأنها علىٰ ابي فُضيل خيلاً ورجلاً ـ يعني علىٰ ابي بكر ـ.

فقال عليه السلام: طالما غششت الاسلام وأهله فما ضررتهم شيئاً، لاحاجة لنا الىٰ خيلك ورجلك)[1]

لم يقبل الامام نصرة من لا يحمل في اعماقه مبادىء الاسلام وقيمه. ولا تحركه الاّ مصالحه وأطماعه المادية التي تسوقه حيث تشاء وكان المفروض علىٰ ضوء

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج٢/ ٤٥.

المنطق السياسي المادي ان يجمّع كل القوىٰ المضادة أو المصلحية في تكتل كمي وكيفي ليتجاوز به المرحلة الصعبة.

ولكنه عليه السلام أبىٰ ان يفعل ذلك، لأن هدفه لم يكن الخلافة وانما المبادئ التي هي هدف الخلافة الحقيقية؟ وابو سفيان ـ على هذا الضوء ـ لا موقع له فيها. ولم يطل الوقت على ابي سفيان حتىٰ غيرّ موقفه، وتحول الى جانب ابي بكر من نفس المنطق المصلحي بعد ان أشار عمر بن الخطاب علىٰ الخليفة الاول بان يهب اموال الزكاة لابي سفيان كسباً لمودته ودفعاً لشره، فرضي ابو سفيان فمال الى جانب ابي بكر.(١)

وابو سفيان هو الذى يقول لعثمان: بأبي انت أنفق ولا تكن كأبي حجر، وتداولوها يا بني امية تداول الولدان الكُرة، فوالله ما من جنة ولا نار..)(٢)

ومن الحقائق التي تصبّ في هذا المجال وتؤكد علىٰ ان رجل المبادئ المؤمن بها لايقع تحت تاثير المبررات والعناوين الثانوية علىٰ حساب المبادئ مهما كانت النتائج مؤثرة ما ذكر من انه لّما بُويع بالخلافة واصبح حاكماً وخليفة علىٰ المسلمين واجهته مشكلة بقاء أو عزل معاوية بن ابي سفيان.

ولم تكن المهمة سهلة يسيرة، ولن تمر عملية العزل دون مشاكل وصعاب، وذلك لأن معاوية استغل الفرصة منذ ان توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحتىٰ يوم مبايعة الامام علي عليه السلام لتكريس نفوذه الشخصي ككيان مستقل عن الخلافة الاسلامية، واعتبر نفسه ـ عملياً ـ مصدراً تشريعياً وفكرياً ومرجعاً قيادياً للأمة، وسخرّ لتحقيق ذلك كل وسائل التبليغ والدعاية، وجعل بيت مال المسلمين في خدمة هذا الغرض بعد ان وليّ الشام، وسلك معاوية ـ كما ينص التاريخ ـ سياسية: المال حين يكون المال اداة لكسب الولاء والطاعة، والقوة حين يتطلب الامر القوة، والدين والقيم حين تقتضي الظروف ذلك.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢/ ٤٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢/ ٤٥.

أضف الىٰ ذلك ما كان يتمتع به معاوية من دهاء وقدرة سياسية، وانفلات في رؤيته العقائدية للاسلام ونبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي كان يراها لباقة شخصية، وذكاءً اتاح له صلى الله عليه وآله وسلم ان يحكم الجزيرة العربية، ويصبح مَلِكاً عليها، ولا علاقة لذلك بوحي ولا سماء. فهو ينظر الى الاشياء بنفس المحتوىٰ المادي الكامن في اعماقه وتشكلت منه شخصيته الحقيقية، ويفسرها كذلك بنفس التفسير المادي المركوز في اعماقه.

ومن الناحية الاخرىٰ كان الامام علي عليه السلام عند وصوله الى الخلافة بحاجة الىٰ الاستقرار السياسي الذي يحقق له القدرة علىٰ ممارسة دوره بشكل يحكم بين اهل التوراة بتوراتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم، وبين اهل اقرآن بقرأنهم، فكيف يمكن ان يتم ذلك وقد ورث عليه السلام مشاكل معقدة كان من أهمها واخطرها الوجودات الملحدة، المؤمنة بالاسلام ظاهراً المنكرة له واقعاً، هل يمكن بهولاء ان يحقق الهدف الاسلامي الكبير بتطبيق حكم الله عزوجل كما يريد، ام لابّد من عزلهم وتطهير التشكيل القيادي الاسلامي منهم! ولعلاج هذه المشكلة لم تكن الخيارات لديه كثيرة، فهو اما ان يقبل بالامر الواقع، هذا الامر الذي كان يقتضي ان يبقىٰ كل شيء على ما كان ريثما تُتاح الفرصة المناسبة لعملية التغيير، وهو ما كان اصحاب علي عليه السلام يرونه صحيحاً من زاوية حرصهم علىٰ الاسلام وحبهم لعلي عليه السلام فقد جاء في الكامل لابن الاثير:

وقال ابن عباس: اتيت علياً بعد قتل عثمان عند عَودي من مكة فوجدت المغيرة بن شعبة مستخلياً به فخرج من عنده فقلت له:

ماذا قال لكَ هذا؟

فقال: قال لي قبل مَّرته هذه «إن لكَ حق الطاعة والنصيحة، وانت بقية الناس، وان الرأي تحرز به ما في غد، وان الضياع اليوم يضيع به ما في غدٍ، أقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان علىٰ اعمالهم حتىٰ تاتيك بيعتهم ويسكن الناس، ثم اعزل من

شئت) فأبيت عليه ذلك وقلت: لا أداهِنُ في ديني، ولا اعطي في الدنية أمري. قال: ـ يعني المغيرة بن شعبة ـ فان كنت أبيت عليَّ فانزع من شئت واترك معاوية فان في معاوية جرأة وهو في اهل الشام يُستمع منه ولك حجة في اثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام. فقلت: لا والله لا استعمل معاوية يومين»[1]

واما الخيار الاخر فهو القيام بعزل معاوية بن ابي سفيان مع تحمّل كافة النتائج السلبية التي ستترتب عليه والتي من اهمها التضحية بالاستقرار السياسي الذي كان علي عليه السلام بأمسّ الحاجة اليه.

ولم يتردد سلام الله عليه في اتخاذ قرار العزل فقد ارسل كتاب العزل مع سبرة الجهني فسلمه الكتاب فلم يزد معاوية علىٰ قوله:

أدم إدامة حِصنٍ أو خذا بيدي حرباً ضروساً تشُبُّ الجزل والضرما
في جاركم وابنكم اذ كان مقَتلُهُ شنعاءَ شيبت الاصداغ واللحما
أعيا المسودُ بها والسيدون فلم يوجد لنا غيرُنَا مولى ولا حكما

حتىٰ اذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعىٰ معاوية رجلاً من بني عبس يدعىٰ قبيصة فدفع اليه طوماراً مختوماً عنوانه ـ من معاوية الىٰ علي ـ وقال له اذا دخلت المدينة ـ الى ان قال ـ فقال للرسول: ما وراءك؟ قال: آمن انا؟ قال: نعم ان الرسول لا يُقتل.

قال: ورائي اني تركت قوماً لا يرضون الاّ بالقود.

قال: ممن؟

قال: من خيط رقبتك..)[2]

وهكذا تسببت السياسية المبدأية الحازمة لعلي عليه السلام لتطهير الخلافة الاسلامية ومصدر القرار من هذه العناصر في خلق معارضة من السياسيين المتمرسين لم يكن

---

(١) الكامل لابن الاثير ج٣/ ٨٦.

(٢) الكامل في التاريخ ج٣/ ٩٣.

من السهل تجاوزهم من دون دفع ثمن باهظ. وهو ما حدث له عليه السلام بعد ان تولى الخلافة إثر مقتل عثمان بن عفان حيث توالت عليه الفتن من كل جانب وصوب.

ولم يكن عليه السلام غافلاً عن كل تلك المشاكل بل كانت رؤيته واسعة الافق، مستوعبة لكل تفاصيل الحالة المستقبلية لما يمكن ان يقع له، ليس فقط من خلال المنظور الغيبي الذي اخبره به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانما ايضا من خلال تقييمه للواقع وعلمه بكل تفاصيله، ومعرفته بسنن التاريخ وقوانينه.

ففي اطار الرؤية الغيبية لما سيقع له بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول عليه السلام:

(إن مما عهد إليَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الامة ستغدر بي بعده)[1]

ويقول ايضاً:

(قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الامة ستغدر بكَ بعدي، وانت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي، من احبك أحبني، ومن ابغضك ابغضني، وان هذه ستخضب من هذا ـ يعني لحيته من رأسه ـ)[2]

وجاء في كنز العمال عن علي عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اجهش بالبكاء يوماً فقال له علي عليه السلام: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور اقوام لا يُبدنوها لك الامن بعدي. قلت: يا رسول الله في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك)[3]

وهذا يجعلنا نجزم ان كل الاسباب التي ذكرناها كمشاكل واجهت علي عليه السلام منذ بداية خلافته كانت في روحها سابقة على مرحلة ما بعد الاستخلاف المباشر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ذلك واخبر علياً به كما هو واضح من الكثير من النصوص التي سبق ذكرها. وهذا الامر جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحتاط في اتخاذ كل ما يمكن من اساليب ووسائل لتكريس مفهوم استخلاف علي عليه السلام من بعده.

---

(١) مستدرك الصحيحين ج٣/ ١٤٠

(٢) مستدرك الصحيحين ج٣/ ١٤٢.

(٣) كنز العمال ج٦/ ٤٠٨.

ومن هذا المنطلق جاءت خطوات الرسول ﷺ لتتخذ شكلاً متميزاً في اطار الاستخلاف المباشر له وذلك بتهيئة الزهراء عليها السلام لتقود المسيرة السياسية في مهمة واضحة تتمثل اولاً: بالتأكيد علىٰ ان علياً هو الخليفة الشرعي للرسول ﷺ، وثانيا: ان كل كيان سياسي، أو خيار قيادي حتىٰ لو كان منتخباً من قبل الامة ـ ان كان وقع انتخاب ـ يتجاوز علياً عليه السلام الى غيره يُعتبر غير شرعي. وهذا ما سوف نلمسه في كلمات الزهراء وخطاباتها بعد وفاة النبي ﷺ.

الفصل الرابع

مرحلة المواجهة

* لماذا فاطمة..
* الزهراء الدليل الحسي علىٰ الخليفة والخلافة..
* أداء الامانة..
* حجة الله بعد أبيها..
* الدعوة للوقوف الى جانب علي عليه السلام..
* عدم أهلية الحاكم والحكومة..
* الاحتجاب الساخط..
* نتيجة البحث..

لماذا فاطمة؟

وقد يطرح هذا السؤال نفسه: لماذا اختار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمة عليها السلام لهذه المهمه؟

والحقيقة انّ هناك اكثر من مبرر لهذا الاختيار، واكثر من سبب يدعو لذلك، وسنقتصر علىٰ بعضها:

١ـ كون الزهراء عليها السلام بنتاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووريثته وذكراه وامتداده في الحياة، وشبيهته في خَلقه وخُلقه، وما توفر في شخصيتها من سمات ابيها وما كان يحمله صلى الله عليه وآله وسلم من خصائص انفرد بها عن الخلق أجمعين. هذه الخاصية اكسبتها زخماً عاطفياً كبيراً. وكان المفروض ان يتيح لها ذلك تاثيراً فعالاً علىٰ شرائح كبيرة من المجتمع، يهيئهم روحياً ونفسياً لتقّبل ما تقوله الزهراء عن مستقبل الدعوة الاسلامية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما كان قد خطط للخليفة المقبل.

وعلىٰ صعيد الواقع حينما تبنت الزهراء عليها السلام الدفاع عن حق علي عليه السلام في الخلافة، فخرجت الى المسجد، وخاطبت المسلمين بما هو معروف تاريخياً ـ وسنذكر بعضه فيما بعد ـ احدثت هزة عنيفة في نفوسهم مما دعىٰ الخليفة الثاني لاستعمال اللين والعاطفة في تعامله معها في بداية الامر، والشدة والخشونة بعد ان اصبح تاثيرها غير متحمّل، وهددّت حركتها الوضع السياسي القائم بعد ان أو شك الانصار علىٰ

الثورة ضد الخليفة إثر خطاب لها في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسياتي توضيح ذلك.

٢ـ ان الزهراء عليها السلام تمثل القدر المتيقن المتفق علىٰ قبوله في كل اوساط الامة كأطهر وانقىٰ واتقىٰ من يعرف المجتمع المدني من النساء والرجال، فهي سيدة نساء الدنيا والاخرة، فهل يرقىٰ اليها الريب، أو تشوب دعواها الشكوك، وهي التي طالما تحدث عنها المصطفىٰ صلى الله عليه وآله وسلم من علىٰ منبره، أو في مسجده، أو بين اصحابه. وهل يعقل ان لا تكون كذلك وهي التي قرن الله عزوجل رضاه برضاها وسخطه بسخطها، واذا كانت السياسة قد حولت حسنات علي عليه السلام الى سيئات، ومواقفه الكريمة في خدمة الاسلام وتضحياته الجبارة في سبيل ذلك الىٰ تبعات، يجب ان يدفع ثمنها بمجرد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فان ما كان يؤآخذ به علي عليه السلام لايرد علىٰ الزهراء عليها السلام، ولا يمكن لمعارضي علي عليه السلام وصفها بكل ما عوقب عليه علي عليه السلام، ولم نجد للسلطة من حجة عليها في كل فصول معارضتها لابي بكر وعمر سوىٰ قول بعضهم بانها زوجة علي عليه السلام، فهي تجر النار الىٰ قرصها، وما سوىٰ ذلك فان المعارضة وجمت وعجزت عن المساس بصحة موقف الزهراء، أو التشكيل بمصداقيتها.

٣ـ الشجاعة الفريدة التي اتسمت بها والتي اتاحت لها ان تقف بوجه الخلافة موقفاً حازماً، بل في أعلىٰ مراتب الحزم، في حين لم يفعل ذلك الكثير ممن كان الى جانب علي عليه السلام أو من كان غير مقتنع بما وقع من استخلاف بعد النبي. ولو لاحظنا حركة المسيرة الفاطمية بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتجلىٰ لنا ذلك بوضوح.

ومن المؤكد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف سجايا الزهراء والتي منها الشجاعة، التي كانت مهمة الاستخلاف بحاجة كبيرة لها. وما يؤكد هذا الموضوع الحقائق التاريخية الكثيرة التي اعطت صورة عن الاجواء الأمنية والسياسية التي سبقت او أعقبت بيعة الخليفة الثاني، والتي تؤكد ان العنف كان هو المنطق السائد، مما ادىٰ الى امتناع الكثيرين من اتخاذ مواقف تناسب الحدث وخطورته.

٤ـ احاطة الزهراء الكاملة بموضوع الاستخلاف من جانبين، الجانب الاول اهمية ان يكون علي عليه‌السلام هو الخليفة المباشر بعد النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، والتاثير الايجابي لذلك على مستقبل الاسلام، وانه السبيل الوحيد لضمان سلامة المسيرة الاسلامية تشريعياً وفكرياً وسياسياً. والجانب الثاني خطورة الاوضاع التي ستنتج بسبب إبعاده عن الخلافة، وتاثيرها على مسيرة الاسلام وحركته في الحياة.

ونحن لانشك ان الزهراء عليها‌السلام قد واكبت حركة الرسول الاعظم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في مهمة الاعداد لاستخلاف علي عليه‌السلام مواكبة تفصيلية، وتعرفت على أهمية الموضوع وخطورته، فكان من الطبيعي ان تتبنى هذا الموضوع وتدافع عنه دفاع العارف باهميته، المدرك لضرورته.

وعلى هذا الاساس يكون اختيار فاطمة عليها‌السلام امراً طبيعياً، بل يمكن ان نقول ان اختيارها لهذا الدور تفرضه اكثر من ضرورة. وسنرى فيما بعد انها هي التي استطاعت ان تحدّد معالم الطريق الحق بالنسبة لموضوع الاستخلاف بعد النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم.

الزهراء الدليل الحسي على شرعية الخليفة والخلافة

من خلال جميع ما تقدم نصل الى حقيقة تقول: ان النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قد نصّ على تنصيب علي عليه‌السلام من بعده، وهيىء كل أسباب تمكينه من ذلك سواء من ناحية بناء شخصيته القيادية وما تستلزمه من علم ومعرفة وخبره، أو من ناحية تمهيد الارضية المناسبة لتمكينه من ممارسة دوره القيادي.

وكان صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يعلم ان النص الشرعي، أو ما يسمى بـ(الدليل اللفظي) يمكن بسهوله تجاوزه أو تحديه بمختلف المبررات، لان قضية الحكم والخلافة بما فيها من اغراءات مادية ومعنوية، أو على احسن التقادير بدوافع صالحة ولكنها غير صحيحة لتجاوز الدليل اللفظي، كالحرص على وحدة الامة، وعدم تفرقها وامثال ذلك، هذه الامور تفرض اتخاذ وسائل اكثر فاعلية على تكريس واقع النص

وتحويله الىٰ ما يشبه المَعلم المادي الذي لا يمكن ان يُبدّد محتواه بالمبررات التي تواجه الدليل اللفظي، ومن هنا جاء التأكيد علىٰ الزهراء عليها السلام لتاخذ طابعاً متميزاً من خلال النصوص التي قَرَنَ الله رضاه برضاها وسخطه بسخطها، لتكون هي الدليل والمعلَم علىٰ مشروعية الحاكم والحكم، فموقفها وقولها لا يقبل التبرير والتأويل باي شكل من الاشكال لانها في وضعية المباشر لما يجب ان يكون، فاما ان يقبل اولياء الامر قولها بانّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم اوصىٰ بالخلافة لعلي عليه السلام، ويذعنوا بذلك، وهو ما كان يتوخاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واما ان يكذبوا الزهراء عليها السلام باي نحو من الانحاء فتسخط عليهم، ومعنىٰ سخطها ان الله عزوجل هو الذي سخط عليهم، فكيف يُقيم شرع الله من سخط الله عليه؟ وكيف يؤتمن علىٰ دين الله ومعالم شريعته من غضب الله عليه؟ وهل الدين إلاّ الطاعة الخالصة له سبحانه وتعالىٰ؟ ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتىٰ يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾(١) فهل يمكن ـ علىٰ ضوء ذلك ـ ان نعتبر الحكم حكماً شرعياً صالحاً، والحاكم خليفة لله في ارضه ووليا للمسلمين له حق الطاعة عليهم وربّ العالمين عليه ساخط؟.

ولا نستغرب هذا اللون من الاستدلال بعد ان نصّ عليه القرآن، بل هو من صميم المنهج القرآني في تأكيد المبادئ والقيم، ومدىٰ تفاعل الامم معها، وفي النهاية تميز الخط الصحيح من الخط المنحرف.

ولعل من ابرز تطبيقات هذا المنهج ما ذكره عزوجل من قصة طالوت قال سبحانه:

﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إنّ اللهَ مبتليكُم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني إلاّ من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلاّ قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين أمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين

---

(١) النساء ٦٥.

يظنون انهم ملاقوا اللهِ كم من فئةٍ قليلة غلبت فئةً كثيرة باذن اللهِ واللهُ مع الصابرين﴾[1]

وخلاصة القصة ما ذكره القرطبي في تفسيره قال: قال وهب بن منبه: فلما فصل طالوت قالوا له ان المياه لا تحملنا فادع الله ان يجري لنا نهراً، فقال لهم طالوت: ان الله مبتليكم بنهر، وكان عدد الجنود ـ في قول السدي ـ ثمانين ألفاً.

وقال وهب: لم يتخلف عنه إلّا ذو عذر من صغر أو كبر أو مرض.

ومعنىٰ هذا الابتلاء أنه اختبار لهم، فمن ظهرت طاعته في ترك الماء عُلِمَ انه مطيع فيما عدا ذلك، ومن غلبته شهوته في الماء وعصىٰ الامر فهو في العصيان في الشدائد أحرىٰ، فروي انهم أتوا النهر وقد نالهم عطش وهو في غاية العذوبة والحسن، فلذلك رُخّص للمطيعين في الغَرفة ليرتفع عنهم أذىٰ العطش بعض الارتفاع وليكسروا نزاع النفس في هذه الحال. وبين أن الغرفة كافَّةٌ ضرر العطش عند الحزَمة الصابرين علىٰ شظف العيش اللذين همهم في غير الرفاهية... وانما وقع هذا الابتلاء ليتميز الصادق من الكاذب...)[2]

فما معنىٰ ان يُجعل المؤشر الحقيقي للايمان غرفة من ماء، أليس هو مؤشر مادي حسي لمعرفة المؤمن من غيره، أو المطيع من العاصي فما المانع من ان تكون الزهراء بنت رسول الله التي يرضىٰ الله لرضاها ويسخط لسخطها المؤشر الحسي الحقيقي لكون المسيرة السياسية بعد ابيها تسير في الاتجاه الصحيح أو الضال؟.

وتطبيق آخر للمنهج في قوله تعالى:

﴿واذ قلنا ادخلو هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حِطةٌ نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾.[3]

---

(١) سورة البقرة/ ٢٤٩.

(٢) تفسير القرطبي ج٣/ ٢٥٠.

(٣) سورة البقرة/ ٥٨.

في هذه القضية جعل الله عزوجل دخول الباب، مع قول (حطة) ـ أي اللهم حط عنا الذنوب واغفرها ـ المؤشر الحقيق للايمان. قال القرطبي في تفسيره:

قلت يحتمل أن يكونوا تعبدوا بهذا اللفظ بعينه، وهو الظاهر من الحديث. روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا يزحفون علىٰ أستاهم وقالوا حبة في شعرة...

وقال: وكان قصدهم خلاف ما أمرهم الله به فعصوا وتمردوا واستهزءوا، فعاقبهم الله بالرجز وهو العذاب..)(١)

والباب الذي أُمروا بدخوله كما قال القرطبي: هو باب في بيت المقدس يعرف اليوم بـ(باب حطة) أو باب القبة التي كان يصلي اليها موسىٰ وبنو إسرائيل.

وروي عن ابي سعيد الخدري قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: انما مثل اهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وانما مثل اهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر الله له)(٢)

وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما اخرجه الدار قطني عن ابن عباس قال صلى الله عليه وآله وسلم علي بن ابي طالب باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً)(٣)

وينطبق علىٰ ما نحن فيه ايضاً التمثيل بسفينة نوح عليه السلام التي ركبها المؤمنون وأبىٰ ذلكَ الكافرون فكانت هي المقياس أو المؤشر علىٰ صحة الطريق وسلامة المسير.

وبعد ذلك نقول هل يعني دخول (باب) غير اعتباره الدليل الحسي علىٰ الايمان والاذعان، فلماذا لا يكون رضا حبيبة المصطفىٰ عليها السلام هو المؤشر الحقيقي الصادق علىٰ وجهة الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هل تسير في الاتجاه الصحيح أولا خاصة

---

(١) تفسير القرطبي ج ١/ ٤١١؟

(٢) مجمع الهيثمي ج ٩/ ١٦٧.

(٣) الجامع الصغير للسيوطي ج ٢/ ٥٦ ط اليمنية بمصر، والصواعق المحرقة ص ٧٥ ط اليمنية بمصر.

وانّ الزهراء في قيمتها الدينية ومكانتها عندالله عزوجل وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم اعظم خطراً واكبر شاناً من باب أو نهر أو سفينة، وكيف لا وهي بضعة المصطفىٰ وروحه التي بين جنبيه، وشجنة من النبوة فهي الدليل الحي، والحق الذي يمشي ويتكلم بلسان النبوة وعبقها، ذَخَرها أبوها لتكمل مسيرة الاسلام من بعده، فحملت بامانة مهمة من اصعب المهام، والتي تمثلت بتثبيت خط الامامة وارساء قواعدها.

أداء الامانة

مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صفر من سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة، وكان قد أمر بتجهيز جيش اسامه بن زيد الى البلقاء في الاردن، واهتم بتسير الجيش ولعن من تخلف عنه، علىٰ التفصيل المذكور في كتب الحديث والسيرة.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد تنبأ بما سيقع بعد وفاته فذهب الى البقيع فقال:

السلام عليكم يا اهل القبور، ليهنكُم ما أصبحتم فيه مما اصبح الناس فيه، اقبلَت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع اولَها آخرهُا.

ثم قال لاصحابه: «إنّ جبريل كان يعارضُني القرآن في كل عام مرّة، وقد عارضني به العام مرتين، فلا اراه الاّ لحضور أجلي»(١)

فلما اشتد به المرض طلب ان يقربوا له دواة وكتف، ليكتب لهم كتاباً لن يظلوا بعده ابداً. فاراد صلى الله عليه وآله وسلم ان يحسم أمر الخلافة كما اشار الى ذلك عمر بن الخطاب فاختلف الصحابة وتباينوا في طاعته، وقد تقدم تفاصيل بعض ذلك فيما سبق.

ومرت الايام ثقيلة كئيبة علىٰ اهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، فما هي الاّ ايام قليلة حتىٰ التحق اكرم رسولٍ لله في الارض بالرفيق الاعلىٰ، بعد ان جاهد في الله حق جهاده، وانقذ الامة من شفا جرفٍ هار، فجعلها خير امة اخرجت للناس.

وجاءت الساعة الأليمة ليختار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لقاء ربه وجوار رحمته. ويصف

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٠/ ١٨٣.

لنا امير المؤمنين عليه السلام تلك اللحظات فيقول:

«ولقد قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنّ رأسه لعلىٰ صدري وقد سالت نفسه في كفي، فأمررتها علىٰ وجهي ولقد وُلِّيتُ غُسله صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة أعواني، فضجت الدار والافنية، ملأٌ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم، يصلون عليه حتىٰ واريناه في ضريحه، فمن ذا أحقُ به مني حياً وميتاً»

ثم قام صلوات الله عليه بتأبينه بابلغ ما يكون من الوصف والثناء والتبجيل فقال:

«بابي انت وامي، طبت حياً وطبت ميتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والأنباء.

ولو لا أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع لانفذنا عليكَ ماءَ الشؤون، ولكان الداء مماطلاً، والكمد محالفاً وقلاّ لك، ولكنه ما لا يُملكُ ردّه ولا يستطاع دفعه. بابي أنت وأمي أذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك»[1]

وقبل ان يدفن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انقسم الصحابة الىٰ قسمين: القسم الاول كان مع علي عليه السلام، وهم القلة الذين واسوه في مصابه، وشاركوه في تجهيز نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم. والقسم الثاني: ذهبوا الى سقيفة بني ساعدة ليختاروا الخليفة الذي سيتولىٰ الامر بعده صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ التفصيل المذكور والمعروف في كتب الرواية والتاريخ، والذي لاحاجة الىٰ ذكره هنا بتفاصيله وانما سنذكر فقط ما تمس الحاجة اليه توخياً للاختصار.

وخلاصة ما وقع علىٰ مايروي ابن ابي الحديد عن البراء بن عازب قال:

لم أزل لبني هاشم محباً، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خفت ان تتمالأ قريش علىٰ اخراج هذا الامر عنهم، فأخذني ما يأخذ الواله العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكنت اتردّد الى بني هاشم وهم عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم في

---

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ٢٣٥.

الحجرة، واتفقد وجوه قريش، فاني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر، واذا قائل يقول: ان القوم في سقيفة بني ساعدة. واذا قائل آخر يقول: قد بُويع ابو بكر.

فلم البث واذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وابو عبيدة وجماعة من اصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالازُر الصنعانية لايمرون بأحدٍ إلاّ خبطوه وقدّموه فمدوا يده فمسحوها علىٰ يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلكَ أو أبىٰ. فانكرت عقلي وخرجت أشتد حتىٰ انتهيت الىٰ بني هاشم، والباب مغلق، فضربت علهم الباب ضرباً عنيفاً وقلت: قد بايع الناس لابي بكر بن ابي قحافة. فقال العباس: تَرِبت أيديكم الى آخر الدهر، اما إنّي قد أمرتكم فعصيتموني.

فمكثت اكابد ما في نفسي، ورأيت في الليل المقداد وسلمان وأباذر وعبادة بن الصامت وابا الهيثم بن التيهان وحذيفة وعماراً وهم يريدون أن يعيدوا الامر شورىٰ بين المهاجرين.

وبلغ ذلك ابا بكر وعمر فارسلا الى ابي عبيدة والىٰ المغيرة بن شعبة، فسألاهما عن الرأي، فقال المغيرة: الرأي ان تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده في هذه الأمرة نصيباً. ليقطعوا بذلكَ ناحية علي بن ابي طالب.

فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة حتىٰ دخلوا علىٰ العباس، وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحمد ابوبكر الله واثنىٰ عليه وقال:

ان الله ابتعث لكم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمَن الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم، حتىٰ اختار له ما عنده، فخلىٰ علىٰ الناس امورهم ليختاروا لانفسهم متفقين غير مختلفين، فاختاروني عليهم ولياً، ولامورهم راعياً فتوليت ذلك، وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولاحيرة ولا جبناً، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت واليه أُنيب، وما انفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين، يتخذكم لجأ فتكونوا حصنه المنيع، وخطبه البديع، فاما دخلتم فيما دخل فيه الناس، أو صرفتموهم عمّا مالوا اليه، فقد جئناك ونحن نريد ان نجعل لكَ في هذا الامر نصيباً

ولمن بعدك من عقبك إذ كنت عمَّ رسول الله ﷺ وان كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ﷺ ومكان أهلك، ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم، وعلىٰ رسلكم بني هاشم فان رسول الله ﷺ منا ومنكم.

فاعترض كلامه عمر، وخرج الىٰ مذهبة في الخشونة والوعيد وإتيان الأمر من أصعب جهاته فقال:

أي والله، واخرىٰ إنا لم نأتكم حاجةً إليكم، ولكن كرهنا أن يكون الطعنُ فيما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لانفسكم ولعامتهم. ثم سكت.

فتكلم العباس فحمد الله واثنىٰ عليه ثم قال: ان الله ابتعث محمداً نبياً كما وصفت، ووليأ للمؤمنين فمنَّ الله به علىٰ امته حتىٰ اختار له ما عنده، فخلىٰ الناس علىٰ أمرهم ليختاروا لأنفسهم، مصيبين للحق مائلين عن زيغ الهوىٰ، فان كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت، وان كنت بالمؤمنين فنحن منهم، ما تقدمنا في أمركم فرَطا، ولا حللنا وسطا، ولا نزحنا شطحا، فان كان هذا الامر يجبُ لكَ بالمؤمنين، فما وجب إذ كنا كارهين وما أبعد قولكَ إنهم طعنوا من قولك أنهم مالوا إليك، واما ما بذلتِ لنا فان يكن حقك اعطيتناه فامسكه عليك، وان يكن حق المؤمنين لك ببعضه دون بعض، وان يكن حقنا لم نرض لك ببعضه دون بعض. وما اقول هذا أروم صرفك عما دخلت فيه، ولكن للحجة نصيبها من البيان واما قولك: ان رسول الله ﷺ منا ومنكم، فانّ رسول الله ﷺ من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. واما قولك يا عمر انك تخاف الناس علينا، فهذا الذي قدمتموه أول ذلك وبالله المستعان)[1]

وعلىٰ كل حال فقد افرزت احداث الساعات القليلة التي تلت وفاة رسول الله ﷺ البيعة لابي بكر، وابعاد علي عليه السلام عن الخلافة والحكم، وعن حقه الشرعي في اكمال المسيرة النبوية المقدّسة بعد رسول الله ﷺ.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١/ ٢١٩.

ولم تكن الخيارات كثيرة امامه، فهو اما ان يترك جثمان الرسول ﷺ مسجاً من دون ان يقوم بما يجب من تغسيل وتكفين، وما يليق برسول الله ﷺ من احترام وتقديس، ويدخل معترك الصراع السياسي في أمر الخلافة والحكم.

واما ان يستعمل القوة والعنف واراقة الدماء، وحينئذٍ ماذا ستكون النتيجة؟ ستكون معركة غير متكافئة اولاً، وصدمة للتجربة الاسلامية الجديدة التي يهددها ما لا يحصىٰ من الاخطار.

وقد تجنب عليه السلام كل ذلك لانه يتناقض ويتنافىٰ مع المبادئ التي آمن بها صغيراً، ونشأ عليها وعاشها كبيراً، فهل يسمح ايمان علي وقلبه بترك رسول ربّ العالمين مسجىٰ ليذهب وراء الخلافة والحكم؟ وهل علي عليه السلام إلاّ هذه القيم والمبادئ؟ يقول عليه السلام:

(أكنت اتركُ رسول الله ميتاً في بيته لا اجهّزه واخرج الى الناس أنازعهم سلطانه)(١)

ثم هل من المعقول ان يلجأ الى القوة والاكراه والعنف والشدة، وهو يعلم ان اول مقومات الخلافة الرشيدة هو ايمان الامة بها، ايماناً حقيقياً يؤهلها لممارسة دورها باخلاص وتفاني، لانها أمة تحمل اعظم رسالة للانسانية كلها، فهل يمكن لامة مقهورة فارغة تماماً من المحتوىٰ الاسلامي ان تحكم نفسها أو تحكم العالم بغير القهر والرعب والخوف يقول عليه السلام: «واني لعالم بما يُصلحكم، ويقيمُ أوَدَكم، ولكني والله لا ارىٰ إصلاكم بافسادِ نفسي»(٢)

ويقول كذلك:

(لقد علمتم اني احق الناس بها من غيري ووالله لأسلمنَّ ما سلمت امور المسلمين، ولم يكن فيها جورٌ إلاّ عليَّ خاصة التماساً لاجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافسوه من زخرفه وزبرجه)

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج٦/ ١٣.

(٢) نهج البلاغة الخطبة رقم ٦٨.

وهل يمكن لعلي عليه السلام ان يساوم علىٰ حساب دينه وقيمه، وعلى حساب بيت مال المسلمين وحقوقهم السياسية والاجتماعية، فيتقاسم النفوذ والحكم فيعطي هذا ولاية ليرضىٰ، ويهب لذاك ثغراً ليسكت، ويفرغّ بيت المال في جيوب أصحاب النفوذ واللسان ليكونوا معه في سبيل تحقيق مكاسب شخصية زائلة، وهو الذي يقول لعبد الله بن عباس وكان عليه السلام يخصف نعله ما قيمة هذا النعل؟ فقال له: لاقيمة لها، فقال عليه السلام والله لهي أحبُّ إليَّ من إمرتكم، إلاّ ان أقيم حقاً، أو أدفع باطلا.

اجل ليس بوسع علي عليه السلام ان يفعل ذلك، ولو أراد ان يفعل لقدر، فكل من يعرف علي عليه السلام وتاريخه يدرك انه لو اراد ان يستعمل القوة الشخصية الفردية لاطاح بكل المستبطلين الذين انتزعوا الخلافة منه، اليس هو الذي يقول: والله لو تظاهرت العرب علىٰ قتالي لما وليت عنها، ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها ويقول: إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طِلاعُ الارض كُلِها ما باليتُ ولا استوحشت)[1] فمن يرقىٰ الى شجاعة علي عليه السلام قاتِلِ الابطال والشجعان، وكاشف الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورجل المواقف الصعبة، وكل هؤلاء الصحابة خبروا علياً في بدر وأُحدٍ والاحزاب، وكل المعارك التي خاضها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والىٰ جانبه علي عليه السلام، وكلها تشهد ان المواقف الفردية لعلي، والبطولة الرائعه التي ميزته هى التي تقلب الموازين، وتحدد نهاية المعارك الى صالح الاسلام، فمن يمكن ان يقف امامه لو اراد، وما قيمة بضعة افراد امام يد في كفها ذو الفقار، لولا كتاب سبق، ووصية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على استعمال القوة حرصاً منه علىٰ الاسلام ومسيرته من الانحراف. يقول له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الامة ستغدر بك بعدي فيقول له: في سلامة من ديني، فيقول له: نعم في سلامة من دينك. ويجهش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبكاء فيقول له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فيقول له: ضغائنٌ في صدور رجال عليك

---

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ٦٨.

لن يبدوها لك الاّ من بعدي[1]

وكان الخيار الاخير ان يستعمل منطق الانبياء ووحي السماء، فيستعمل الحجة تلو الحجة، والنصيحة تلو النصيحة، ويذّكرهم بما كان رسول الله ﷺ أوصاهم به. فحريٌ بامة محمد ﷺ ان تفي له بالوصية، بعد ان وفىٰ لها بالنصيحة. وهنا جاء دور الزهراء عليها السلام، بضعة المصطفىٰ وروحه التي بين جنبية، تفوح منها رائحة النبوة التي كانت الامة بالأمس القريب تشمها من رسولها ﷺ، هذه بضعته وريحانته التي شابهته في خُلقه وخلقته وصدق لهجته، جاءت لتكون الدليل الحي علىٰ ان الخلافة كمسؤلية لعلي دون سواه، وان الخلافة القائمة ليس لها نصيب من الشرعية.

حجة الله بعد أبيها

وكما ذكرنا فقد تمخضت اجتماعات السقيفة عن تعيين ابي بكر، وجرّ الناس الى بيعته، علىٰ النحو المذكور في كتب السيرة والتاريخ.

ورسم لنا امير المؤمنين علي عليه السلام صورة تنبض بالحياة والحيوية لتلك البيعة، وموقفه منها فقال في خطبته الشقشقية:

أما والله لقد تقمصها ابنُ أبي قُحافةَ، وانه ليعلم أنَّ محلي منها محل القطب من الرحا، ينحدرُ عني السيل، ولا يرقىٰ إليَّ الطير، فسدلتُ دونها ثوباً، وطويت عنها كَشحا، وطفقت أرتئي بين ان أصوُلَ بيد جذّاء، أو أصبرَ علىٰ طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها المؤمن حتىٰ يلقىٰ ربه، فرأيت أنّ الصبر علىٰ هاتا أحجىٰ، فصبرت وفي العين قذىٰ، وفي الحلق شجاً، ارىٰ تراثي نهباً)

وكان لعمر بن الخطاب الدور الاكبر في تحقيق البيعة وتكريس الخلافة لابي بكر، يقول ابن ابي الحديد:

«عمر هو الذي شيّد بيعة أبي بكر، ورقم المخالفين فيه فكسر سيف الزبير لّما

---

(١) كنز العمال ج٦/٤٠٨ ط دائرة المعارف النظامية.

جردّه، ودفع في صدر المقداد، ووطىء في السقيفة سعد بن عبادة، وقال: اقتلو سعداً قتل الله سعداً، وحطّم أنف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة: أنا جُذَيلها المحكك وعُذيقها المرجب. وتوعد من لجأ الىٰ دار فاطمة عليها السلام من الهاشميين وأخرجهم منها. ولولاه لم يثبت لابي بكر أمر، ولا قامت له قائمة»(١)

وامتنع علي عليه السلام مع عددٍ من الصحابة عن بيعة ابي بكر، وجلسوا مع علي عليه السلام في دار فاطمة، وقاطعوا مجالس القوم وندواتهم، فسأل ابوبكر فقال: اين الزبير؟ فقيل عند علي وقد تقلّد سيفه فقال: قم يا عمر، قم يا خالد بن الوليد انطلقا حتىٰ تاتياني بهما.

فانطلقا، فدخل عمر وقام خالد علىٰ باب البيت من خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف فقال: نبايع علياً، فاخترطه عمر فضرب به حجراً فكسره، ثم أخذ بيد الزبير فأقامه ثم دفعه وقال: يا خالد دونكه فامسكه، ثم قال لعلي: قم فبايع لابي بكر، فتلكأ واحتبس، فاخذ بيده وقال: قم فأبىٰ ان يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير فاخرجه.

ورأت فاطمة ماصُنع بهما، فقامت علىٰ باب الحجرة وقالت: يا ابا بكر ما اسرع ما اغرتم علىٰ اهل بيت رسول الله! والله لا اكلم عمر حتىٰ القىٰ الله.(٢)(٣)

ومن هذه اللحظة بدأت الزهراء عليها السلام مسيرتها الجهادية، لانها حجة الله، فكان لابد من أن تُلقي الحجة، ولابدّ ان تقوم بالدور الذي رسمه لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو دور من اهم الادوار في تاريخ الاسلام كما سنرىٰ.

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ١/ ١٧٤ ط دار احياء الكتب العربية.

(٢) ان النصوص التي تحكي هذه الحادثة كثيرة جداً، وهي غالباً تتفق من حيث المضمون، وقد تختلف من حيث اللفظ، وكان لابدّ من الاقتصار علىٰ نموذج واحد منها فأن ذكرها جميعاً يخلّ بالاختصار، كما ان انتقاء مقاطع معينة من هذا النص او ذاك قد يخل بالموضوعية فتركته لذلك فمن شاء فليراجع شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢/ ٥٦ وما بعدها.

(٣) نهج البلاغة الخطبة ج ٢/ ٥٦.

عملت الزهراء عليها السلام على محاور ثلاثة ميزت حركتها:

المحور الاول و تمثل بدعوة المهاجرين والانصار للوقوف الىٰ جانب علي عليه السلام، واختياره خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحكم.

والمحور الثاني وتمثل بتنبيه الامة علىٰ ان الحكم الحالي لا يتمتع بالشرعية التي تمكنه من قيادة الامة ومواصلة المسيرة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والمحور الثالث يتمثل باتخاذ موقفٍ سلبي من شخص الحاكم بالذات والمجتمع المدني عموماً. وسنستعرض المحاور الثلاثة فيما يلي:

المحور الاول: الدعوة للوقوف الى جانب علي عليه السلام

كان الدور الاول للصديقة الكبرىٰ: دعوتها المهاجرين والانصار للوقوف الىٰ جانب علي عليه السلام حتىٰ بعد ان تمت البيعة لأبي بكر، فقد روىٰ ابن ابي الحديد عن احمد بن عبدالعزيز الجوهري قال: ان علياً حمل فاطمة علىٰ حمار، وسار بها ليلاً إلى بيوت الانصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الانتصار له. فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق الينا أبا بكر ماعدلنا به. فقال علي: أكنت أتركُ رسولَ الله ميتاً في بيته لا أَجهزه وأخرج الى الناس أنازعهم في سلطّانه؟! وقالت فاطمة: ما صنع أبو حسن إلاّ ماكان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسبهم عليه)[١]

وفي روايات اخرىٰ كان يصحبها الحسن والحسين عليهم جميعاً الصلاة والسلام، فكانت تمرّ علىٰ بيوتهم تدعوهم الى نصرة علي عليه السلام والوقوف الىٰ جانبه.

ومن المؤكد ان الزهراء دعت المهاجرين والانصار الىٰ ذلك، ولاكننا نتحفظ علىٰ بعض التفاصيل التي تتعلق بأساليب الدعوة واشكالها.

والذي يجب ان نتنبه اليه هو ان حركة الزهراء عليها السلام لم تكن حلقة في حركة

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج٦/ ١٣.

انتخابية قادها علي عليه السلام لكسب الامة الى جانبه، وانما كانت دعوة للثورة لأصلاح الامور واعادتها الى نصابها الصحيح، ومكانها الطبيعي.

والملاحظ كذلك انّ التاريخ أغفل التفاصيل المهمة لهذه الحركة اغفالاً تاماً، وحجم تأثيرها على الأمة، باستثناء إشارات بسيطة.. الاّ ان الزهراء عليها السلام كشفت عن الجو العام من خلال عدة خطابات لها، بالرغم من ان خطاباتها لم تتضمن تفاصيل التحرك وانما حملت نتائج الحركة، ومواقف الامة منها. وقد تميزت خطاباتها بالصراحة التامة والشدة والعنف، فلم تدع مجالات وسطى بل كانت حازمة وقوية في كل كلمة قالتها.

يروي ابن ابي الحديد قال: لمّا قُبضَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقبلت فاطمة الى ابي بكر في لُمَةٍ من حَفَدتها ونساء قومها تطأ ذُيولها، ما تخرم مِشيتُها مِشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشدٍ من المهاجرين والانصار وغيرهم، فنيطت ـ أي وصلت وعلقت ـ دونها مُلاءة، ثم أنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء وارتج المجلس، ثم امهلت هنيهة حتى اذا سكن نشيجُ القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت كلامها بالحمد لله عزوجل والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قالت:

﴿لقد جاءكم رسولٌ من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم﴾ فان تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم، وأخا ابنِ عمي دون رجالكم، فبلّغ الرسالة صادعاً بانذارة مائلاً عن سنن المشركين، ضارباً ثبجهم، يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، آخذاً بأكظام المشركين، يهشم الاصنام، ويفلق الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرّى ـ أي انشق ـ الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين ، وخرست شقائق الشياطين، وتمت كلمة الاخلاص، وكنتم على شفا حفرة من النار، نهزة الطالع، ومذقة الشارب، وقبسة العجلان، وموطأ الاقدام، تشربون الطَرَقَ ـ أي الماء الذي بولت الابل فيه ـ وتقتاتون القِدّ، أذلة خاسئين، يتخطفكم الناس من حولكم، حتى انقذكم الله

برسوله ﷺ بعد اللتيا والتي، وبعد ان مُني بهم الرجال وذُؤبان العرب ومردة اهل الكتاب و (كلما اوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) أو نجم قرن الشيطان، او فغرت فاغرة ـ أي فتحت فاها ـ قذف أخاه في لواتها، ولا ينكفي حتىٰ يطأ صماخها باخمصه، ويطفى عادية لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، وانتم في رفاهية فكهون آمنون وادعون، حتىٰ اذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ظهرت حسيكة النفاق، وشمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفكين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، واطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم، فدعاكم فالفاكم لدعوته مستجيبين، ولقربه متلاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضابا، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكَلم رحيب، والجرح لما يندمل، انما زعمتم ذلك خوف الفتنة ﴿**ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين**﴾ فهيهات! وأنىٰ بكم، وأنىٰ تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، زواجره بينة، وشواهده لائحة، وأوامره واضحة.

أرغبة عنه تريدون؟ أم لغيرة تحكمون؟ بئس للظالمين بدلا، ﴿**ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ ثم لم تلبثوا إلاّ رَيث ان تسكن نفرتها، تُسرون حسواً في ارتغاء، ونحن نصبر منكم على مثل حزّ المُدىٰ..)(١)

فمن خلال الأمعان في هذه الخطبة الشريفة نلاحظ مايلي:

اولاًـ استطاعت عليها السلام ان تحشّد زخماً عاطفياً هائلاً هيأت فيه النفوس لدرجة عالية من التلقي والاذعان، فالانسان في مثل هذه الحالة يكون عادة اسرع الى التقبّل والتلقي، وكما تقول الرواية فانها عليها السلام (أنت أنة) والأنة تعبير عن الألم، وكان الحاضرون يعرفون انها اصدق الناس لهجة فلا يمكن ان تفتعل الحالات النفسية العاطفية الكاذبة، وانما تعبّر بأنتها عن الألم والمرارة التي تعيش في قلبها، بسبب سرعة رجوع الناس عن منهج المصطفىٰ ﷺ .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٦/ ٢٤٩.

ومن المؤكد أن ألمها ليس للميراث، ولا للخلافة كخلافة، فما القيمة المادية لكل ذلك، وهي تعلم انها اول الناس لحوقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وماذا يمكن ان تجنيه مادياً إن صار علي عليه السلام خليفة!. نعم ما كان يؤلمها هو الاخطار التي ستحيق بمستقبل الاسلام، وما سيتعرض له من كوارث هائلة في حال عدم تمكن علي عليه السلام من استخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا ما يشهد له تاريخ الاسلام منذ يوم السقيفة والىٰ اليوم.

واستطاعت ان تحرك الانصار فهتفوا باسم علي عليه السلام وبدأت الامور تتخذ مساراً جديداً نحو تغيير الوضع السياسي، فيُروىٰ ان ابا بكر لما سمع خطبتها شق عليه مقالتها، فصعد المنبر وقال:

«ايها الناس ما هذه الرّعة الى كل مقالة، اين كانت هذه الاماني في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألّا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، انما هو ثعالة شهيده ذنبه ـ أي ثعلب يشهد له ذيله تشبيه لعلي وفاطمة!! ـ مُرِبٌّ لكل فتنة، هو الذي يقول: كروها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضَعَفَة، ويستنصرون بالنساء، كأم طحال أحبّ أهلها اليها البغي، ألا اني لو شئت أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، اني ساكت ما تُركت. ثم التفت الىٰ الانصار فقال: قد بلغني يا معشر الانصار مقالة سفهائكم، وأحق من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنتم فقد جاءكم فآويتم ونصرتم، الا اني لست باسطاً يداً ولا لساناً علىٰ مَنْ لم يستحق ذلك منا. ثم نزل، فانصرفت فاطمة عليها السلام الىٰ منزلها.

يقول ابن ابي الحديد: قرأت هذا الكلام علىٰ النقيب أبي يحيىٰ جعفر بن يحيىٰ بن أبي زيد البصري وقلت له: بمن يعرّض؟ فقال: بل يصرح. قلت: لو صرح لم اسألك. فضحك وقال: بعلي بن ابي طالب عليه السلام. قلت: هذا الكلام كله لعلي يقوله؟ قال: نعم انه الملك يا بني)[1]

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٦/ ٢١٤.

ثانياً ـ ذكّرتهم بماضيهم القريب وما كانوا عليه من تدهور عقائدي واجتماعي واقتصادي، وما كان يحيق بهم من اخطار حقيقية. فانقذهم الله عزوجل بابيها ﷺ. وهم كلهم شهود على ما قالت، لانهم عاشوا وعاصروا تلك الفترة، فلا يمكن لأيٍ منهم ان ينكر هذه الحقيقة. وارادت بهذا ان تؤكد، علىٰ ان الذي بنىٰ الامة وسجّل لها هذا التاريخ، وشيد لها هذا الكيان، إنما هو بيت النبوة الطاهر بما فيه من بُناة حقيقيين في مقدمتهم علي بن ابي طالب الذى قرروا عزله عن الساحة السياسية بمختلف المبررات الواهية، ولو لا سيفه لما دخل اكثر هؤلاء الاسلام.

ثــالثاً ـ وجهت للجميع تهمة تحدي المبادئ والقيم، واتباع الشيطان (وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين ولقربه متلاحظين ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً واحمشكم فالفاكم غضابا) ثم قالت: «فهيهات وأنىٰ بكم، وأنىٰ تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم زواجره بينه وشواهده لأئحة وأوامره واضحة أرغبة عنه تريدون ام لغيره تحكمون بئس للظالمين بدلا ـ من يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين ـ».

ورغم خطورة هذه الادانة لم نجد نصاً يتحدث عن اعتراضهم عليها، خاصة وانّ الكلام موجه للجميع بمن فيهم كبار الصحابة. لا يقال ان جلالة الموقف، وما تتسم به شخصية الزهراء من قدسية منع الحاضرين من الاعتراض، فان الخليفة الاول أصرّ علىٰ منعها فدكاً والميراث وسهام الخمس لحديث سمعه وحده من رسول الله ﷺ دون باقي الصحابة، وهذا الامر اقل اهمية مما ادانتهم به عليها السلام فكان الأولىٰ ان يُعترض علىٰ ما ادانتهم به من الردّة والخيانة والنكوص عن الاسلام.

اضافة الى ذلك فان مَنْ منع الزهراء ميراثها عدة قليلة من الصحابة، وكانت طبيعة الامور تقتضي توجيه الكلام لهم فقط، ولكن ما لاحظناه هو الشمولية المطلقة حتىٰ للذين لا علاقة لهم بمنعها الميراث، مما يدل علىٰ ان الادانة كانت بسبب تخلفهم عن نصرة علي عليه السلام وتخاذلهم عن الوقوف معه في ساعة الحسم، حيث كان يجب

عليهم ان يواصلوا المسيرة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت راية علي عليه السلام التي هي راية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ويتصاعد الموقف ليتخذ طابعاً ثورياً حازماً فقد دعت الانصار الى رفع السلاح والثورة لتصحيح المسيرة وتوجيهها الى ما كان يريده الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت:

يا معشر البقية، وأعضاد الملة، وحضنة الاسلام، ما هذه الفترة عن نصرتى، والونية عن معونتي، والغمزة في حقي، والسِّنة عن ظلامتي، اماكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: المرءُ يحفظ في ولده! سرعان ما أحدثتم، وعجلان ما أتيتم، الآن مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمتم دينه،ها انّ موته لعمري خطب جليل استوسع وهنُه، واستبهم فتقُه، وفقد راتقه، واظلمت الارض له، وخضعت الجبال، وأكدت الامال، أُضيع بعد الحريم، وهتكت الحرمة، وأُذيلت المصونة، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته، وأنبأكم بها قبل وفاته فقال ﴿وما محمدٌ الاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسُلُ أفأن ماتَ أو قُتلَ انقلبتم علىٰ اعقابكم ومن ينقلب علىٰ عقبيه فلن يضرَ الله شيئا وسيجزي اللهُ الشاكرين﴾.

إيهاً بني قَيله! اهتضم تُراث أبي، وأنتم بمرأىٰ ومسمع، تبلغكم الدعوة، ويشملكم الصوت، وفيكم العُدّة والعدد، ولكم الدار والجُنَن، وانتم نخبة الله التي انتخب، وخيرته التي اختار.

باديتم العرب، وبادهتم الامور، وكافحتم اليهم، حتىٰ دارت بكم رَحَىٰ الاسلام، ودرّ حلبه، وخبت نيران الحرب، وسكنت فورة الشرك، وهدأت دعوة الهرج، واستوثق نظام الدين.

أفتأخرتم بعد الاقدام، ونكصتم بعد الشدة، وجبنتُم بعد الشجاعة، عن قوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون.

ألا وقد أرىٰ أن قد أخلدتم الى الخفض، وركنتم الىٰ الدعة، فجحدتم الذي وعيتم، وسُغتم الذي سوّغتم، وإن تكفروا أنتم ومن في الارض جميعاً فان الله لغني حميد.

ألا وقد قلت لكم ما قلت علىٰ معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، وخور القناة، وضعف اليقين، فدونكموها فاحتووها مدبرة الظهر، ناقبة الخف، باقية العار، موسومة الشعار، موصولة بنار الله الموقدة التي تطّلع علىٰ الافئدة، فبعين الله ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون)[١]

ان النقاط التي احتوتها هذه الخطبة الشريفة كثيرة والحديث عنها جميعاً يحتاج الى مجال اوسع، ولكننا فقط نشير الى ما يمس الموضوع الذى نحن بصدده.

لقد وجهت الزهراء عليها السلام خطابها للانصار، فذكرتهم بتأريخهم المجيد، ومواقفهم الشجاعة في نُصرة الاسلام، ونُصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبكلمة موجزة ذكرّتهم بدورهم الجهادي حينما كانت المرحلة تستوجب حمل السلاح، والتضحية بالروح والدم، وأكدت لهم ان المرحلة الراهنة تستوجب نفس الموقف وتتطلب نفس الدور لماذا؟ لان الاحداث التي وقعت وزوت علياً عليه السلام عن دوره تعني (ألآن مات رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وأمتم دينه، ها إنّ موته لعمري خطب جليل استوسع وَهنهُ واستبهم فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الارض له، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال، أُضيع بعده الحريم، وهتكت الحرمة، وأُذيلت المصونة..)

ثم قالت لهم: ان لاعذر لكم عن النُصرة وانتم تمتلكون العدّة والعدد، والقوة الكافية لأعادة الامور الىٰ نصابها (إيهاً بني قيلة! اهتضم تُراث أبي، وانتم بمرأى ومسمع، تبلغكم الدعوة، ويشملكم الصوت، وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والجُنن..)

فلماذا تهاونتم عن قتال ﴿قوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٦/ ٢١٢.

دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا ايمان لهم..﴾

ولا يوجد بيان اكثر وضوحاً للدعوة الى الثورة المسلحة من هذا البيان، خاصة اذا أخذنا بنظر الاعتبار المنظور العقائدي الذي تتميز به الزهراء، ويشكل معالم شخصيتها فهي ليست من هذه الناحية كأي امرأة من المسلمين، كيف وقد قرن الله تعالى رضاه برضاها وسخطه بسخطها، فهل يمكن ان تتخذ هذا الموقف المتشدد والواضح من دون ان يكون له خلفية ربانية تكسبه الشرعية التامة. بل هل يسوغ القول بان موقفها هذا لأجل فدك كارض زراعية، أو ما تركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اموال وعقار ـ ان كان ترك مثل ذلك ـ أو من اجل سهام الخمس التي نصّ عليها القرآن الكريم. وبكلمة: من اجل مكاسب مادية محدودة؟

ان كل شيء في سيرتها يجيب بالنفي، فالزهراء كانت اكبر من ذاك ومن غيره، لقد حددت بوضوح تام ان ما وقع هو مفهوم (أمته دينه) هذا المفهوم الخطير الذى يستحق التضحية بكل شيء، وعلىٰ الانصار باعتبارهم الطليعة المجاهدة ان يدركوا ذلك، ويتفهّموا صرخة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته علىٰ لسان الزهراء، انها صرخة السماء والنبوة، ففدك هي: الخلافة الرشيدة الواعية الممتدة من النبوة المتصلة بها، ولم تخسر الزهراء (فدك المزرعة) ولم تخسر الارث المادي، ولا سهام الخمس، لانها لم تكن تتمتع بالمردود المادي لكل تلك الامور، لا في حياة الرسول، ولا بعد وفاته، فقد كانت تنفقها علىٰ المسلمين، وسواء عادت لها فدك أو لم تعد، فان الزهراء عليها السلام ستبقىٰ في حياتها المادية علىٰ مستوىٰ واحد من العيش[1] وانما كان الهدف الحقيقي

---

(١) من المعروف ان خديجة عليها السلام كانت من اثرياء العرب، وقد بذلت اموالها بسخاء لنشر الدعوة الاسلامية حتىٰ قال صلى الله عليه وآله وسلم قام الاسلام بسيف علي واموال خديجة ولم يذكر المؤرخون تفاصيل ذلك وجعلوها صفحة منسية من التاريخ في الوقت الذي اشادوا فيه بمواقف بعض الصحابة الذين كانت لهم مساهمات مالية لا ترقىٰ الى مساهمة خديجة عليها السلام. وما نؤكد عليه هنا: ان الزهراء عليها السلام لم تكن بحاجة الى المال والثروة بعد ان ورثت مع ابيها صلى الله عليه وآله وسلم اموال خديجة وثروتها، وما قد نجده في بعض النصوص من انها

من عدم اعتراف الخليفة بانّ النبي كان قد منحها فدكاً، هو سلب حجية الزهراء، في كلامها وقولها ودعواها. وهذا ما حدث ـ بأدب ـ في بعض الاحيان، ومن دونه في احيان اخرىٰ، فتارة يخاطبها ابو بكر بقوله (يا خَيرةَ النسوان، وابنة خير الآباء..) حينما قال لها اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: نحن معاشر الانبياء لانورث ما تركناه صدقه، واخرىٰ يصعد المنبر ليقول: (ايها الناس ما هذه الرِّعة الىٰ كلّ مقالة! اين كانت هذه الاماني في عهد رسول الله ﷺ ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، انما هو ثعالة شهيده ذنبه!ـ أي ثعلب يشهد له ذيله ـ مُرِب لكل فتنة، هو الذي يقول كروها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضَعَفَة، ويستنصرون بالنساء كأم طحال أحبّ اهلها إليها البغي..)[1]

وتمكنت الخلافة من تحقيق نجاح مؤقت تمثل بعدم قبول دعوىٰ الزهراء عليها السلام التي وقف معها القران في ايات الارث، وعلي عليه السلام وام ايمن، في مقابل ما قال ابوبكر انه سمعه من النبي ﷺ انا معاشر الانبياء لانورث.

المحور الثاني: عدم أهلية الحاكم والحكومة

الواضح من حركة الزهراء عليها السلام انها كانت تستهدف أمرين في غاية الاهمية والخطورة.

الامر الاول: العمل علىٰ تنفيذ أمر الله عزوجل، ورسوله ﷺ بتنصيب

عليها السلام أوصت ببعض بساتينها واملاكها لذريتها قد يكون مصدرها الاموال الموروثة من امها عليها السلام إذ لايوجد نص يشير الى ان النبي ﷺ نحلها غير فدك، او اشترىٰ لها هذه البساتين من اموال الخمس، ولو كان الامر كذلك لما كان معنىٰ لاستثناء الخليفة الاول لها، ولصار حالها حال فدك في تطبيق سياسة (نحن معاشر الانبياء لانورث). فاذا ثبت هذا فيجب ان نتحفظ بالنسبة للنصوص التي تُظهر الزهراء بصورة الحريص علىٰ نفسها وذريتها الخائفة من الفقر والجوع وامثال ذلك. وانما نقلنا تلك النصوص في طيات هذا الكتاب تمشياً مع (الرواية التاريخية) وتجنباً للاسلوب الانتقائي الذي قد يكون في بعض الاحيان مخلاً بالموضوعية.

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٦/ ٢١٤.

علي عليه السلام خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بتغيير الواقع الذي افرزته اجتماعات السقيفة.

والامر الثاني: التأكيد ـ اذا لم يتحقق الامر الاول ـ علىٰ عدم شرعية نظام الحكم، وطريقة تعيين الخليفة، وشخص الحاكم.

واستعملت عليها السلام لذلك ادواة الصراع الثلاثة فدك، وسهام الخمس، والميراث. وقد بَحثَ ذلك بتفصيل وتحقيق عدد من العلماء الاعلام في مقدمتهم السيد الشريف المرتضىٰ في كتابه (الشافي)، ولسنا هنا بصدد بحث ذلك، وانما الذي يهمنا هو البحث فيما كانت تستهدفه الزهراء من طرح فدك والسهام والميراث، ليس في اطار قضائي بحت، وانما في بُعد ديني وسياسي مقرون بالصراحة والحدة البالغه، فها هي صلوات الله وسلامه عليها تخاطب المسلمين الذين بايعوا ابابكر بقولها:

«حتىٰ إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ظهرت حسيكة النفاق، وشمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الآفكين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم، فدعاكم فالفاكم لدعوته مستجيبين، ولقربه متلاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فالفاكم غضابا، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير شربكم..»(١)

وتقول لابي بكر وهو حينئذٍ الحاكم المبسوط اليد (يا ابن أبي قحافة أترثُ أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون..)(٢)

وفي رواية انها عليها السلام دخلت علىٰ ابي بكر بعدما استخلف فسألته ميراثها من ابيها، فمنعها، فقالت له: لئن مُتَّ اليوم من كان يرثُكَ؟ قال: وُلدي وأهلي. قالت: فلم ورِثتَ أنت رسول الله صلىٰ الله عليه واله دون ولده وأهله؟ قال: فما فعلتُ يا بنت

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٦/ ٢٥١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٦/ ٢٣٢.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قالت: بلىٰ إنك عَمدت إلىٰ فدك وكانت صافيةً لرسول الله صلىٰ الله عليه وآله فأخذتها، وعمدتَ الى ما أنزل الله من السماء فرفعته عنا. فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم افعل، حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالىٰ يُطعم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الطعمة ما كان حياً، فاذا قبضه الله اليه رفعت)[1]

وروي كذلك انها قالت لابي بكر ان ام أيمن تشهد لي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطاني فدكاً، فقال لها: يا ابنة رسول الله، والله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من رسول صلى الله عليه وآله وسلم أبيك، ولوددت ان السماء وقعت علىٰ الارض يوم مات ابوك، والله لئن تفتقر عائشة أحبّ إليّ من ان تفتقري، أتراني أعطي الاحمر والابيض حقه وأظلمك حقك، وانت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،إن هذا المال لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وانما كان مالاً من اموال المسلمين يحمل النبي به الرجال، وينفقه في سبيل الله، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليته كما كان يليه.

قالت: والله لا كلمتك أبداً، قال: والله لا هجرتك أبدا. قالت: والله لادعون الله عليك. قال: والله لادعون الله لك.

فلما حضرتها الوفاة أوصت ألّا يصلي عليها، فدفنت ليلاً، وصلىٰ عليها عباس بن عبدالمطلب، وكان بين وفاتها ووفاة أبيها اثنان وسبعون ليلة)[2]

ويروي أنس بن مالك ان فاطمة عليها السلام أتت ابابكر فقالت:

لقد علمت الذى ظلمتنا عنه اهل البيت من الصدقات وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربىٰ، ثم قرأت عليه قوله تعالى ﴿واعلموا انـما غنمتم من شيء فانّ لله خمسه وللرسول ولذوي القربىٰ..﴾ الاية.

فقال لها ابوبكر: بأبي انتِ وامي ووالدٍ وَلَدَكِ السمع والطاعة لكتاب الله ولِحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه، ولم يبلغ علمي منه أنّ هذا السهم من الخمس يسلّم اليكم كاملاً.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٦/ ٢٣٢

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٦/ ٢١٤.

قالت: أفلك هو ولأقربائك؟
قال: لا، بل أنفق عليكم منه وأصرف الباقي في مصالح المسلمين.
قالت: ليس هذا حكم الله تعالىٰ...).

وعن ابي الاسود عن عروة قال: أرادت فاطمة أبا بكر علىٰ فدك وسهم ذوي القربي، فابىٰ عليها وجعلها في مال الله تعالىٰ.)[1]

لقد جاءت نصوص كثيرة بهذا المعنىٰ، وهي جمعيها تؤكد منع الخليفة الاول، ومعه عمر بن الخطاب، الزهراء فدكاً والميراث وسهام الخمس، وان كانت النصوص قد اختلفت جزئياً في بعض الصياغات والتعبيرات التي تفاوتت بين اللين الشديد والقسوة البالغة، ولكن المهم هو تأكيدها على ذات الواقعة، وان قضية المنع قد وقعت قطعاً.

وما يمكن ان نستنتجه من ذلكَ كثير، يستحق البحث والتحقيق، ولكننا سنقتصر علىٰ مايتطلبه البحث وتقتضيه الحاجة.

ان اول ما يلفت النظر، ان الزهراء عليها السلام دخلت ساحة الصراع باسلوب لا يعرف اللين والمجاملة، اسلوب المواجهة الصريحة الغاضبة، فبمجرد ان تبين لها ان الخليفة يرفض الاذعان لمطالبها، وقفت موقف من لا يخشى في الله لومة لآئم.

وحرصت كذلك علىٰ ان تكون محاججاتها مع ابي بكر وعمر في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أي في مرأىٰ ومسمع المسلمين، ولم تحاججه في بيتها أو بيته، وكان بامكانها ان تفعل ذلك، وكان من الممكن ان يحقق لها ذلك الحصول على كل مطالباتها في فدك والميراث والسهام، لأن هذه الموارد ليس لها تاثير كبير علىٰ بيت مال المسلمين، إذ أن الامور كانت تسير علىٰ ما يرام في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين كانت فدك وسهام ذوي القربىٰ خارج نطاق بيت المال، لأنها كانت (طُعمة) علىٰ حد تعبير الخليفة الاول ـ أي انها كانت ملكاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو علىٰ اقل تقدير كانت في حيازته وليس

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٦/ ٢٣٠.

في بيت مال المسلمين ـ فلما توفي الرسول ﷺ عادت الى بيت المال. ولمّا عادت لم ينعكس تاثيرها علىٰ اوضاع المسلمين بشكل ملحوظ. بل ان المأثور تاريخياً ان المصدر الاساسي لبيت مال المسلمين كان في الدرجة الاولىٰ الزكاة لا الخمس، والزكاه ـ بمعنىٰ الصدقة الواجبة ـ محرّمة علىٰ رسول الله ﷺ وعلىٰ آله، فلم يكن له ولهم فيها نصيب. وتأتي واردات الاراضي الزراعية المفتوحة كمصدر آخر من مصادر الدولة. ولم يكن للخمس دور كبير في ميزانية الدولة الاسلامية في ذلك الوقت، وكان الخليفة الاول يدرك ذلكَ تماماً، ويعرف ان مطالبات الزهراء عليها السلام لاتعني شيئاً من الناحية المادية وكان بوسعه ان يعترف لها بذلك ويحسم القضية بهدوء تام، ولكنه رفض وأصرَّ علىٰ انه سمع النبي ﷺ يقول: نحن معاشر الانبياء لانورث إلاّ انّ الزهراء عليها السلام أصرت على ان تكون مطالبتها علنية وامام المسلمين جميعاً، فخرجت من خدرها وطالبت بحقها في مركز الخلافة مسجد أبيها. ولم يكن هذا من عادة مخدرات أهل البيت عليهم السلام. ونحن علىٰ يقين ان الف فدك لن تغرُّ الزهراء بالخروج من بيتها، للمطالبة بها من رجال ما كان يمكن ان يكون لهم شأن ولا قيمة لولا المصطفىٰ ﷺ، الذي انقذهم من شفا حفرة من النار، وهي تعلم ان هؤلاء لم يكن لهم تاريخ قبل الاسلام، ولم يكن المجتمع العربي يعيرهم اهمية ولا يحتفظ لهم بمكانة. وتعلم انها من شجرة النبوات الباسقة، وبيوتات العرب السامقة، بل هي ذروتها من دون ريب، وهذا يكفي لتمتنع عن المطالبة بفدك وغيرها حتىٰ لو انهكها الجوع، وهي التي لم تعرف الشبع حينما كانت فدك نحلتها وسهام الخمس بين يديها. لانها كانت تتصدق بكل ذلك وتنفقه علىٰ المسلمين، وحتىٰ لو ارجع لها الخليفة فدكا وسهام الخمس، فانها ستنفقها بالنحو الذي كان المصطفىٰ ﷺ ينفقها في حياته، فلماذا خرجت الزهراء؟ ولماذا وقفت تطالب بحقها؟ وكان الاولىٰ ان يفعل ذلك بدلاً عنها العباس عمها، أو علىٰ زوجها، أو قثم أو غيرهم من بني هاشم؟ ماذا كانت تستهدف الزهراء بذلك؟ وماذا كانت تريد ان تقول؟

من الوضح لمن يتتبع حركة الزهراءعليها السلام، هذه الحركة التي اتسمت بالشجاعة والجرأة، والمواجهة الحدّية للسلطة، ولشخص الخليفة، انها عليها السلام ارادت ان تثبت للأمة عدم شرعية الحاكم والحكومة، فكما قلنا كان بامكانها ان تطالب الخليفة بحقها وهي في بيته أو بيتها، وتحصل على ما تريد، ولكنها خرجت الى المسجد واسمعت المسلمين دعوتها، وسجلت على الخليفة عدة مخالفات لكتاب الله، في آيات الأرث وآية الخمس، فكان الموقف من كلا الطرفين ـ الزهراء وابوبكر ـ يستهدف معنى سياسياً اعمق من ظاهر دعواهما، فابوبكر اراد ان يقطع الطريق على عليعليه السلام بتحجيم الزهراءعليها السلام واخراجها من دائرة الصراع، وارادت الزهراء ان تثبت للامة عدم شرعية الخليفة، الذي خالف المحكم من كتاب الله العزيز، وبمواجهته لبنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي يرضىٰ الله لرضاها ويسخط لسخطها. وبدون هذا الافتراض لا يمكن ان نفهم المبرر الذي دعا عمر بن الخطاب لأرجاع فدك الى ورثة الزهراء بعد توليه الخلافة إذ لو كان يعتقد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: انا معاشر الانبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا أرضاً ولا عقاراً ولكنا نورث الايمان والحكمة والعلم والسنة)[1] لما اعادها الى الورثة لانه سيسجل علىٰ نفسه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومخالفة لسيرة ابي بكر في قضية شكلت حدثاً خطيراً بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ومنه نفهم عزوف اميرالمؤمنين عليعليه السلام عن فدك بعد توليه الخلافة. ففدك ليست المزرعة في نظر الزهراء وانما الخلافة ومطالبتها بها في نظر الخليفة ليس الا المطالبة بالخلافة.

كما ان خروج الزهراء من بيتها، ومطالبتها العلنية، ومواجهتها للخليفة الاول، مواجهة صريحة وحادة، هو بذاته من اخطر الوان الاحتجاج، وحالة من اشد حالات الغضب. وكان الواجب على الامة لو كانت واعية ومدركة ان تخرج معها في موقف بدري حاسم.

ما الذي أخرج الزهراء من بيتها؟ فلنجيب جواباً ساذجاً يتمشىٰ مع ظاهر

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٦ / ٢١٤.

القضية ونقول ان الزهراء عليها السلام طالبت بفدك والميراث وسهام الخمس لحاجتها المعاشية لذلك حيث يؤيد القرآن موقفها وحقها في كل تلك الموارد. حتى في هذا الفرض كان الواجب على المسلمين ان يقفوا موقفاً حازماً من الخليفة لأنهم يعلمون ان الشخص الثاني في الخلافة كان قبل عدة ايام يقول حينما اراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يكتب كتاباً لن يظلوا بعده ابداً (حسبنا كتاب الله) وكتاب الله عزوجل يقول ان فاطمة وريثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلماذا تركوا الكتاب اليوم ولجأوا الى السنة!؟

وكان الواجب ان يقولوا للخليفة الاول اذا كنت قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (نحن معاشر الانبياء لا نورث) فان علياً بشهادته للزهراء يحكي معنى (ان معاشر الانبياء يورثون) اضافة الى شهادة ام أيمن زوج الرسول التي بشرها بالجنة، فلماذا ترجح شهادة أو رواية بعض الصحابة على بعض؟

وكان الواجب ان يقولوا له: اذا كانت الشهادة تعني تغليب الظن في نفس القاضي فان إدعاء الزهراء عليها السلام يورث اليقين، اذ هل من المنطقي ان تقول ما ليس بحق، من عبّر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بانها بضعة منه؟ وهي من الذين عناهم الله بقوله تعالى ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ هل يمكن ان تطلب ما ليس لها؟ أو تدعي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يقله؟

ان افتراض ان يكون خروج الزهراء من بيتها للمطالبة بفدك والسهام والميراث بحجمها المادي المحدود وان كان هو ظاهر النصوص الواردة غير صحيح، والصحيح ان المُستنتج من شكل الصراع وطبيعته يكشف ان السبب الحقيقي كان هو الحرص على مستقبل الاسلام، الذي تتحمل الخلافة الجديدة مسؤوليته، ومقدار صلاحها وكفاءتها لاداء هذا الدور، والذي كانت تراه يتمثل باميرالمؤمنين علي عليه السلام دون سواه من الصحابة استناداً لما سمعته من أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

وأرادت سلام الله عليها بخروجها ان يعلم كل مسلم انها غاضبة على الخليفة والخلافة، وهذا لا يتحقق وهي جالسة في بيتها، بل لابدّ من الخروج الى المسجد واعلان ذلك بوضوح وصراحة.

وقد فعلت ذلك وفي مناسبات عديدة متقاربة قبل ان تعتزل الامة، وتقرّ في بيتها، قالت لابي بكر (والله لا كلمتك أبداً، والله لادعون عليك) وتقول له (يا ابن ابي قحافة أترث أباك ولا أرث ابي لقد جئت شيئاً فرياً فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون).

وامثال ذلك من الكلمات التي تقدّم ذكرها وسيأتي بعضها عن قريب.

ولم يكن ما فعلته سلام الله عليها ردّة فعل عاطفية، لا صلة لها بالمسيرة النبوية الكبرىٰ، بل كانت حلقة الحسم الاخيرة في تشخيص الحاكم الصالح، ونظام الحكم الرشيد، فلم تكن تلك الغضبة غضبة إمرأة من سائر الناس وانما غضبة لله عزوجل جسدها في حبيبة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وغضبة لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم جسدها في ابنته، فكان من المفروض بالامة الواعية المؤمنة بأن الاسلام دين القيم والمقاييس الربانية، وانّ في قمة هذه المقاييس هو رضا الله عزوجل في كل قول وعمل، ان لا تقف موقف المتفرج وهي ترى من قال فيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم (فاطمة يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها) ساخطة غاضبة.

ومهما يكن الأمر فان الزهراء عليها السلام عملت بمقتضىٰ تكليفها الشرعي، فأدت المهمة النبوية الشاقة بافضل ما يكون. ولعل من يدقق في خطاباتها التي تفوح منها رائحة النبوة والوحي يدرك حجم الألم الذي كان يعتصر قلبها على مستقبل الاسلام والمسلمين، والخوف من المخاطر المستقبلية الآتية عن قريب.

وعلى كل حال فانّ الزهراء أكدت بوضوح للامة وللخلافة حقائق عديدة كان يجب ان لا تقع. أكدت انها ظُلمت بانتزاع فدك منها، فدك الخلافة لا فدك المزرعة، وحُرمت من سهام الخمس والميراث، لا لأنه خمس وميراث بل لانه تعطيل لكتاب الله عزوجل وعمل بخلاف ما أمر به تعالى. واكدت انها غاضبة ساخطة على الخليفة وعلى كل من وقف معه أو سكت أو رضي بفعله.

ان هذه الامور الثلاثة تكفي واحدة منها لسلب شرعية الحاكم والحكومة التي يُفترض انها تقوم على اساس الاسلام والقرآن.

المحور الثالث: الاحتجاج الساخط

حاولت الزهراء عليها السلام ـ عملاً بالتكليف الشرعي ـ خلق هزة عاطفية ودينية في نفوس الصحابة من المهاجرين والانصار، لتغيير موقفهم من قضية الاستخلاف، فدعتهم الى تطبيق الموازين الشرعية، وانفاذ وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشأن علي عليه السلام، ولم تخرج في جميع ذلك عن اطار الحِجاج الديني والمنطقي، فاستعملت فدكاً والميراث وسهام الخمس وغيرها كحجج شرعية لأدانة الخلافة، وتزييف مواقفها، فجرت بينها وبين أبي بكر ما هو معروف وثابت في كتب الحديث والتاريخ.

ولم تفلح كل تلك المحاولات فقد أصرّ ابوبكر على عدم تصديق الزهراء عليها السلام في دعواها، ولم يقف المسلمون الى جانبها الموقف المناسب، فادركت ان المسيرة النبوية الكبرى التي قادها ابوها صلى الله عليه وآله وسلم وبذل من أجلها حياته واستقراره، ولاقىٰ في سبيلها من العذاب والعنت والأذى ما لم يلقه نبي قط، بدأت تتجه الى الطريق غير المرسوم لها، وحينئذٍ قررت ان تتخذ موقفا غاضباً، وهو آخر محاولة لاصلاح الامور لانها كانت تعلم كما كان يعلم كل الصحابة ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: ان الله يرضىٰ لرضا فاطمة ويسخط لسخطها، فهل يمكن لمسلم يؤمن بالله ورسوله ان يُسخط ربّ العالمين بايذاء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تحت مبررات من قبيل خوف الفتنة، أو مصالح الامة، وأمثال ذلك؟ وهل الايمان الحقيقي الّا الطاعة الخالصة الكاملة لله ورسوله بتنفيذ اوامرهما بشكل مطلق وكامل؟ فماذا يمكن ان تقول الامة غداً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الحوض ان سألهم عن وديعته وريحانته وما لقيت بعده.

ولأجل تأكيد هذه الحقيقة اعلنت صلوات الله وسلامه عليها سخطها على كل من تخاذل وتهاون في نصرتها من مجتمع المدينة، واعلنت كذلك سخطها على السلطة الحاكمة المتمثلة بشخص الخليفة.

وهذه الحجة (الرضى والسخط) هي آخر وأهمّ اداة في عملية التغيير التي قادتها الزهراءعليها السلام، إذ لو شك أحد من الصحابة والمسلمين في احقية الزهراءعليها السلام في فدك أو الأرث أو سهام الخمس، وان الخليفة الاول سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: نحن معاشر الانبياء لا نورث. أو انه اجتهد في ذلك فاخطأ أو أصاب، أو أنه خاف وقوع الفتنة من منح الزهراء فدكاً وسهمها من الخمس، فانّ احداً لا يشك في ان ما صدر من رسول الله صلى الله عليه وآله بشأن الزهراء فوق الشك والريب، خاصة وان الخليفة لم يروي نسخاً لما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله بشأن ابنته عليها السلام بل كان يعترف بوضوح بمفهوم ان الله يرضى لرضا فاطمة ويسخط لسخطها.

اما بالنسبة لسخطها على المجتمع الذي لم يتحمل المسؤولية ولم يرّع الأمانة فقد روي انه لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الوجع وثقُلت في علتها، اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والانصار فقلن لها:

كيف أصبحت يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقالت:

والله أصبحت عائفة لدنيا كم، قالية لرجالكم، لفظتهم بعد ان عَجمتهم، وشنئتهم بعد أن سبرتهم.

فقبحاً لفُلول الحدّ وخَور القناة، وخطل الرأي وبئسما قدمت لهم انفسُهم أن سَخِط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون.

لا جرم.. قد قلّدتهم رِبقَتها، وشننت عليهم غارتها، فجدعاً وعقراً، وسُحقاً للقوم الظالمين.

ويحهم أين زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة، ومهبط الروح الأمين، والطبين بأمر الدنيا والدين، الا ذلك الخسران المبين.

و ما الذي نقموا من أبي الحسن!

نقموا و الله منه نكير سيفه.

وشدة وطأته و نكال وقعته وتنمره في ذات الله.

وتا الله لو تكافّوا عن زمام نبذه اليه رسول الله ﷺ لاعتَلَقه، ولسار بهم سيرا سُجُحاً، لا تكلم حشاشته، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً يطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطاناً قد تحيّر بهم الرأي، غير متحل بطائل، إلّا بغمر الناهل، وردعة سورة الساغب، ولفتحت علهيم بركات من السماء والارض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

ألا فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبه، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث، إلىٰ أي لجأ استندوا، وبأي عُروة تمسكوا؟ لبئس المولىٰ ولبئس العشير، ولبئس للظالمين بدلاً.

استبدلوا والله الذُنابىٰ بالقوادم، والعَجُز بالكاهل فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً ﴿الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ ويحهم ﴿أَ فَمَن يَهدي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لا يَهِدِّي إِلّا أَن يُهدىٰ فَما لَكُم كَيفَ تَحكُمونَ﴾

أما لعمر الله لقد لقحت فنظرة رَيثما تنتح، ثم احتلبوها طِلاعَ العقب دَماً عبيطاً وذُعاقاً ممقراً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبَّ ما أسس الاولون، ثم طيبوا عن انفسكم نفساً، واطمئنوا للفتنة جأشاً، وابشروا بسيفٍ صارم وهرج شامل، واستبدادٍ من الظالمين يَدَعُ فيئكم زهيداً، وجمعَكم حصيداً، فيا حسرةً عليكم، وأنىٰ لكم وقد عُمِّيت عليكم أنلزمكموها وانتم لها كارهون والحمد لله ربّ العالمين وصلاته على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين)[١]

وبالنسبة للخليفة فقد اعلنت عن غضبها وسخطها عليه بشكل اوضح من خلال محاجة منطقية حاسمة لم تدع فيها مجالاً للشك في حجم غضبها وتذمرها عليه فبعد ان اشتدت علتها واصبحت طريحة الفراش جاءها ابو بكر وعمر عائدين لها واستأذنا عليها فأبت ان تأذن لهما، فحلف ابوبكر ان لا يضله سقف حتىٰ يدخل

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٦ / ٢٣٣.

عليها ويترضاها، وبات ليلة في البقيع لم يظله شيء، فجاء عمر الى أميرالمؤمنين وقال له:

ان ابابكر شيخ رقيق القلب وله مع رسول الله صلى الله عليه وآله صحبة في الغار، وأتينا فاطمة غير مرة نريد الأذن عليها فأبت فأن رأيت ان تستأذن منها. فأجابه عليه السلام ودخل على فاطمة فعرّفها بما يريد الرجلان، فأبت ان تأذن لهما. فقال عليه السلام: اني ضمنت لهما. فقالت: البيت بيتك، والنساء تبع للرجال لا اخالف عليكم شيئاً. فادخلهما عليها.

ولمّا وقع بصرهما عليها سلما فلم ترد عليهما السلام.

فقال ابوبكر: يا بنت رسول الله انما أتيناك ابتغاء مرضاتك واجتناب سخطك. نسألك ان تغفري لنا وتصفحي عما كان منا إليك.

قالت: لا اكلمكما من رأسي كلمة واحدة حتىٰ القىٰ أبي واشكوكما اليه، واشكو صنيعكما وفعالكما وما ارتكبتما مني.

قال: انا جئنا معتذرين مبتغين مرضاتك فاغفري واصفحي عنا ولا تؤاخذينا بما كان منا.

فالتفتت الى اميرالمؤمنين عليه السلام وقالت: اني لا اكلمهما كلمة حتىٰ اسألهما عن شيء سمعاه من رسول الله فان صدقاني رأيت رأيي.

فقالا: سلي انا لا نقول الّا الحق.

فقالت: انشدكما بالله هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: فاطمة بضعة مني وانا منها من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ الله، ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي؟

قالا: اللهم نعم.

فقالت: اللهم اني اشهدك انهما آذياني، والله لا كلمتكما من رأسي كلمة واحدة

حتى ألقىٰ ربي واشكوكما اليه بما صنعتما بي وارتكبتما مني.)[١]

واورد ابن قتيبة الرواية بهذا الشكل:

«فقال عمر لابي بكر رضى الله عنهما، انطلق بنا إلىٰ فاطمة، فانا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلماه، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها، حولت وجهها الى الحائط، فسلما عليها، فلم ترد عليهما السلام.

فتكلم ابو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله! والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنك لأحب إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني مت، ولا أبقىٰ بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله، إلّا اني سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا نورث ما تركناه فهو صدقة».

فقالت: أرأيتكما ان حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرفانه وتفعلان به؟

قالا: نعم.

فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضىٰ فاطمة فقد أرضاني، ومن اسخط فاطمة فقد اسخطني؟

قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قالت: فاني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لاشكونكما إليه.

فقال ابوبكر: انا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة. ثم انتحب ابوبكر يبكي حتى كادت نفسه ان تزهق وهي تقول: والله لادعون الله عليك في كل صلاة أصليها.

---

(١) علل الشرايع للصدوق، ص ٧٣، باب ١.

ثم خرج فاجتمع اليه الناس فقال لهم: يبيتُ كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً باهله وتركتموني وما انا فيه لا حاجة لي في بيعتكم اقيلوني بيعتي)[١]

وروى البخاري في صحيحه في الخمس ان فاطمة بنت رسول الله ﷺ غضبت على ابي بكر فهجرته ـ قال ـ فلم تزل مهاجرته حتى توفيت.

وروى ايضاً في باب غزوة خيبر ان فاطمة وَجَدَت على ابي بكر فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت.

وروى في كتاب الفرائض ان فاطمة هجرت أبابكر فلم تكلمه حتى ماتت. ورواه مسلم أيضاً في صحيحه في كتاب الجهاد...)[٢]

ويروي ابن ابي الحديد ان فاطمة عليها السلام خاطبت ابابكر قائلة: ما اسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا اكلم عمر حتى الق الله)[٣]

وروى عن ابي بكر انه قال: ليتني لم اكشف بيت فاطمة ولو اعلن عليّ الحرب)[٤]

وقال: والصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدة على ابيبكر وعمر، وانها أوصت ألّا يصليا عليها، وذلك عند اصحابنا من الامور المغفورة لهما.

وكان الأولى بهما إكرامها واحترام منزلها لكنهما خافا الفرقة، واشفقا من الفتنة ففعلا ما هو الاصلح بحسب ظنهما، وكانا من الدين وقوة اليقين بمكان مكين لاشك في ذلك، والامور الماضية يتعذر الوقوف على عِللها وأسبابها، ولا يعلم حقائقها إلاّ من قد شاهدها ولآبسها. بل لعلّ الحاضرين المشاهدين لها لا يعلمون باطن الامور!؟)[٥]

---

(١) الامامة والسياسة، ص ٣١ مطبعة امير.

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ / ١٩٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٦ / ٤٩.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٦ / ٥١.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٦ / ٥١.

وتذكر بعض النصوص ان ابابكر أسف على ما صدر منه بحق الزهراء، وسعى الى ارضائها بمختلف الوسائل لعلمه ومعرفته بمكانتها عند الله عزوجل، ولولا ذلك لما قال كلمته المشهورة (يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً باهله وتركتموني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم اقيلوني بيعتي).

وبكلمة أوضح كان يعي ان الزهراء عليها السلام هي المقياس الحسي الحي لرضا الله عزوجل وسخطه، وان الخلافة لا تعدل الثمن الذي دفعه باسخاطه لها.

وكان أمام الخليفة اكثر من منفذ للخروج من هذا المأزق ليسترضي الزهراء عليها السلام، كان بامكانه ان يرجح حديث (ان الله يرضى لرضا فاطمة ويسخط لسخطها) بكثرة من سمعه ورواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي يوجب القطع واليقين بصدوره ووضوح دلالته، فيرجحه على حديث (انا معاشر...) الذي لم يروه غيره، ولغموض دلالته كذلك.

اذ انّ ظاهر الآيات التي تحدثت عن توريث الانبياء انهم عليهم السلام أَورَثوا العلم والحكمة ـ لا المواريث المادية حسب الفرض ـ لابنائهم الأنبياء فأورثوهم النبوة، ولم يذكر القرآن غير ذلك فهل ينطبق هذا على الزهراء؟ وهل يقول به الخليفة؟ فان قال به كانت الحجة عليه ابلغ. وعلى كل حال فاننا لو بحثنا في دلالة هذا الحديث لوجدنا فيه الكثير من التهافت والغموض.

واذا كان منحه الزهراء فدكاً والميراث وسهام الخمس ذنباً ومخالفة شرعية استنادا الى حديث (انا معاشر الانبياء لا نورث) فان منعها من ذلك مخالفة شرعية كذلك استناداً الى حديث (يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها) فلماذا لم يستند الى وقوع التعارض أو التزاحم بينهما، أو يرجح الثاني على اساس ان اغضاب الزهراء عليها السلام قدر متيقن بينما حديث (انا معاشر الانبياء لا نورث) لا يعلم أنه كذلك، أو انه يستعمل ولايته لمنحها تلك الامور كما فعل في موارد اخرىٰ.

ومن هذا وغيره نعرف ان تمسك الخليفة بفدك والسهام والميراث كان بدافع

سياسي، وانه بمصادرته لفدك اراد ان يعلن عن سلطته الفعلية على الدولة وممارسته العملية للحكم.[1] وكان يعلم ان مطالبة الزهراءعليها السلام تكتنز نفس المفهوم، فلم تطالبه بشيء من ذلك حين جاء يسترضيها. ولم يكن مستعداً للتجاوب معها حتى بادنى مراتب التجاوب، لانه لو فعل ذلك فسوف يحقق لها نصراً دينياً وسياسياً كبيراً، باعتبار ان الخليفة سيكون قد اعترف لها عملياً بمبدأ حرمة اسخاط فاطمة ووجوب ارضائها، ويكون قد عمل به فعلياً اذا أرجع لها فدكاً والسهام والميراث، اضافة الى سلبيات مخالفته لما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من انه قال: (انا معاشر الانبياء لا نورث) التي ستوقعه في حرج كبير أمام المسلمين.

ورغم تأثر الخليفة الاول عاطفياً وبكائه الشديد لسخط الزهراء عليه، آثر الثبات على موقفه، لأن أي تراجع سيؤدي الى انهيار جميع الجهود التي أوصلته الى الخلافة، وعودة الامور الى نقطة الصفر، وسيفرض الف سؤال نفسه عن شرعية الطريقة التي تمّ فيها استخلاف أبي بكر.

ولم يخفَ ذلك على الزهراءعليها السلام فارادت أن تؤكد له بجزم ان موقفها الغاضب، ليس انفعالاً عابراً ولا تأثراً عاطفياً، ولا لمنعها فدكاً والميراث والخمس وانما هو موقف الواثق من سلامة وصحة موقفه، ومشروعية مطلبه فقالت له:

(والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها) وقبل ذلك قالت له ولعمر بن الخطاب: (ولئن لقيت النبي لأشكونكما اليه).

---

(١) لم تذكر كتب الحديث والتاريخ كيف بدأت عملية مصادرة فدك وسهام الخمس والميراث، مع ما لهذا الموضوع من اهمية بالغة. والذي يغلب على الظن هو ان ابابكر وعمر وغيرهما لاحظوا ان اوضح اشكال ممارسة الحكم التي باشرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو التصرف بالمال والثروة وكانت فدكاً ـ رغم انها نحلة للزهراء ـ مصدراً من تلك المصادر، اذ من الناحية العملية كان صلى الله عليه وآله وسلم يصرف معظمها على شؤون المسلمين ويبقي القليل لمصارفه الشخصية فكان من ابي بكر ان صادر فدكاً وتبع ذلك سهام الخمس ثم الميراث على اساس (انا معاشر الانبياء لا نورث) وتصرف كما يتصرف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليبرز حاكميته على الأمة، وسيطرته على الامور.

ولاجل ان يفهم الخليفة والسلطة والأمة ان موقفها ليس عابراً، ولن يتغير، وانها لم تصفح ولن تصفح وأنّ ما قامت به خط ثابت وليس حالة عابرة، أوصت ان لا يصلي الخليفة عليها ولا يشهد جنازتها، وان يُخفى قبرها. لتعبّر بذلك عن أشد الوان السخط والرفض وتؤكد حتى بموتها واخفاء قبرها عن موقفها الرافض لشخص الخليفة والنظام الحاكم بكل أبعاده وتفاصيله، ولكي لا يدّعي أحد بعد وفاتها انها رضيت عمن سخطت عليه، اذ لو لم يكن الامر كذلك لما اوصت بتلك الامور.

نتيجة البحث

وبهذا نستخلص ان النبوة الخاتمة أعدّت الزهراء عليها السلام لتواصل بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم تنفيذ مهمة نبوية مقدسة تتمثل بأرساء قواعد الخلافة والامامة ـ عملياً ـ لعلي عليه السلام بعد ان استنفدت الامور الاخرى ـ في حياة النبي ـ قدرتها على ذلك.

ورغم ان جهودها عليها السلام لم تثمر ايجابياً، وانتهت الاوضاع الى ما انتهت اليه على صعيد الواقع، وبقي علي عليه السلام جليس داره، الّا انها استطاعت ان تؤكد ـ بلسان النبوة ـ على هدف آخر لا يقل اهمية عن سابقه وهو انّ نظام الخلافة والحكم الذي قام بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لا يمتلك الشرعية سواءً في طريقة تعيين الخليفة، أو طريقة انتخابه، وان ما وقع يختلف كلياً عما هو مقرر في حكم الله تعالى.

ولو لم نقبل هذه النتيجة وقلنا ان التعيين الذي مثلته السقيفة، والبيعة التي تلته صحيحان من حيث المبدأ، فان الحقيقة التي افرزتها معارضة الزهراء عليها السلام هي عدم شرعية المصداق على أقل تقدير. وان ما كان يجب ان يقع حسب التخطيط الرباني هو ان يتولى الخلافة علي عليه السلام لانه الامتداد الطبيعي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا الهدف ليس بأمكان أي كان تحقيقه خاصة في ظل أجواء سياسية، اتسمت بالعنف وعدم اللين، عبّرت عنها كلمات من مثل (خوف الفتنة، وشق الصف) وامثال ذلك، والتي كانت كفيلة بالاطاحة بأي رأس يجرء على تجاوز هذا

الخط. وعلى هذا الضوء نجد ان الزهراء عليها السلام كانت خيار النبوة الوحيد، القادر على تحقيق هذا الهدف، وقد فعلت ذلك. فصلوات الله وسلامه عليها حتى ترضى وبعد الرضا، والحمد لله ربّ العالمين.

المحتويات

الفصل الاول

موجز السيرة الذاتية للزهراء

الفصل الثاني
مكانة الزهراء في الاسلام

الفصل الثالث

الفصل الرابع